

الموسى عن النبي في قوله

المجلد العاشر

الفقاهة الشرعية

مجموعة إطلالة النور

الفقاه الشريعة والمصاحف

مجموعه إطلالة النور

أسئلة أجاب عنها

محمد عاقل حنيفة اللباني

دكتوراه في الحديث الشريف

جامعة الأزهر

إشراف ومراجعة

الدكتور هاشم محمد عيسى محمدي

المستشار برابطة العالم الإسلامي . مكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أودعت في هذا الكتاب شهادة أن لا إله إلا الله،
وأن محمداً رسول الله. اللهم صلِّ وبارك عليه وعلى
آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، ويدفع عني وعن المسلمين نقمه، الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، القائل في محكم تنزيله: ﴿فَلَوْلَا نَفْرَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].

الحمد لله مُسهِّل ما صعب من الأمور الكائنات، فاتح فاتحة الفتوح الميسرات، المُتقدِّس عن الحدوث والنقصان والآفات، المُستحقِّ لكمال النعوت والصفات، المُسبِّح بصنوف اللغات، المحمود على جميع الأفعال والحالات، أحمده على ترادف نعمة السائغات، وتوارد مننه السابغات، حمداً دائماً على مرِّ الأوقات والساعات، والحمد لله المُتفرد بالدوام، الباقي بعد فناء الأيام، المُوجد للخلق بعد العدم، المُفني لهم بعد أن ثبتت أعمالهم في الصحف كما جرى به القلم، العالِم بما انطوت عليه أسرارهم في الحال وفي القدم.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِي النِّعَمِ كُلِّهَا دُونَ سِوَاهُ، شَهَادَةَ عَبْدٍ مُضْطَرِّ إِلَيْهَا عِنْدَ زَلَّةِ الْقَدَمِ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ، لَا فَلَاحَ إِلَّا لِمَنْ هَدَاهُ، وَلَا صَلَاحَ إِلَّا لِمَنْ عَصَمَهُ مِنْ اتِّبَاعِ هَوَاهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ إِلَى أَكْرَمِ الْأُمَمِ، وَهُوَ عَبْدُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ، وَنَبِيُّهُ

الذي اختاره واجتبه، ورسوله الذي ائتمنه واصطفاه، ورفعاه وأعلاه، وخصه
بختم النبوة وحباه، وأبانه بأعلى منازل الفضل على كل آدمي عداه.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَصْحَابِ سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ذُرِّيَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا
كَثِيرًا، عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك
الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون.

وصلِّ اللهم وسلم وباركْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ،
وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ
إِبْرَاهِيمَ، وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا
بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَاخْتِمْ
لَنَا بِخَيْرٍ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ.

وصلِّ اللهم وسلم وباركْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَوَّلِ مُتَلَقِّ لَفِيضِكَ الْأَوَّلِ،
صلاةً نَشْهَدُكَ بِهَا مِنْ مَرَاتِهِ، وَنَصِلُ بِهَا إِلَى حَضْرَتِكَ مِنْ حَضْرَةِ ذَاتِهِ، قَائِمِينَ
لَكَ وَلَهُ بِالْأَدَبِ الْوَافِرِ، مَغْمُورِينَ مِنْكَ وَمِنْهُ بِالْمَدَدِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، اللَّهُمَّ أَفْضُ
صِلَّةِ صَلَوَاتِكَ وَسَلَامَةِ تَسْلِيمَاتِكَ عَلَى أَوَّلِ التَّعَيِّنَاتِ الْمُفَاضَةِ مِنَ الْعَمَاءِ الرَّبَّانِيِّ،
وَأَخِرِ التَّنَزُّلَاتِ الْمُضَافَةِ إِلَى النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ، الْمَهَاجِرِ مِنْ مَكَّةَ «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ
يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ ثَانٍ» إِلَى مَدِينَةِ «وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ» مُحْصِي عَوَالِمَ
الْحَضْرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْخَمْسِ فِي وَجُودِهِ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْتُهُ فِي إِمَامِ مُبِينٍ﴾ نَقْطَةَ
الْبِسْمَلَةِ الْجَامِعَةِ لَمَا يَكُونُ وَلَمَا كَانَ، وَنَقْطَةَ الْأَمْرِ الْجَوَالَةِ بِدَوَائِرِ الْأَكْوَانِ،
سِرِّ الْهُيُوتِ الَّتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ سَارِيَةٍ، وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَجْرَدَةٌ وَعَارِيَةٌ، كَلِمَةٌ

الاسم الأعظم، وفتح الكنز المطلسم، المظهر الاسم الجامع بين عجز العبودية وشهود عظمة الربوبية، والنفس الرحمانى الساري بمواد الكلمات التامات، والفيض الأقدس الذاتى الذي تعينت به الأعيان واستعداداتها، والفيض المقدس الصفاتى الذي تكونت به الأكوان واستمداداتها، مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفات، ومنبع الإفاضات في رياض النسب والإضافات، خط الوحدة بين قوسى الأحديّة والواحدية، ومركز إحاطة الباطن والظاهر، اللهم يا ربّ يا من ليس حجابهُ إلا التور، ولا خفاؤه إلا شدة الظهور، أسألك بك أن تُصلي على سيّدنا مُحَمَّدٍ صلاةً تُكحل بها بصيرتي بالنور المرشوش في الأزل، لأشهد فناء ما لم يكن، وبقاء ما لم يزل، وأرى الأشياء كما هي في أصلها معدومة مفقودة، وعلى آله وصحبه وسلّم في كل لمحّة ونفسٍ بعدد كل معلوم لك.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا مُحَمَّدٍ عبدك ورسولك وحبيبك النبيّ الأميّ الحبيب، العالي القدر، العظيم الجاه، صاحب النور الأزهر، والجاه الأكبر، والحوض والكوثر، صلاة كل عُسر لنا ولذريتنا بها يتيسر، وكلّ ذنب لنا بها يُغفر، وكلّ عيب لنا بها يُستر، وكلّ نقص في ديننا ودنيانا بها يُجبر، وكلّ عدوٍ وظالم لنا بها يُدحر، وعلى ردّ ما أخذه منا يغلب ويُقهر، وكلّ خير آتته أحداً من عبادك الصالحين، يأتي إلينا حالاً ويحضر، وعلى آله وصحبه وسلّم في كل لمحة ونفسٍ بعدد كل معلوم لك.

وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيّدنا مُحَمَّدٍ النبيّ الأميّ الحبيب، العالي القدر العظيم الجاه، صلاة تشفيننا بها وذريتنا من كلّ علة وبأس، وتغنينا بها عن جميع الجنة والناس، اللهم أغننا بذكرك عن ذكركم، وبخيرك عن خيرهم، ومنّ علينا بالخصوصية من بينهم، ونجنا بقدرتك من شرهم، إنك على كل

شيءٍ قدير، وعلى آله وصحبه وسلّم، في كلِّ لمحّةٍ ونفسٍ بعددِ كلِّ معلومٍ لك .
 وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وباركْ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ بَحْرِ أَنْوَارِكِ، وَمَعْدِنِ أَسْرَارِكِ،
 وَلِسَانِ حُجَّتِكَ، وَعَرُوسِ مَمْلَكَتِكَ، وَإِمَامِ حَضْرَتِكَ، وَطِرَازِ مُلْكِكَ، وَمِفْتَاحِ
 خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ، وَطَرِيقِ شَرِيعَتِكَ، الْمَتَلَدِّ بِتَوْحِيدِكَ، إِنْسَانِ عَيْنِ الْوُجُودِ،
 وَالسَّبَبِ فِي كُلِّ مُوجُودٍ، عَيْنِ أَعْيَانِ خَلْقِكَ الْمَتَقَدِّمِ مِنْ نُورِ ضِيَائِكَ، صَلَاةً
 تَدُومُ بِدَوَامِكَ، وَتَبْقَى بِبَقَائِكَ، لَا مُنْتَهَى لَهَا دُونَ عِلْمِكَ، صَلَاةً تُرْضِيكَ
 وَتُرْضِيهِ وَتَرْضَى بِهَا عَنَّا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الْغُرِّ
 الْمِيَامِينَ .

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وباركْ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ، صَلَاةً تُكْرِمُنَا بِهَا وَذُرِّيَّتَنَا
 بِكَمَالِ الْحُبِّ لَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَكَمَالِ الْحُبِّ وَالِاتِّبَاعِ وَالْمُرَافَقَةِ لِسَيِّدِنَا
 مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمَ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ
 وَنَفْسٍ بَعْدَ كُلِّ مَعْلُومٍ لَكَ .

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وباركْ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الرَّسُولِ، صَلَاةً
 تَمُنُّ بِهَا عَلَيْنَا وَعَلَى ذُرِّيَّتِنَا بِجَاهِهِ عِنْدَكَ بِالْقَبُولِ مَعَ الْوُصُولِ، وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ وَسَلِّمَ فِي كُلِّ الْعُصُورِ وَالذُّهُورِ .

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وباركْ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، صَلَاةً
 تُكْرِمُنَا بِهَا وَذُرِّيَّتَنَا بِجَاهِهِ عِنْدَكَ بِتَمَامِ الثُّورِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْعِبُودِيَّةِ الْكَامِلَةِ،
 وَالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ وَالْقَلْبِ السَّلِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ .
 وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وباركْ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْكَرِيمِ، صَلَاةً
 تُسَعِّفُنَا بِهَا بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، بِنُورِ يَشْفِي مِنَّا الْقَلْبَ وَالْجِسْمَ
 السَّقِيمَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمَ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّهِ الْعَظِيمِ .

وَصَلِّ اللّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِ خَيْرِ الْكُتُبِ، صَلَاةً تَرْفَعُ بِهَا عَنْ بَصَائِرِنَا وَأَرْوَاحِنَا وَقُلُوبِنَا الْحُجُبِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفْسٍ عَدَدَ كُلِّ حَرْفٍ نَطَقَ بِهِ نَاطِقٌ أَوْ كُتِبَ.

وَصَلِّ اللّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تُقَرِّبُنَا بِهَا وَذُرِّيَّتَنَا إِلَيْكَ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلُنَا عَلَيْكَ، وَتَفْتَحُ لَنَا بِهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالْفَهْمِ وَالْيَقِينِ، وَالتَّقَى وَالتَّوْفِيقِ، وَالمَعْرِفَةِ وَالْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ خَزَائِنِكَ، وَتُسَبِّحُ بِهَا عَلَيْنَا رِزْقَكَ وَسِتْرَكَ وَلُطْفَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَتُدْخِلُنَا بِهَا جَنَّتِكَ، وَتُلَقِّنُنَا بِهَا فِي الدَّارَيْنِ نَضْرَةً وَسُرُورًا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّهِ، صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ مُلْكِ اللَّهِ. اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ صَلَاةً أَنْتَ لَهَا أَهْلٌ وَهُوَ لَهَا أَهْلٌ.

وَصَلِّ اللّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ، الْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ، وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمَقْدَارِهِ الْعَظِيمِ.

وَصَلِّ اللّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بَعْدَ حَسَنَاتِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ، فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفْسٍ بَعْدَ كُلِّ مَعْلُومٍ لَكَ. اللّهُمَّ جَدِّدْ وَجِّدْ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَفِي هَذِهِ السَّاعَةِ مِنْ صَلَوَاتِكَ التَّامَّةِ، وَتَحِيَّاتِكَ الزَّاكِيَّاتِ وَرِضْوَانِكَ الْأَكْبَرِ الْأَتَمِّ عَلَى أَكْمَلِ عَبْدٍ لَكَ فِي هَذَا الْعَالَمِ مِنْ بَنِي آدَمَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَقَمْتَهُ لَكَ ظِلًّا، وَجَعَلْتَهُ لِحَوَائِجِ خَلْقِكَ قِبْلَةً وَمَحَلًّا، وَاصْطَفَيْتَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَقَمْتَهُ بِحَجَّتِكَ، وَأَظْهَرْتَهُ بِصُورَتِكَ، وَاخْتَرْتَهُ مَسْتَوًى لَتَجْلِيَّاتِكَ، وَمَنْزِلًا لِتَنْفِيذِ أَوْامِرِكَ وَنَوَاهِيكَ فِي أَرْضِكَ وَسَمَاوَاتِكَ، وَوِاسِطَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَخْلُوقَاتِكَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً أَنْتَ لَهَا أَهْلٌ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٌ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةٌ هُوَ لَهَا أَهْلٌ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وآلِهِ كَمَا لَا نَهَايَةَ لِكَمَالِكَ وَعَدَدَ كَمَالِهِ .

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى الذَّاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَاللَّطِيفَةِ الْأَحَدِيَّةِ ، شَمْسِ سَمَاءِ
الْأَسْرَارِ وَمَظْهَرِ الْأَنْوَارِ ، وَمَرْكَزِ مَدَارِ الْجَلَالِ ، وَقُطْبِ فَلَكِ الْجَمَالِ ، النَّبِيِّ
الْأُمِّيِّ كَمَا أَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، وَصَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ كَمَا
يُنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَصَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ بَعْدَ مَنْ
صَلَّى عَلَيْهِ ، وَصَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ بَعْدَ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ ،
وَصَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ . وَسَلِّمْ وَبَارِكْ
عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ .

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، رسولِ اللَّهِ
ﷺ ، صاحبِ النورِ الأزهرِ ، والجاهِ الأكبرِ ، والحوضِ والكوثرِ ، حاملِ لواءِ
قسمةِ العطاءِ الرباني ، وسدةِ المددِ الفياضِ الصمداني ﷺ ، من توسل به آدم
ﷺ ، وأخذ له ميثاقِ الأنبياءِ على تصديقه ﷺ ، سيدي محمد بن عبد الله رسول
الله ﷺ ، الذي في بعضِ درسه ﷺ علم إدريس ، وفي طيِّ خوفه ﷺ بكاء
داود ، وفي ضمنِ وجده ﷺ حزن يعقوب ، وفي سرِ جده ﷺ صبر أيوب ،
بعضِ غناه ﷺ يزيد على ملك سليمان ، حاز ﷺ خلة الخليل ، ونال ﷺ تكليم
موسى ، واسترجع له ﷺ النظر عند قاب قوسين ، فهو ﷺ جملة الجمال ،
وكل الكمال ، وزينة الدهر ، يزيد ﷺ على الأنبياءِ زيادة الشمس على البدر ،
والبحر على القطر ، فهو ﷺ صدرهم وبدرهم ، وهو ﷺ واسطة عقدِ الأنبياءِ ،
وعليه ﷺ يدور أمرهم ، قطب فلکهم ، عين كتيبتهم ، جوهرة قلادتهم ، بيت
قصيدتهم ، حاتمهم ، خاتمهم ، تحركت لتعظيمه ﷺ السواكن ، فحن إليه ﷺ

الجدع، وسبح الحصى، وتزلزل الجبل، وتكلم الذئب، كل كنى عن شوقه وحبه له ﷺ بلغته.

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على سيدي ومولاي الحبيب الأعظم رسول الله ﷺ، من إذا قامت القيامة فموسى صاحبه ﷺ، وعيسى حاجبه ﷺ، والخليل في عسكره ﷺ، وآدم ينادي بلسان حاله: يا ولد صورتني ويا والد معناني، ما صعد من بحور الأكوان أشرف من درة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، طرة غرته ﷺ أحسن من جمال يوسف، لعاب فيه ﷺ أشفى من البرء، شمس شرعه ﷺ لا يدركها كسوف ناسخ، وقمر دينه ﷺ لا يدخل في محاق.

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على سيدي ومولاي الحبيب الأعظم ﷺ قائد الغر الميامين القائل: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ». صلاة دائمة ترضيك يا رب وترضيه وترضى بها عني وعمن قام بقراءتها أو ساهم بطباعتها من عبادك المؤمنين، وعلى آله وصحبه مصابيح الهدى والصفوة من المؤمنين الصادقين.

أما بعد: فهذا الكتاب الأول من سلسلة: (الفتاوى الشرعية المعاصرة) واسمه مجموعة: (إطلالة النور) التي أسأل الله تعالى أن يجعلها هداية للباحثين عن الحكم الشرعي في ديننا الحنيف، ويرشد بها قلوب الحائرين، ولقد حرصت فيها أن أجمع المسائل التي سُئلت عنها بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، مستدلاً بالآيات والأحاديث وما أُرث عن الصحابة والتابعين، مستشهداً بأقوال الأئمة الأربعة وأقوال الفقهاء والمحدثين، وقد نهجت بذلك منهج الوسطية والاعتدال، راداً بذلك غُلُوَّ المتشددين، وتساهل المتساهلين، أقدمها

للسادة القراء ، علّها تشرح صدورهم وتنال سرورهم إن شاء الله تعالى .
هذا وإن خير ما يشتغل به الإنسان معرفة الأحكام الشرعية ، إذ بهذا العلم يعرف الحلال من الحرام ، والصحيح من العبادة والفاقد منها .
ولكثرة ما يردُّ عليّ من أسئلةٍ فقهية وغيرها خصصتُ درساً بعد صلاة الجمعة لأجيب عن تلك الأسئلة ، وقد طلب مني بعض الإخوة القيام بكتابة ما يرد علي من هذه الأسئلة وجعلها كتاباً ليعم نفعها وينتفع بها المسلمون الذين يحبون التقرب إلى الله تعالى بالطريق الصحيح ، ورجاني أن تكون ذا ترتيب منسق ، وإعداد مرتب ، مع سهولة العبارة ووضوح المعاني ، وتجلية الأحكام ، ومع ذكر الدليل من الكتاب والسنة .

فأجبتّه إلى ذلك مساهمة مني في خدمة هذا الدين القويم ونظراً لحاجة المسلمين إلى رسالة تعرض الأحكام الفقهية المعاصرة مشفوعة بالأدلة ، واجتهادات الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

ولقد أفدت كثيراً من المراجع المهمة في الفتاوى الشرعية وبخاصة فتاوى الأزهر ، وفتاوى أوقاف دبي ، وفتاوى الشبكة الإسلامية ، وقرارات المجامع الفقهية ، والموسوعة الفقهية الكويتية ، ومن قطاع الفتوى في وزارة أوقاف الكويت ، فأضفت إلى المسائل التي أفدتها من المراجع المذكورة ما حضرني من العلم ، وحذفت منها ما لا يحتاج إليه . والله تعالى أسأل أن ينفع بها العباد ، ويصلح بها الفساد ، وأن يجعلها من صالح عملي ، وأن يتقبلها مني فهو نعم المولى ونعم النصير .

وأسأل ربي يقيناً يملأ الصدر ، ويعمُرُ القلب ، ويستولي على

النفس، حتى يكفها إذا نرغت، ويردها إذا انحرفت، وثقةً بأنه عز وجل
الناصر والكالى والحافظ، وأن الخير والشر بيده، وأن النعم كلها من عنده، وأن
لا سلطان لأحد مع سلطانه، نوجه رغبانا إليه، ونخلص نياتنا في التوكل عليه،
وأن يجعلنا ممن همه الصدق، وبغيته الحق، وغرضه الصواب، وما تصححه
العقول وتقبله الأبواب، ونعوذ به من أن ندعي العلم بشيء لا نعلمه، وأن
نكون ممن يغرّه الكاذب من الثناء، وينخدع للمتجاوز في الإطراء.

اللهم اكشف عنا حُجُبَ الأَغْيَارِ، اللهم أفضْ على روحنا ما أفضته على
روح عبدك القطبِ العَوْتِ الكاملِ من هذه الأمة وهبْ لنا زهداً كزهده، وورعاً
كورعه، وعلماً كعلمه، ونوراً كنوره، وفهماً كفهمه، وإقبالاً كإقباله، اللهم
اجعلنا ممن ركبت على جوارحهم من المراقبة غلاظ القُيُودِ، وأقمت على
سرائرهم من المشاهدة دقائق الشُّهُودِ، فهجم عليهم نثر الرقيب من
القيام والقعود، فنكسوا رؤوسهم من الخجل وجباههم ﷺ للسُّجُودِ، وفرسوا
لفرط ذلهم على بابك نواعم الخدود، فأعطيهم برحمتك غاية المقصود.

والحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين، نحمده على عظيم نعمائه،
وجميل بلائه، ونستكفيه نوائب الزمان، ونوازل الحدَثان، ونرغبُ إليه في
التوفيق والعصمة، ونبرأُ إليه من الحول والقوة.

حرره في حلب الشهباء العبد الفقير الضعيف

محمد عادل عزيزة الكيالي

غفر الله تعالى له ولوالديه

في 5/شعبان/1429 هـ / الموافق 2008/8/5م

باب اللغة

السؤال رقم: (1) هل هناك فرق بين آل فلان وأهل فلان؟

الجواب: قال ابن القيم في كتاب "جلاء الأفهام": قالت طائفة: يقال: آل الرجل له نفسه، وآله لمن تبعه، وآله لأهله وأقاربه، فمن الأول قول النبي ﷺ، كما في البخاري لما جاءه أبو أوفى بصدقته: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى» وقوله تعالى ﴿سَلِّمْ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾^(١) وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ» فالإبراهيم هو إبراهيم، لأن الصلاة المطلوبة للنبي ﷺ هي الصلاة على إبراهيم نفسه، وآله تبع له فيها. ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا: لا يكون الآل إلا للأتباع والأقارب، وقالوا: وما ذكروا من الأدلة المراد بها الأقارب. ثم اختار من القولين أن الآل إن أفرد دخل فيه المضاف إليه كقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢) وأما إن ذكر الرجل ثم ذكر آله لم يدخل فيهم. واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال:

ف قيل: هم الذين حرّمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال، أحدها: أنهم بنو هاشم وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه، والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة والرواية الثانية عن الإمام أحمد،

(١) سورة الصافات(130)

(٢) سورة غافر(46)

وهي المذهب الذي لا يفتى بغيره عنده، والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى "غالب" فيدخل فيهم بنو المطلب وبنو أمية وبنو نوفل ومن فوقهم إلى "غالب" وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك.

والقول الثاني: أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر في كتابه "التمهيد".

والقول الثالث: أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم، واختاره بعض الشافعية وغالب العلماء المتأخرين في مقام الدعاء خاصة.

والقول الرابع: أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة.

هذا ما نقله السفاريني عن جلاء الأفهام لابن القيم ثم تحدث عن الصلة بين الآل والأهل، فقال: هل أصل آل أهل، ثم قلبت الهاء همزة فقييل: أ آل، ثم سهلت على قياس أمثالها فقييل: آل، بدليل تصغيره على أهيل، أو أول من آل يؤول إذا رجع، فآل الرجل هم الذين يرجعون إليه ويضافون، ويؤولهم: أي يسوسهم فيكون مآلهم إليه؟ ظاهر كلامه في "جلاء الأفهام" ترجيح الثاني.

وجاء في القاموس: آله أهل الرحم وأتباعه وأولياؤه: ولا يستعمل إلا فيما فيه شرف غالباً، فلا يقال: آل الإسكاف كما يقال أهله، قال في القاموس: وأصله أهل، وأبدلت الهاء همزة فصارت أ آل، توالى همزتان فأبدلت الثانية ألفاً، وتصغيره أويل وأهيل. انتهى.

باب في أصول الفقه والاجتهاد والتقليد

السؤال رقم (2): ما حكم الدين فيمن يجترئ على الفتوى من غير أهل الاختصاص، ويتعصب لرأيه؟

الجواب: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 88)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 76)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: 114)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: 43)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفِّتُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل: 16).

وفي البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». ويقول النبي ، كما في سنن الدارمي: «أَجْرُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرُكُمْ عَلَى النَّارِ». وفي الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «إِنْ عَيْسَى صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّمَا الْأُمُورُ ثَلَاثَةٌ، أَمْرٌ تَبِينُ لَكَ رَشْدُهُ فَاتَّبِعْهُ، وَأَمْرٌ تَبِينُ لَكَ غِيهِ فَاجْتَنِبْهُ، وَأَمْرٌ اخْتَلَفَ فِيهِ فَرُدَّهُ إِلَى عَالِمٍ».

وعند أبي داود والدارقطني وابن ماجه "عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ

سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يُخْبِرُ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَهُ جُرْحٌ فِي رَأْسِهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ أَصَابَهُ احْتِلَامٌ فَأَمَرَ بِالْاِغْتِسَالِ فَاغْتَسَلَ فَكَرَّرَ فَمَاتَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَوْلَمَ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالِ». قَالَ عَطَاءٌ: وَبَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ غَسَلَ جَسَدَهُ وَتَرَكَ رَأْسَهُ حَيْثُ أَصَابَهُ الْجِرَاحُ»

هذه بعض النصوص التي تدل على أن الإنسان مهما بلغ من العلم فلن يحيط بكل شيء علماً، وأن الجاهل بالحكم يجب عليه أن يسأل المختصين، ومن أفتى بغير علم فقد كذب على الله وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وضل في نفسه طريق الحق وأضل غيره عنه، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهُمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

ولهذا لا يجوز لأحد أن يفتي بغير علم، أو يتعصب لرأي لم يطلع على ما يخالفه من آراء المجتهدين.

والنبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح وعن أهل الكهف وعن ذي القرنين فلم يجب حتى نزل عليه الوحي، غير عابئ بما يقوله المشركون والأعداء عندما تأخر الوحي عن الإجابة، ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال: حتى أسأل جبريل، كما رواه أحمد وهو بهذا يقف عند حد علمه، ويرسم للناس من بعده الطريق الأمثل لنشر العلم والإجابة على الأسئلة، وضح أنه قال لأmirه "بريدة" إذا حاصر العدو أن ينزلهم على حكمه هو، لا على حكم الله تعالى

فإنه لا يدري ما عند الله تعالى .

ونحن نعلم أن بعض الصحابة كانوا يُسألون عن مسألة فيحيلون على غيرهم ، وأن أبا بكر رضي الله عنه قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله تبارك وتعالى؟ وكان لعبارة "لا أدري" عند القدامى منزلة وممارسة شائعة، فقد روى فيها خبر «العلم ثلاثة، كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدري» رواه الخطيب موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «جُنَّةُ الْعَالَمِ لَا أَدْرِي، فَإِنْ أَخْطَأَهَا فَقَدْ أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ» .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت في تسع ، والإمام مالك سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري .

هذه كلها صور مشرقة عن السلف ترينا إلى أي حد كانوا يخشون الفتوى بغير علم ، على الرغم من الأمر بتبليغ الدعوة والتحذير من كتم العلم ، وأرجو أن تكون نبراساً لكل من عنده بعض العلم أن يقف عند حده ، ولمن عنده رغبة في نشر العلم أن يكون متثبتاً مما يقول ، وأن من عرف رأياً اجتهادياً لا ينبغي أن يتعصب له .

وعلى أن يكون النشاط العلمي تحت مظلة الإخلاص لله تعالى ، بعيداً عن الرياء والشهرة ، وبريثاً عن أغراض سيئة تضر بنفسه أو تضر بغيره أو تضر

بسمعة الدين نفسه .

السؤال رقم (3) ما حكم تتبع الرخص في الأحكام الشرعية؟

الجواب: فإن الأخذ بالرخص الشرعية هو حديث العصر، ومحل عناية وسؤال الكثيرين من الناس الذين يؤثرون العمل باليسر والأسهل، ما دامت الشريعة قامت على مبدأ اليسر والسماحة ودفع الحرج، ولأن تعقد الحياة المعاصرة وتشابك المصالح والعلاقات الاجتماعية في التعامل يدفع إلى البحث عن الرخصة في حال الضرورة أو الحاجة، فضلاً عن ضعف الهمم والعزائم في التمسك بالأحكام الشرعية العامة، وهي التي تسمى عند الأصوليين بالعزيمة .

أما تتبع الرخص فالغالب استعماله في تتبع رخص المذاهب الفقهية، وهو محل خلاف بين العلماء. ومعناه: أن يأخذ الشخص من كل مذهب ما هو أهون عليه وأيسر فيما يطرأ عليه من المسائل. وقد شرط متأخرو العلماء في التقليد ألا يؤدي إلى تتبع الرخص .

وللفقهاء آراء ثلاثة فيه: «مشدد ومضيق ومتوسط، ومنشأ الخلاف كما ذكر الشعراني في كتابه " الميزان الكبرى ": وهو فقه مقارن، أن آراء العلماء تتردد بين تشديد وتخفيف، فتراه يذكر في مئات المسائل الفقهية آراء أئمة المذاهب، ثم يردّها إلى مرتبتي الميزان، مخفف ومشدد .

1- أما المشدد فهم قوم كثيرون منهم النووي في فتاويه والغزالي، والمالكية والحنابلة في الأصح عندهم قالوا: يمتنع تتبع الرخص في المذاهب؛ لأنه ميل مع أهواء الناس، والشرع جاء بالنهي عن اتباع الهوى، قال الله

تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59] فلا يصح رد المتنازع فيه إلى أهواء النفوس، وإنما يرد إلى الشريعة. فلو اختار من كل مذهب ما هو الأهون عليه، قال أبو إسحاق المروزي: يُفَسَّقُ، وقال ابن أبي هريرة: لا يفسق. قال ابن عبد البر وابن حزم: وقال ابن عبد البر: لا يَجُوزُ لِلْعَامِّيِّ تَتَبُّعُ الرَّخِصِ إِجْمَاعًا والسبب أنه مؤد إلى إسقاط التكليف في كل مسألة مختلف فيها.

وفي تَفْسِيحِ الْمُتَّبِعِ لِلرَّخِصِ عَنْ أَحْمَدَ رِوَايَتَيْنِ وَحَمَلَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى الرِّوَايَةَ الْمُفْسِّقَةَ عَلَى غَيْرِ مُتَأَوَّلٍ وَلَا مُقَلِّدٍ، وَذَكَرَ بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ إِنْ قَوِيَ دَلِيلٌ أَوْ كَانَ عَامِّيًّا لَا يُفَسَّقُ، وَمِمَّا يُحْكَى: أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ تَتَبَعَ رُخْصَ الْمَذَاهِبِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَجَمَعَهَا فِي كِتَابٍ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ، (وأظنه: هارون الرشيد) فَعَرَضَهُ عَلَى بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْأَعْيَانِ (وأظنه الإمام مالك)، فَلَمَّا رَأَاهَا قَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ زَنْدَقَةٌ فِي الدِّينِ، وَلَا يَقُولُ بِمَجْمُوعِ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

وقال الدكتور فهد بن عبد الرحمن اليحيى في مجلة إسلام اليوم العدد (202): وقد حذر العلماء قاطبةً من التشهي في اتباع الفتاوى وملاحقة الأسهل، وقال الإمام أحمد: «لو أن رجلاً عمل بكل رخصة كان فاسقاً»، وقال الغزالي: «لا يجوز للمستفتي أن يأخذ بمذهب بمجرد التشهي، أو أن ينتقي في كل مسألة أطيبها عنده».

2- وأما المخفف فهم: بعض المالكية كالقرافي وأكثر أصحاب الشافعي، والراجح عند الحنفية، قالوا: يجوز تتبع رخص المذاهب؛ لأنه لم

يوجد في الشرع ما يمنع منه؛ إذ للإنسان أن يسلك الأخف عليه، إذا كان له إليه سبيل، بأن لم يكن عمل بآخر، بل إن سنة الرسول ﷺ العملية والقولية تقتضي جوازه؛ فقد جاء في البخاري عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا». وجاء في صحيح البخاري: (بَابُ الدِّينِ يُسْرٌ وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ).

وقال الشعبي: «ما خير رجل بين أمرين، فاختر أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله تعالى».

وقد أخذ بهذا الرأي الكمال بن الهمام في التحرير، وصاحب مسلم الثبوت: محب الله بن عبد الشكور.

وأما المتوسط فهو القرافي قال: يجوز تتبع الرخص بشرط ألا يترتب عليه العمل بما هو باطل عند جميع من قلدتهم، كما إذا قلد الإمام مالك في عدم نقض الوضوء بلمس المرأة بغير شهوة، وقلد الإمام الشافعي في عدم وجوب ذلك الأعضاء في الوضوء، أو عدم وجوب مسح جميع الرأس، فإن صلاته تكون باطلة عند الإمامين لعدم صحة الوضوء عند كل منهما.

ومضمون هذا الرأي ألا يؤدي تتبع الرخص إلى التلفيق. والذي أراه: أن القيد الذي ذكره القرافي وهو: ألا يترتب على تتبع الرخص بما هو باطل لدى جميع من قلدتهم. لا دليل عليه من نص أو إجماع، وإنما هو قيد ذكره بعض المتأخرين، كما قرر الكمال بن الهمام في تحريره، فإذا جاز للشخص مخالفة بعض المجتهدين في كل ما ذهب إليه،

جازت مخالفته في بعض ما ذهب إليه من باب أولى، كما قال صاحب تيسير التحرير. وأما ما نقل عن ابن عبد البر: أنه لا يجوز للعامي تتبع الرخص إجماعاً، فلا نسلم صحة النقل عنه، ولو سلمنا ذلك لا نقر بوقوع الإجماع؛ لأن في تفسيق متبوع الرخص عن أحمد روايتين. وحمل القاضي أبو يعلى الرواية المفسقة على غير متأول ولا مقلد. قال ابن أمير الحاج في التقرير على التحرير: وذكر بعض الحنابلة: أنه إن قوي الدليل، أو كان عامياً لا يفسق، وفي روضة النووي والبحر المحيط للزركشي أن ابن أبي هريرة قال: لا يفسق.

وقال: شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام: وللعامي أن يعمل برخص المذاهب، وإنكار ذلك جهل ممن أنكروه؛ لأن الأخذ بالرخص محبوب، ودين الله يسر، وما جعل عليكم في الدين من حرج، وحاصل ما جاء في أمالي عز الدين المذكور: أنه ينظر إلى الفعل الذي فعله المكلف: فإن كان مما اشتهر تحريمه في الشرع أثم، وإلا لم يأثم.

وأرى أن الراجح جواز تتبع الرخص للضرورة أو الحاجة، دون تعمد التبع أو قصد العبث والتلهي، وبشرط ألا يؤدي ذلك إلى التلفيق الممنوع الذي سيمر معنا في مسألة رقم: (4)، لأن تتبع الرخص أمر واقعي لا مهرب منه في واقع الإفتاء والاستفتاء، حيث يجوز للإنسان أن يعمل بما أفتاه به المفتي دون السؤال عن المذهب، فلو تعدد الاستفتاء لعالمين أو أكثر من علماء المذاهب، وأفتى كل عالم بمذهبه وجب على السائل العمل بالفتوى، وقد يقع في التلفيق من حيث لا يدري، وإن درى فهو معذور، إذ لا دليل على المنع.

السؤال رقم: (4) هل يجوز التلفيق في العبادة؟ وهل يجوز التلفيق في

قضية واحدة بين مذهبين في غسل واجب؟ أو وضوء واجب؟ أم لا؟

أجاز أكثر المحققين من أتباع أئمة المذاهب تقليد المجتهد في المسائل الفرعية العملية التي تثبت بطريق اجتهادي ظني، لا في مسائل العقائد أو الأصول العامة، كعرفة الله وصفاته ودلائل النبوة، وكل ما علم من الدين بالضرورة (البداهة) من جميع التكاليف الشرعية، كأركان الإسلام، وحرمة الربا والزنى، وحل البيع والزواج ونحوها.

وانتشرت ظاهرة التقليد بعد عصر أئمة المذاهب الاجتهادية في أوائل القرن الرابع الهجري، واستمرت إلى عصرنا، وكان من أثر انتشار التقليد بين المسلمين: أن أكثر العلماء المتأخرين بعد انتهاء القرن العاشر الهجري شرطوا لجواز تقليد مذهب الغير ألا يؤدي إلى التلفيق بين المذاهب، فحكموا بطلان العبادة المركبة، بالاعتماد على أحكام متغايرة بين الأئمة، حتى إن بعض الحنفية حكى فيه إجماع المسلمين، والتزمت الشافعية حكماً مقررماً في مسائل الفقه، ولم يظهر كلام في التلفيق قبل القرن السابع الهجري.

قال ابن حجر وغيره من الشافعية: القول بجواز التلفيق خلاف الإجماع.

وأرى أن ادعاء الإجماع يحتاج إلى حجة ودليل، ولا دليل.

والتلفيق: هو الإتيان بكيفية لا يقول بها المجتهد. ومعناها أن يترتب على العمل بتقليد المذاهب، والأخذ في قضية واحدة ذات أركان أو جزئيات بقولين أو أكثر: الوصول إلى حقيقة مركبة، لا يقرها أحد، سواء الإمام الذي كان على مذهبه، والإمام الذي انتقل إليه، فكل واحد منهم يقرر بطلان تلك

الحقيقة الملققة في العبادة .

ويتحقق التلفيق إذا عمل المقلد في واقعة بالقولين معاً، أو بأحدهما مع بقاء أثر الثاني . مثل أن يقلد شخص مذهب الشافعي في الاكتفاء بمسح بعض الرأس في الوضوء، ثم يقلد الذي صلى به على هذا النحو، لم يقل به هؤلاء الأئمة إذا عرض على كل واحد منهم على حدة، فالشافعي يعتبره باطلاً لنقضه باللمس، وأبو حنيفة لا يجيزه لعدم مسح ربع الرأس، ومالك لا يقره لعدم مسح جميع الرأس، أو لعدم ذلك أعضاء الوضوء، وأحمد لا يصححه لترك مسح جميع الرأس، ونحو ذلك .

ومن أمثلة التلفيق في الأحوال الشخصية: أن يتزوج امرأة بلا ولي ولا صداق (مهر) ولا شهود، مقلداً كل مذهب فيما لا يقول به الآخر . لكن هذا من التلفيق المؤدي إلى المحذور، فلا يجوز كما سنبين؛ لأنه يخالف الإجماع، ولم يقل أحد بهذه الصورة . وأمثلة التلفيق الممنوع أيضاً: أن يطلق شخص زوجته ثلاثاً، ثم تتزوج بابتن تسع سنين بقصد التحليل مقلداً زوجها في صحة الزواج للشافعي، فأصابها، ثم طلقها مقلداً في صحة الطلاق وعدم العدة للإمام أحمد، فيجوز لزوجها الأول العقد عليها . قال الشيخ علي الأجهوري الشافعي: إن مثل هذا ممنوع في زماننا، ولا يجوز ولا يصح العمل بهذه المسألة؛ لأنه يشترط عند الإمام الشافعي أن يكون المزوج للصبى أباً له أو جدّاً، وأن يكون عدلاً، وأن يكون في تزويجه مصلحة للصبى، وأن يكون المزوج للمرأة وليها العدل بحضرة عدلين، فإذا اختل شرط، لم يصح التحليل، لفساد الزواج .

ومن أمثلة التلفيق: لو استأجر شخص مكاناً موقوفاً تسعين سنة فأكثر، من غير أن يراه، مقلداً في المدة للشافعي وأحمد، وفي عدم الرؤية لأبي حنيفة، فيجوز.

وإن قضية التلفيق مثل التقليد مجالهما كما نوهت سابقاً في المسائل الاجتهادية الظنية، أما العقائد وكل ما علم من الدين بالضرورة من متعلقات الحكم الشرعي، وهو ما أجمع عليه المسلمون ويكفر جاحده، فلا يصح فيه التقليد، فضلاً عن القول بالتلفيق. وعليه فلا يجوز التلفيق المؤدي إلى إباحة الحرام كالنبيذ والزنا مثلاً.

والمقصود بالنبيذ: كل شراب مسكر متخذ من غير العنب، وهو حرام باتفاق العلماء في الرأي المفتى به عند الحنفية وهو رأي محمد بن الحسن رحمه الله، ويحد عند جمهور العلماء غير الحنفية من شرب من النبيذ ما لا يسكر؛ لأن ما أسكر كثيره فقليله حرام، والحرام فيه الحد.

وللعلماء رأيان في التلفيق: رأي أكثر المتأخرين: المنع أو عدم الجواز، ورأي جماعة آخرين: الجواز.

ودليل القائلين بمنع التلفيق: هو التخريج على ما قاله علماء الأصول في الإجماع من منع إحداث قول ثالث إذا اختلف العلماء فريقين في حكم مسألة، فقال الأكثرون: لا يجوز إحداث قول ثالث ينقض ما كان محل اتفاق، كعدة الحامل المتوفى عنها زوجها، فيها رأيان: وضع الحمل، وأبعد الأجلين، فلا يجوز إحداث قول يقول: إن عدتها بالأشهر فقط.

والواقع هناك فرق بين الحالتين:

أولاً - لأن موضوع إحداث القول الثالث مرفوض في حال اتحاد المسألة ،
بينما في التلفيق تكون المسألة متعددة .

ثانياً - بناء على الرأي المختار ، لم يكن في مسألة التلفيق ناحية متفق
عليها ، فالدلك في الوضوء مسألة كانت موضع اختلاف بين الأئمة ، والنقض
باللمس مسألة أخرى ، وكلا المسألتين موضع خلاف ، فالتلفيق فيهما لا يؤدي
إلى خرق مجمع عليه ، فالقياس مع الفارق ، ويمكننا بالإضافة لذلك
مناقشة دعوى بطلان التلفيق بطريقتين : طريقة المنع أو النفي ، وطريقة إثبات
العكس .

أما طريقة المنع : فهي أن التلفيق مبني على واقع التقليد ، وكل من التلفيق
والتقليد من وضع المتأخرين ، ولم يعرف التلفيق عند السلف ، لا في عهد
الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته ولا في عهد أئمة المذاهب وتلامذتهم .
أما في عهد الرسول ﷺ ، فلا مجال للتلفيق قطعاً ؛ لأنه عهد تبليغ الوحي
الذي لا حاجة فيه للاجتهاد . وأما في عصر الصحابة والتابعين ، فكذلك لم
يعرف بينهم ، وإنما كان السائل يسأل من شاء منهم ، فيفتيه دون أن يلزمه
بقوله ، أو يحجر عليه العمل بفتوى غيره ، مع علمه بكثرة تباين أقوالهم . وكذلك
الأئمة الأربعة وغيرهم من أصحاب الاجتهاد ، لم ينقل عن أحدهم منع العمل
بمذهب غيره ، بل كان كل منهم يقتدي خلف الآخر ، مع اطلاعه على مخالفته
له في الاجتهاد الظني ، فدل هذا على أن المستفتي كان يأخذ بأقوال العلماء
في مسألتين أو أكثر ، ولا يقال : إنه لفق أو وصل إلى حقيقة لم يقل بها المفتون ،
وإنما يعد ذلك من قبيل تداخل أقوال المفتين ، بعضها في بعض بالنسبة إلى

هذا المستفتي تداخلاً غير مقصود، كتداخل اللغات بعضها ببعض في لسان العرب .

وأكثر من هذا، فإن القول بمنع التلفيق يؤدي إلى عدم جواز التقليد الذي أوجبه على العوام - من ناحية المبدأ - وإن كان التقليد غالباً ليس تلفيقاً، ويناقض المبدأ القائل بأن اختلاف الأئمة رحمة للأمة، ويعارض الأساس الذي قامت عليه الشريعة من اليسر والسماحة، ورفع الحرج ودفع المشقة .

وأما الاستدلال بطريقة إثبات العكس بعد افتراض صحة قولهم بمنع التلفيق والتسليم بما قالوا، فيظهر مما قرره أولئك العلماء، وهو أنه لا يجب التزام مذهب معين في جميع المسائل، ومن لم يكن ملتزماً مذهباً معيناً، جاز له التلفيق، وإلا أدى الأمر إلى بطلان عبادات العوام، إذ لا يكاد أحدنا يجد عامياً يفعل عبادة موافقة لمذهب معين .

وأما اشتراطهم ضرورة مراعاة الخلاف بين المذاهب إذا قلد أحدهما مذهباً، أو ترك مذهبه في مسألة، فهو أمر عسير، سواء في العبادات أو المعاملات، وهو يتنافى مع سماحة الشريعة ويسرها ومسايرتها لمصالح الناس .

فمن توضأ مثلاً، ومسح بعض رأسه مقلداً للشافعي، فوضوءه صحيح فإذا مس عضوه (ذكره) بعدئذٍ مقلداً أبا حنيفة، جاز له الصلاة؛ لأن وضوء هذا المقلد صحيح بالاتفاق؛ لأن لمس الفرج غير ناقض عند أبي حنيفة، فإذا قلده شخص في عدم نقض ما هو صحيح عند الشافعي، استمر الوضوء على حاله بتقليده لأبي حنيفة، وحينئذ لا يقال: إن الوضوء غير صحيح لبطلانه في كلا

المذهبيين؛ لأن المسألتين قضيتان منفصلتان؛ لأن الموضوع قد تم صحيحاً بتقليد الشافعي، ويستمر بعد اللمس بتقليد أبي حنيفة، فالتقليد لأبي حنيفة إنما هو في استمرار الصحة، لا في ابتدائها.

وأما ما ادعاه بعض الحنفية من قيام الإجماع على منع التلفيق، فهو إما باعتبار اتفاق أهل المذهب، أو باعتبار الأكثر والغالب، أو باعتبار السماع، أو بالنسبة للظن، إذ لو كانت المسألة مجمعة عليها لنص فقهاء المذاهب الأخرى على الإجماع؛ لأن المجمع عليه لا بد من أن يكون بين أهله مشهوراً ظاهراً منصوصاً عليه، فلا يكفي السكوت والاحتمال. ولا أدل على عدم الإجماع من مخالفة كثير من العلماء المتأخرين صراحة.

السؤال رقم (5): من يتبع مذهباً بعينه من مذاهب الأئمة الأربعة ووجد رخصة في مسألة من المسائل في مذهب آخر غير المذهب الذي يتبعه فهل عليه من حرج إذا هو أخذ برخصة مذهب غير مذهبه؟

الجواب: لا يجوز تتبع رخص الفقهاء والأخذ بأيسر الأقوال من كل مذهب، كما ذهب إلى ذلك عامة أهل العلم، فقد قال الغزالي في المستصفى 391/2: (وليس للعامي أن ينتقي من المذاهب في كل مسألة أطيبها عنده فيتوسع).

وقال السبكي في جمع الجوامع 400/2: (والأصح أنه يمتنع تتبّع الرخص في المذاهب بأن يأخذ من كل منها ما هو الأهن فيما يقع من المسائل).

بل قال أبو اسحاق المروزي كما في إرشاد الفحول ص272: (لو اختار

المقلد من كل مذهب ما هو الأهون عليه والأخف له (يفسق).
وذلك لأنه لا يقول بإباحة جميع الرخص أحد من علماء
المسلمين، فإن القائل بالرخصة في هذا المذهب لا يقول بالرخصة الأخرى
التي في غيره.

نعم إن كان الإنسان قد وقع في حرج، أو لحقته حاجة ماسة، فلا بأس
له أن يقلد غير مذهبه في تلك المسألة، نظراً للأصل في التشريع القائم على
مبدأ رفع الحرج والمشقة، وما قرره أهل العلم من جواز التلفيق عند الحاجة،
ولكن بشرط أن يكون عارفاً بحكم المسألة عند من يقلده، ويأتي بها
على وجهها. والله تعالى أعلم.

**السؤال رقم (6): هل من الحديث <لا تجتمع أمتي على ضلالة>؟
وهل يعني أن الإجماع حجة؟**

الجواب: ذكر القسطلاني في «المواهب اللدنية» وشارحه الزرقاني
(388/5): أن من خصائص الأمة المحمدية أنهم لا يجتمعون على ضلالة،
أي إذا اجتمعوا على حكم كان عند الله كذلك، رواه أحمد في مسنده،
والطبراني في الكبير وابن أبي خيثمة في تاريخه عن أبي بصرة مرفوعاً إلى
النبي ﷺ بلفظ: «سألت ربي ألا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها» والمراد
بالأمة أمة الإجابة التي آمنت به، وليست أمة الدعوة التي أرسل إليها
فقد كفر منها الكثيرون. ورواه ابن أبي عاصم والطبراني أيضاً من حديث
أبي مالك الأشعري: «إن الله تعالى أجازكم من ثلاث خلال، ألا يدعو
عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً، وألا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وألا
تجتمعوا على ضلالة».

قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: إنه حديث مشهورُ المتن وأسانيده كثيرة، أي متعددة الطرق والمخارج، وذلك علامة القوة، فلا ينزل عن الحسن فقد أخرجه أبو نعيم والحاكم وابن منده عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: «إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبداً، وإن يد الله مع الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شدَّ شدَّ في النار» وكذا أخرجه الترمذي، وأخرجه أيضاً ابن ماجه والدارقطني عن أنس مرفوعاً، والحاكم عن ابن عباس ورفعاه، وابن أبي عاصم وغيره مرفوعاً عن عقبة بن عمرو الأنصاري، وله شواهد متعددة في المرفوع إلى النبي ﷺ كقوله: «أنتم شهداء الله في الأرض» وفي غير المرفوع إليه وهو الموقوف، كقول ابن مسعود: إذا سئل أحدكم فلينظر كتاب الله، فإن لم يجد ففي سنة رسول الله، فإن لم يجد فلينظر ما اجتمع عليه المسلمون، وإلا فليجتهد.

يقول الزرقاني: هذا، والاختلاف شامل لما كان في أمر الدين كالعقائد أو الدنيا كالإمامة العظمى، ومعنى: <فعلَيْكم بالسواد الأعظم>: الزموا متابعة جماهير المسلمين الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك المنهج القويم، فهو الحق الواجب والفرض الثابت الذي يحرم خلافه، فمن خالفه مات ميتة جاهلية.

ثم ذكر القسطلاني عقب ذلك من فضائل الأمة المحمدية أن إجماعهم حجة قاطعة، وأن اختلافهم - أي اختلاف المجتهدين - رحمة أي توسعة على الناس، وذلك في الفروع، أما الاختلاف في الأصول فهو ضلال. انتهى.

وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ

يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ [الأنعام: 116] لَأَنَّ الْمَرَادَ هُنَا أُمَّةَ الدَّعْوَةِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرَّسُولِ ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103].
وَحُجَّةُ الْإِجْمَاعِ أَشَارَ إِلَيْهَا الْقِسْطَلَانِيُّ بِأَنَّهَا مِنْ دَعَائِمِ الْاجْتِهَادِ لِمَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

السؤال رقم: (7) قد يصعب في بعض الأحيان تنفيذ حكم من الأحكام الشرعية، فيفكر بعض الناس في حيلة تعضي من تنفيذ هذا الحكم دون مؤاخذه عليه، فهل الحيل مشروعة أو ممنوعة؟

الجواب: عقد البخاري في صحيحه كتاباً عن الحيل وأورد صوراً منها في العبادات وغيرها، وابن حجر في كتابه فتح الباري (342/12) ذكر أن الحيلة: هي ما يتوصل به إلى مقصود بطريق خفي. وحكم عليها بقوله: وهي عند العلماء على أقسام بحسب الحامل عليها - أي الداعي إليها - فإن توصل بها بطريق مباح إلى إبطال حق أو إثبات باطل فهي حرام، أو إلى إثبات حق أو دفع باطل فهي واجبة أو مستحبة، وإن توصل بها بطريق مباح إلى سلامة من وقوع في مكروه فهي مستحبة أو مباحة، أو إلى ترك مندوب فهي مكروهة.

ثم قال: ووقع الخلاف بين الأئمة في القسم الأول: هل يصح مطلقاً وينفذ ظاهراً وباطناً، أو يبطل مطلقاً، أو يصح مع الإثم، ولمن أجازها مطلقاً أو أبطلها مطلقاً أدلة كثيرة، فمن الأول، قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ

بِهِ وَلَا تَحْنَتْ ﴿١﴾ وهو في حق أيوب حين حلف أن يضرب زوجته مائة جلدة - ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢)، والحيل فيها مخارج من المضايق فتكون جائزة، ومن الثاني: قصة أصحاب السبت وحديث البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَاتَلَ اللَّهُ يَهُودَ حَرَّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا».

وحديث ابن ماجه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُحَلَّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ».

والأصل في اختلاف العلماء في ذلك اختلافهم: هل المعتبر في صيغ العقود ألفاظها أو معانيها؟ فمن قال بالأول أجاز الحيل، ثم اختلفوا فمنهم من جعلها تنفذ ظاهراً وباطناً في جميع الصور أو في بعضها، ومنهم من قال: تنفذ ظاهراً لا باطناً، ومن قال بالثاني أبطلها ولم يجز منها إلا ما وافق فيه اللفظ المعنى الذي تدل عليه القرائن الحالية.

وقد اشتهر القول بالحيل عن الحنفية، لكون أبي يوسف صنّف فيها كتاباً، لكن المعروف عنه وعن كثير من أئمتهم تقييد أعمالها بقصد الحق، قال صاحب المحيط: أصل الحيل قوله تعالى: ﴿وَحُذِّبِيكَ ضَعْفًا﴾ الآية، وضابطها إن كانت للفرار من الحرام والتباعد عن الإثم فحسن، وإن كانت لإبطال حق مسلم فلا، بل هي إثم وعدوان.

(١) سورة ص: (44).

(٢) سورة الطلاق (2).

وقال ابن حجر: نص الشافعي على كراهة تعاطي الحيل في تفويت الحقوق، فقال بعض أصحابه: هي كراهة تنزيه - أي لا عقوبة فيها - وقال كثير من محققيهم كالغزالي: هي كراهة تحريم - أي فيها عقوبة - ويأثم بقصده، ويدل عليه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» فمن نوى بعقد النكاح التحليل كان محلاً ودخل في الوعيد على ذلك باللعن، ولا يخلصه من ذلك صورة النكاح، وكل شيء قصد به تحريم ما أحل الله تعالى أو تحليل ما حرم الله تعالى كان إثماً، ثم قال: وفي الجملة فلا يلزم من صحة العقد في الظاهر رفع الحرج عمن يتعاطى الحيلة الباطلة في الباطن، وقد نقل النسفي الحنفي في "الكافي" عن محمد بن الحسن قال: ليس من أخلاق المؤمنين الفرار من أحكام الله بالحيل الموصلة إلى إبطال الحق. والقرطبي في تفسيره (236/9) عند قوله تعالى ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾^(١)، قال في قوله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل إذا لم تخالف شريعة ولا هدمت أصلاً، خلافاً لأبي حنيفة في تجويزه الحيل وإن خالفت الأصول وحرمت التحليل، وذكر أن العلماء أجمعوا على أن للرجل قبل حلول الحول التصرف في ماله بالبيع والهبة إذا لم ينوي الفرار من الصدقة.

وقال: من رام أن ينقض شيئاً من فرائض الله تعالى بحيلة يحتالها لا يفلح ولا يقوم بذلك عذره عند الله تعالى، وما أجازته الفقهاء من تصرف صاحب

(١) سورة يوسف (76)

المال في ماله قرب حلول الحول إنما هو ما لم يرد بذلك الهرب من الزكاة،
ومن نوى ذلك فالإثم عنه غير ساقط، والله تعالى حسيبه .

ولم يرتض القرطبي - ومذهبه مالكي - ما رآه الشافعية أو بعضهم من
جواز الحيلة للوصول إلى المباح واستخراج الحقوق .

هذه نبذة عن الحيل واختلاف العلماء في جوازها ومنعها، وفي اختلافهم
رحمة، وفي رأبي أن ربطها بالنية مطلوب، وما ذكره ابن حجر في ذلك جميل .

السؤال رقم: (8) ما معنى المصالح المرسله وما قيمتها في التشريع؟

الجواب: المصادر الأساسية للتشريع هي القرآن والسنة بالاتفاق، ثم
القياس والإجماع على رأي الجمهور، وما عدا ذلك من العرف والمصالح
المرسله والاستحسان وما إليها فيه خلاف كبير .

والمصالح المرسله هي التي لم يشهد لها أصل معين، كما قضى عمر
رضي الله عنه على محمد بن مسلمة أن يُمرَّ خليج جاره في أرضه، لأنه ينفع جاره ولا
يضر محمداً، فعلل الفتوى بأصل عام وهو إباحة النافع وحظر الضار .

وهذا الرأي إذا توسع فيه عاد بالضرر، لأنه قد يؤدي إلى ترك كثير من
السنن التي لم يحط بها الإنسان علماً مع تفرقها في البلاد، والاستحسان ترك
القياس على أصل معين، وذلك لأثر قد ورد، أو للرجوع إلى أصول عامة،
أو أصل معين آخر، وهو عند أهل الرأي ليس قولاً بمجرد الهوى، ويكثر
استعمال المصالح المرسله، والاستحسان في المعاملات والأمور الدنيوية
وتنظيم المسائل السياسية والقضائية والحربية والعلاقات الدولية .

والمالكية لهم قسط كبير في الاعتماد على المصالح المرسلة في التشريع ،
ويليهم الحنابلة كما قال ابن دقيق العيد، يقول البغدادي في "جنة الناظر" إن
الإمام مالكٌ يقول: إن المجتهد إذا استقرأ موارد الشرع ومصادره أفضى نظره
إلى العلم برعاية المصالح في جزئياته وكلياته، وأن لا مصلحة إلا وهي معتبرة
في جنسها، لكنه استثنى من هذه القاعدة كل مصلحة صادمها أصل من أصول
الشريعة .

ومن أمثلة الحكم بهذا الأصل من فتاوى السلف وأقضيتهم قضاء
الصحابة بتضمين الصناع كالخياطين والصباعين الذين يدعون سرقة ما أعطي
لهم لخياطته وصباغته ولم يقيموا بينة على أنه تلف بغير سبب منهم،
فيقضى عليهم بالضمان، حتى يحتاطوا في حفظ ما عندهم، ومنها قتل
الجماعة بالواحد إذا لم يعينوا القاتل، ومنها فرض الضرائب على الأغنياء إذا
لم تكف الموارد الشرعية من الزكاة ونحوها للجهاد في سبيل الله وإذا كان
العمل بالمصالح المرسلة يؤدي إلى الاختلاف في الأحكام من بلد إلى بلد
فلا مانع من ذلك، فالخلاف في مثل هذه الأمور الفرعية الدنيوية لا يضر ما
دامت الأصول مرعية .

**السؤال رقم: (9) بعض الأحكام الشرعية قد تصدر أحياناً من جهات
متعددة، وقد يكون الحكم في المسألة الواحدة مختلفاً من جهة إلى
أخرى، فأبي الجهات نصدق؟ وهل يجب الالتزام بالفتوى؟**

الجواب: كانت الأحكام الشرعية سهلة المأخذ في صدر الإسلام، إما
من القرآن وإما من السنة، فكان القرآن يجيب على الأسئلة وكذلك الرسول

كَانَ يَجِيبُ عَلَى مَا يُوْجِهُ إِلَيْهِ مِنْ أَسْئَلَةٍ ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ يَعْرِفُونَ الْأَحْكَامَ وَيَعْلَمُونَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا مِنَ الَّذِينَ لَمْ تَتَيْسَّرْ لَهُمْ مَعْرِفَتُهَا مَبَاشَرَةً مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ .

وَالْمَفْرُوضُ فِيمَنْ يَجْهَلُ حُكْمًا شَرْعِيًّا أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ مَنْ يَعْرِفُهُ ، وَالْمَفْرُوضُ أَيْضًا فِيمَنْ يَعْلَمُ أَنْ يَعْلَمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ ، وَالنُّصُوصُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ .

وَمِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَا هُوَ مَوْضِعُ اتِّفَاقٍ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ ، كَصَلَاةِ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، وَمِنْهَا مَا فِيهِ اخْتِلَافٌ لِعَدَمِ وُرُودِ النَّصِّ الصَّرِيحِ الْوَاضِحِ فِيهِ ، وَقَامَ الْمُجْتَهِدُونَ بِمُحَاوَلَةِ مَعْرِفَتِهِ مِنَ الْمَوَاصِرِ الْأَسَاسِيَّةِ حَسَبِ الْقَوَاعِدِ الْمَعْرُوفَةِ لِلِاسْتِنْبَاطِ ، وَذَلِكَ كَقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ ، وَفِي هَذَا النَّوْعِ قَدْ تَخْتَلَفَ الْآرَاءُ ، وَيُمْكِنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَأْخُذَ بِأَيِّ رَأْيٍ مِنْهَا دُونَ حَرْجٍ بَعِيدًا عَنِ التَّلْفِيْقِ الَّذِي تَتَّبَعُ فِيهِ الرَّخْصُ وَيُسَلِّمُ إِلَى حُكْمٍ فِي الْمَسْأَلَةِ لَا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ كَالزَّوْجِ بِغَيْرِ صَدَاقٍ وَلَا وَلِيٍّ وَلَا شَهُودٍ .

وَكَانَ فِي الصَّحَابَةِ مُجْتَهِدُونَ تَخْتَلِفُ أَنْظَارُهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ فِي التَّابِعِينَ مِثْلَهُمْ ، وَكَانَ الْاِخْتِلَافُ مَحْدُودًا ، ثُمَّ كَثُرَ بِتَقَدُّمِ الزَّمَنِ وَكَثْرَةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي لَمْ يَرِدْ فِيهَا نَصٌّ وَليست لها نظائر سابقة يقاس عليها إن توافرت عوامل الصحة للقياس ، وبانتشار العلماء في الأقطار كان بعض الأقطار يميل إلى رأي العالم البارز فيها ، وحدث في بعض الأقطار أن اختار الحاكم فيها رأياً من آراء العلماء ليكون القضاء والفتوى على أساسه ، وجاءت القاعدة التي قررها الأصوليون وهي "حكم الحاكم يرفع الخلاف" فطبقت في بعض البلاد على المؤسسات الرسمية ، وتركت

لغيرها الحرية في اتباع أي رأي من الآراء الاجتهادية واختياره للإجابة على الأسئلة التي توجه إليها، في أيام النبي ﷺ كانت السلطات الثلاثة المعروفة حديثاً في يده عليه الصلاة والسلام، وهي السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية، ثم فصلت بعد ذلك بتطور النظم، ومن السلطة التشريعية كان منصب الإفتاء، ومن القضائية كان منصب القضاء، وظهرت الصفة الرسمية لهذين المنصبين في الدولة الإسلامية في عهد السلطان سليمان القانوني سنة (926هـ) - (1520م) ونهض بأمور الدنيا والدين، ولما ضعفت الدولة العثمانية ظهر في مصر نظام الامتياز ونشأت المحاكم المختلطة سنة (1875م) وصدرت اللائحة الشرعية سنة (1880م)، وجرى نص المادة "25" منها بأن المحاكم الشرعية هي المختصة بنظر مواد الأحوال الشخصية وما يتفرع عنها، وكذا في مواد القتل "ما يسمى الآن بالقانون الجنائي" ولذلك كان عرض الأحكام على "المفتي" واجباً، ثم جاءت المحاكم الأهلية سنة (1883م) التي صنعها الاستعمار، فضعف شأن المحاكم الشرعية واقتصرت على الأحوال الشخصية فقط.

العلاقة بين الإفتاء والقضاء:

قال الخبراء: إن هناك فرقاً بين الإفتاء والقضاء من جهتين، الأولى: أن الفتوى لا تتعدى أن تكون إخباراً عن الله تعالى لمجرد بيان الحكم، وليس فيها إلزام بهذا الحكم، أما القضاء فهو إلى جانب الإخبار عن الله تعالى ببيان الحكم، فيه إلزام بهذا الحكم، وللقاضي حق إقامة الحدود والقصاص، وله

الحبس والتعزير عند عدم الامتثال .

والثانية: أن كل ما يتأتى فيه الحكم تتأتى فيه الفتوى ، يعني كل ما فيه قضاء يمكن أن يكون فيه فتوى ، وليس العكس ، يعني ليس كل ما فيه فتوى يمكن أن يكون فيه قضاء ، فالأحكام الشرعية قسمان ، قسم يقبل القضاء مع الفتوى كمسائل المعاملات والأحوال الشخصية في الزواج والطلاق وما يتعلق بهما ، وقسم لا يقبل إلا الفتوى كالعبادات فليس للقاضي أن يحكم بصحة الصلاة أو بطلانها .

وذلك إلى جانب أن القضاء يقوم على خصومة يستمع فيها القاضي إلى الدعوى وأدلتها ، بخلاف الفتوى فليس لها ذلك ، إذ هي واقعة يطلب صاحبها حكم الشرع فيها .

ثم قال الخبراء: قد تكون الفتوى ملزمة إذا التزم المستفتي بالعمل بها ، أو شرع في تنفيذ الحكم الذي كشفته الفتوى ، أو اطمأن قلبه إلى صحتها ، أو لم يجد إلا مفتياً واحداً ، فلو وجد أكثر من مفت وتوافقت الفتويان لزم العمل بها ، وإن اختلفتا فإن استبان له الحق في إحداهما لزمه العمل بها ، وإلا كان عليه العمل بفتوى من يطمئن إليه علماً وديناً .

بعد هذا أقول للسائل: إن أي فتوى من عالم موثوق به توافق أي مذهب من المذاهب الفقهية المعروفة يجوز الأخذ بها ، أيأ كانت وظيفة العالم ، كما يجوز له عدم الأخذ بها لأنها غير ملزمة إلا في الأحوال التي سبق ذكرها ، وذلك فيما عدا ما يصدر من المفتي الرسمي بخصوص مواعيد المناسبات الدينية التي كانت من اختصاص المحكمة العليا الشرعية ، فذلك

قضاء أو يشبهه ، ويمكن الرجوع إلى الفتوى الخاصة بأن اختلافهم رحمة .

السؤال رقم (10): ما الحكم فيما لو فعل العالم فعلاً يتناقض مع ما هو معروف في الدين؟

الجواب: إن هذا السؤال يستلزم بيان نقطتين: الأولى موقف العالم من هذه الزلّة ، والثاني موقف الناس منه .

وقبل الإجابة نقرر أنه لا يوجد أحد معصوم من الخطأ إلا من عصم الله ، فكل ابن آدم معرض لذلك ، وخير الخطأين التوابون كما صح في الحديث ، كما تقرر أن في الشريعة أموراً متفقاً على حكمها من الحل أو الحرمة ، وأموراً اختلفت فيها الأقوال ، فما كان متفقاً على حكمه لا تجوز مخالفته ويجب التنبيه على هذه المخالفة قياماً بواجب النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما كان فيه خلاف ينبغي لمن اختار رأياً والتزمه حتى ظن الناس أنه هو الصحيح ، ثم اختار رأياً آخر أثار دهشة الناس أن يبين السبب في ذلك ليعلم الناس أن الحكم الخلافية لا يجب التزام رأي واحد فيه ، كما أن من علم أن المسألة فيها خلاف في الحكم لا ينبغي أن يعترض على من اتبع أيّ رأي من الآراء .

وقد تحدث الإمام النووي في كتابه «الأذكار» ص319 عن ذلك فقال: اعلم أنه يستحب للعالم والمعلم والقاضي والمفتي والشيخ المربي وغيرهم ممن يُقْتَدَى به ويُؤخَذ عنه أن يجتنب الأفعال والأقوال والتصرفات التي ظاهرها خلاف الصواب وإن كان محققاً فيها ، لأنه إذا فعل ذلك ترتب عليه مفسد .

من جملتها توهم كثيراً ممن يعلم ذلك منه أن هذا جائز على ظاهره بكل حال، من جملتها توهم كثير ممن يعلم ذلك منه أن هذا جائز على ظاهره بكل حال، وأن يبقى ذلك شرعاً وأمراً معمولاً به أبداً، ومنها وقوع الناس فيه بالتنقيص واعتقادهم نقصه وإطلاق ألسنتهم بذلك، ومنها أن الناس يسيئون الظن به فينفرون عنه، وينفرون غيرهم عن أخذ العلم عنه، وتسقط رواياته وشهادته، ويبطل العمل بفتواه، ويذهب ركون النفوس إلى ما يقوله من العلوم، وهذه مفسد ظاهرة، فينبغي له اجتناب أفرادها فكيف بمجموعها؟ فإن احتاج إلى شيء من ذلك وكان محققاً في نفس الأمر لم يظهره، فإن أظهره أو ظهر، أو رأى المصلحة في إظهاره ليعلم جوازه وحكم الشرع فيه فينبغي أن يقول: هذا الوجه الذي فعلته ليس بحرام، إنما فعلته لتعلموا أنه ليس بحرام إذا كان على الوجه الذي فعلته، وهو كذا وكذا، ودليله كذا وكذا.

واستدل النووي على ذلك بما رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم «قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ وَرَاءَهُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ رَفَعَ فَنَزَلَ الْقَهْقَرَى حَتَّى سَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ ثُمَّ عَادَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ آخِرِ صَلَاتِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتُمُوا بِي وَلِتَعْلَمُوا صَلَاتِي» والأحاديث في هذا الباب كثيرة كحديث صفيه حينما رآها مع الرسول صلى الله عليه وسلم على باب المسجد ليلة فظن بعض المارة سوءاً فبادر صلى الله عليه وسلم وقال: «إِنَّهَا صَفِيَّةٌ» أي ليست امرأة أجنبية، وبين لهم أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فربما سول لهم سوءاً في الظن، وجاء في البخاري أن علياً رضي الله عنه شرب قائماً وقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم «فَعَلَّ

كَمَا رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ» .

والمسألة الثانية أن على التابعين الآخذين عن هذا الشيخ إذا رأوا منه شيئاً في ظاهره مخالفة لمعروف أن يسألوه عنه بنية الاسترشاد - لا بنية النقد والاعتراض - فإن كان قد فعله ناسياً تداركه ، وإن كان فعله عامداً وهو صحيح في نفس الأمر بيّنه لهم ، فقد روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشَّعْبِ نَزَلَ فَبَالَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَلَمْ يُسَبِّحِ الوُضُوءَ فَقُلْتُ: الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَمَامَكَ، فَركَبَ فَلَمَّا جَاءَ المُزْدَلِفَةَ نَزَلَ فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى المَغْرِبَ ثُمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِي مَنْزِلِهِ ثُمَّ أُقِيمَتِ العِشَاءُ فَصَلَّى وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا» .

يقول النووي: إن أسامة قال ذلك لأنه ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نسي صلاة المغرب، وكان قد دخل وقتها وقرب خروجه، كما روى البخاري ومسلم أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: يا رسول الله مالك عن فلان، والله إني لأراه مؤمناً؟ وروى مسلم عن بريدة رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الصَّلَاةَ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الفَتْحِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنَّكَ صَنَعْتَ شَيْئاً لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ قَالَ عَمداً صَنَعْتُهُ» ونظائر هذا كثيرة في الصحيح .

فالخلاصة: فالخلاصة أن العالم ومن يُقتدى به إذا ظهر منه قول أو فعل يرى المتعلمون أنه مخالف، ينبغي أن يبين لهم وجه الصواب، وينبغي لهم أيضاً أن يسألوه عن ذلك بأدب واحترام ولا يبادروا بإساءة الظن به، ولا يعارضوا بأسلوب غير لائق .

كتاب العقائد

فصل فيما يتعلق بالله جل جلاله

السؤال رقم: (11) هل صحيح أن من حفظ أسماء الله الحسنى دخل الجنة؟ وكم عددها؟ وما الفرق بينها وبين الصفات؟

الجواب: جاء في كتاب «الأذكار» (104) للإمام النووي: أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١) وأن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنَّهُ وَثُرٌ يُحِبُّ الْوِثْرَ» ثم ذكر الأسماء، وقال إن الحديث رواه البخاري ومسلم، أما الأسماء فرواها الترمذي وغيره بسند حسن، ومعنى أحصاها حفظها كما فسره البخاري والأكثر، ويؤيده أن رواية في الصحيح: «مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» وقيل: معناه من عرف معانيها وآمن بها، وقيل معناه: من أطاقتها بحسن الرعاية لها، وتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها.

وجاء في شرحه لصحيح مسلم (5/17) أن العلماء اتفقوا على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في مسند أحمد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود

(١) الأعراف: 180

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِبْنُ عَبْدِكَ وَإِبْنُ أُمَّتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَته وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا» قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا». وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أنه قال: لله تعالى ألف اسم، قال ابن العربي، وهذا قليل فيها.

وجاء في تفسير القرطبي للآية المذكورة الإشارة إلى العلاقة بين الاسم والمسمى والفرق بين الاسم والصفة، وأحال توضيح ذلك إلى تأليفه الخاص عن شرح أسماء الله الحسنى ثم قال: الذي يذهب إليه أهل الحق أن الاسم هو المسمى أو صفة له تتعلق به، وذكر أن الأسماء في الآية تعني التسميات، لأن الله تعالى واحد والأسماء جمع، وقال القاضي أبو بكر في كتاب التمهيد عن أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين: إنها عبارات عن كون الله تعالى على أوصاف شتى، منها ما يستحقه لنفسه، ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به، وأسماءه العائدة إلى نفسه هي هو، وما تعلق بصفة له فهي أسماء له، ومنها صفات لذاته، ومنها صفات أفعال، وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي التسميات الحسنى.

هذا، وعلماء الكلام قالوا: تسمية الله تعالى بالأسماء توقيفية، أي يتوقف إطلاقها على الإذن فيه، وذلك للاحتياط، احترازاً عما يوهم باطلاً، لعظم

الخطر في ذلك، والمهم هو العمل بمقتضى الإيمان بهذه الأسماء وليس الاكتفاء بحفظها أو حصر عددها، فالعلم للعمل، وليس لمجرد الحفظ.

السؤال رقم: (12) ما هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب؟

الجواب: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (1)

ويقول: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (2) الإنسان مخير في أن يدعو ربه بأي اسم من أسمائه التي ذكرت في القرآن الكريم، ويزيد عددها على التسعة والتسعين التي ذكرت في الحديث الذي رواه الترمذي، وجاء في فضلها حديث البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» أي من حفظها وعمل بما فيها.

وهناك من الأسماء ما هو أقرب للاستجابة عند الدعاء به، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى، والراجح من أقوال العلماء أنه مؤلف من عدة أسماء، بناء على الأحاديث الواردة فيه، فقد روى أصحاب السنن أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ» كما رواه

(١) الأعراف: 180

(٢) الإسراء: 110

أيضاً أنه سمع رجلاً يدعو بقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ».

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽¹⁾ وَ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: 255): «إِنَّ فِيهِمَا اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ»⁽²⁾ والظاهر من تعدد الروايات أن القاسم المشترك بينها هو توحيد الله سبحانه وتعالى، والدعاء بالتوحيد فيه إخلاص وثقة بالله تعالى، ونفي للشريك عنه، وتقرير أنه لا يستحق أحد سواه أن يُلجأ إليه فلا بد لكل دعاء أن يصحبه هذا الشعور حتى يكون في موضع الرجاء للقبول.

من هذا نرى أن اسم الله تعالى الأعظم موجود في القرآن الكريم. على أن هناك أسماء لله تعالى لم ينزل بها قرآن ولم يثبت بها حديث، فقد جاء في بعض أدعية النبي ﷺ «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟

(١) البقرة: 163

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

فَقَالَ: بَلَى يَبْغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»⁽¹⁾.

السؤال رقم: (13) تأتي في بعض الآيات صفات الله تعالى فيها عبارة "كان" مثل ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽²⁾ فهل هذه الصفات، كانت في الماضي وزالت عنه وتغيرت أم باقية؟

الجواب: إذا وصف الله تعالى نفسه في القرآن الكريم لم يأت هذا الوصف دائماً مقروناً بلفظ "كان" فكثيراً ما يأتي الوصف بدون ذلك قال تعالى: ﴿رَبُّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽²⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁽³⁾ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

وفي بعض الآيات يأتي الوصف مع لفظ "كان" كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽⁵⁾ وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾⁽⁶⁾ وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁽⁷⁾، وليس المراد بذلك أن الله سبحانه وتعالى كان متصفاً بالمغفرة والرحمة والعلم والسمع والبصر في زمن مضى، ثم زالت عنه

(١) رواه ابن السني عن أبي موسى الأشعري، وذكره النووي في كتابه "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"

(٢) البقرة: 109

(٣) البقرة: 222

(٤) المزمل: 20

(٥) الأحزاب: 59

(٦) الفتح: 26

(٧) النساء: 134

هذه الصفات في الزمن الحاضر ولا يتصف بها في المستقبل ، ذلك لأن تقسيم الزمن إلى ماض وحاضر ومستقبل هو بالنسبة لنا نحن ، حين نتحدث ونحدد ما يقع من أحداث قبل زمن الحديث عنه أو في أثناء الحديث أو بعده ، أما الله سبحانه وتعالى فهو منزه عن الزمان ، وما كان مخلوقاً لا يتحكم فيما خلقه .

وكان الله سبحانه وتعالى حين يقرن صفاته بلفظ "كان" يبين لنا أنه موصوف بذلك قبل أن يخبرنا ، بل قبل أن يخلقنا ، فهي صفات أصيلة فيه وجبت له لذاته لا لعله أوجدتها فيه ، فقد كان الله بصفاته ولا شيء معه وقد نبه المفسرون على ذلك ، فجاء مثلاً في تفسير الجلالين لقوله تعالى في أول سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ قوله: أي لم يزل متصفاً بذلك ، وقال الجمل في الحاشية: نبه به على أن "كان" قد استعملت هنا في الدوام ، لقيام الدليل القاطع على ذلك .

السؤال رقم: (14) هل هناك حديث يقول: تخلقوا بأخلاق الله تعالى، وكيف يقال عن صفات الله تعالى إنها أخلاق؟

الجواب: لا يوجد حديث عن النبي ﷺ بهذا اللفظ ، ذلك أن الخلق كما عبر عنه العلماء ملكة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير فكر ولا روية ، ولا يمكن أن يعبر عن صفات الله تعالى مثل الرحمة والعدل بأنها آثار لملكة راسخة في النفس .

والذي ورد أن السيدة عائشة رضي الله عنها سئلت عن أخلاق النبي ﷺ فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» رواه مسلم وغيره ، وجاء في زيادة: «يَغْضَبُ لِعُضْبِهِ وَيَرْضَى لِرِضَاهُ» .

وقد علق العارف بالله عمر شهاب الدين بن محمد بن عمر السهروردي في كتابه عوارف المعارف على قول السيدة عائشة رضي الله عنها بقوله: ولا يبعد أن قول عائشة رضي الله عنها: «كَانَ خُلِقَهُ الْقُرْآنَ» فيه رمز غامض وإيماء إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت أن تقول: كان متخلقاً بأخلاق الله تعالى، فعبرت عن المعنى بقولها: «كَانَ خُلِقَهُ الْقُرْآنَ» استحياً من سُبُحات الجلال، وستراً للحال بلطيف المقال، وهذا من وفرة عقلها وكمال أدبها رضي الله عنها (1).

فإذا جاء التعبير على لسان بعض رجال التصوف بلفظ "أخلاق الله تعالى" فلم يجئ هذا التعبير عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت صفات الله سبحانه وتعالى معروفة.

السؤال رقم: (15) ما معنى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى؟

الجواب: الْمُرَادُ بِإِحْسَانِ الظَّنِّ الْمُنْدُوبِ أَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْحَمُهُ وَمِنْ الرَّحْمَةِ أَنَّ اللَّهَ يُؤَفِّقُهُ لِلْخَيْرِ، وَأَنْ يُعْطِيَهُ مَا يَسْأَلُ مِنْهُ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا أَوْ الْآخِرَةِ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَتِهِ ضَرْبٌ مِنَ الضَّلَالِ فَقَدْ أَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ وَابْنُ مَرْدُويه فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَقَالَ تَعَالَى عَزَّ قَائِلًا: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (2). وَالْيَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى نَوْعٌ مِنَ الْكُفْرِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

(1) الزرقاني على المواهب اللدنية ج 4 ص 246.

(2) الحجر: 56

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْقُنُوطَ أَبْلَغُ مِنَ الْيَأْسِ لِلتَّرَقِّيِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ .

وَالظَّاهِرُ أَيْضاً أَنَّ سُوءَ الظَّنِّ أَبْلَغُ مِنْهُمَا لِأَنَّهُ يَأْسٌ وَقُنُوطٌ وَزِيَادَةُ التَّجْوِيزِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَشْيَاءٌ لَا تَلِيْقُ بِكَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ الْمُنْدَرِ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَرَضِي عَنْهُ قَالَ: أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَإِحْسَانُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، وَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى أَحْوَالَهُ غَيْرَ جَارِيَةٍ عَلَى سَنَنِ الْأَسْتِقَامَةِ فَاشْتَدَّ الْخَوْفُ عِنْدَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَخَشِيَ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَى قَبَائِحِهِ مَعَ تَجْوِيزِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَعْفُو عَنْهُ وَيَعْفِرُ لَهُ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بَلْ هُوَ مِنَ الْحَالَاتِ الْكَامِلَةِ وَالْأَحْوَالِ الْفَاضِلَةِ فَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخَوْفُكُمْ مِنْهُ» .

وَوَرَدَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَبَقِيَّةِ أئِمَّةِ السَّلَفِ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَوْفِ مَا يُفْتَتُّ الْكِبِدَ وَيُذِيبُ الْجِلْدَ وَلِذَلِكَ جَرَى جَمَاعَةٌ أَجْلَاءٌ عَلَى تَرْجِيحِ جَانِبِ الْخَوْفِ عَلَى جَانِبِ الرَّجَاءِ مُطْلَقاً لِأَنَّهُ مَا دَامَ تَرْجِيحُهُ بَاقِياً كَانَ حَامِلاً عَلَى اجْتِنَابِ الْمَعَاصِي وَغَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ مَا لَا يَنْبَغِي بِخِلَافِ تَرْجِيحِ جَانِبِ الرَّجَاءِ فَإِنَّهُ غَالِباً يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى اقْتِرَافِ النَّقَائِصِ خَلَصْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَوَفَّقْنَا لِبَطَاعَتِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَأَدَامَ عَلَيْنَا رِضَاهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى أَنْ نَلْقَاهُ آمِينَ، قَالُوا: وَيُنْدَبُ لِلْحَاضِرِينَ أَنْ يُحْسِنُوا ظَنَّهُ الْمُحْتَضِرِ وَيُطْمِعُوهُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ يَجِبُ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ إِذَا رَأَوْا مِنْهُ أَمَارَاتِ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ أَخْذاً مِنْ قَاعِدَةِ النَّصِيحَةِ الْوَاجِبَةِ، وَالْأَوْلَى لِلصَّحِيحِ تَغْلِيْبُ خَوْفِهِ عَلَى رَجَائِهِ وَالْأَظْهَرُ فِي الْمَجْمُوعِ

اسْتَوَاؤُهُمَا لِأَنَّ الْعَالِبَ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ مَعًا ، وَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ وَأَحَادِيثٌ مُتَضَافِرَةٌ تَدْعُو إِلَى غَرْسِ فَضِيلَةِ حَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَإِلَى الطَّمَعِ فِي رَحْمَتِهِ تَعَالَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (النساء: 48).

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: 53) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: 156).

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مِئَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ مِنْهَا طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ فِيهَا يَتَرَاحِمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الطَّيْرُ وَالْوَحُوشُ عَلَى أَوْلَادِهَا وَأَخْرَجَتْ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ - بِضَمِّ الْقَافِ وَيَجُوزُ كَسْرُهَا أَيْ قَرِيبِ مِلْئِهَا خَطَايَا - ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» . وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَنَدٍ حَسَنِ «أَنََّّهُ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ كَيْفَ تَحِدُّكَ؟ قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنِّي أَخَافُ

ذُنُوبِي ، فَقَالَ ﷺ : لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَأَمَّنَهُ مِمَّا يَخَافُ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : «إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ مَا أَوَّلُ مَا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا أَوَّلُ مَا يَقُولُونَ لَهُ قُلْنَا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ : هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ يَا رَبَّنَا ، فَيَقُولُ : لِمَ ، فَيَقُولُونَ : رَجَوْنَا عَفْوَكَ وَمَغْفِرَتَكَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : قَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ مَغْفِرَتِي» وجاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي» الْحَدِيثُ .

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : «حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ» .

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَالْحَاكِمِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : «إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ» وَرَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ : «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَأَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : «قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ» وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : «أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ إِلَى النَّارِ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى شَفِئِهَا التَّمَتَّ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ إِنْ كَانَ ظَنِّي بِكَ لِحَسَنٍ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : رُدُّوهُ أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي» .

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ : إِنْ أَمِنَ دَاءَ الْقُنُوطِ فَالْرَجَاءُ أَوْلَى ، أَوْ أَمِنَ الْمَكْرَ فَالْخَوْفُ أَوْلَى ، أَيْ وَإِنْ لَمْ يَغْلِبْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا اسْتَوَيَا ، وَالْمَرِيضُ الَّذِي لَيْسَ بِمُحْتَضِرٍ

كَالصَّحِيحِ ، وَيُسْنُ لِلْمَرِيضِ وَمَنْ حَصَرَتْهُ أَسْبَابُ الْمَوْتِ وَمُقَدَّمَاتُهُ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَمِنْ هُنَا يُعَلَّمُ أَنَّ الْكَلَامَ فِي مَقَامَيْنِ أَحَدُهُمَا: شَخْصٌ يَجُوزُ وُقُوعُ الرَّحْمَةِ لَهُ وَالْعَذَابُ ؛ فَإِنْ كَانَ مَرِيضًا نُدِبَ لَهُ تَغْلِيْبُ جَانِبِ الرَّجَاءِ ، وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا اخْتَلَفُوا فِيهِ كَمَا رَأَيْتَ .

ثَانِيهِمَا: فِي شَخْصِ آيِسٍ مِنْ وُقُوعِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ لَهُ مَعَ إِسْلَامِهِ ، فَهَذَا الْيَأْسُ كَبِيرَةٌ اتِّفَاقًا لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ تَكْذِيبَ النُّصُوصِ الْقَطْعِيَّةِ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا .
ثُمَّ هَذَا الْيَأْسُ قَدْ تَنَصَّمُ إِلَيْهِ حَالَةٌ أَشَدُّ مِنْهُ فِي التَّصْمِيمِ عَلَى عَدَمِ وُقُوعِ الرَّحْمَةِ لَهُ وَهُوَ الْقُنُوطُ بِحَسَبِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ ﴿فَيَوُسُّ قَنُوطٌ﴾ وَتَارَةً يَنْصَمُّ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَعَ عَدَمِ رَحْمَتِهِ لَهُ يُشَدُّ عَذَابَهُ كَالْكَفَّارِ وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِسُوءِ الظَّنِّ هُنَا فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مِهِمٌ .

السؤال رقم: (16) وردت أحاديث تقول إن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا ليسمع دعاء التائبين والمسترزقين، فكيف يكون هذا النزول؟ وهل الله في مكان ينزل منه؟

الجواب: روى البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي ﷺ قال «يُنزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» .

هذا الحديث من المتشابه الذي يوجد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، والمسلمون حياله فريقان، فريق يطلق عليهم اسم: أهل التفويض، وفريق يطلق عليهم اسم أهل التأويل، فالأولون يؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى

نسب النزول لنفسه، ويؤمنون بأن لهذا النزول معنى يليق به تعالى، بعيداً عن المشابهة للحوادث كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁽¹⁾، ويقولون: الله أعلم بالمعنى الذي أراده من هذا النزول، ويقولون أيضاً: آما بكلام الله تعالى على مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ، والآخرون يصرفونها عن ظاهرها ويريدون بها لازمها، بمعنى القرب والرحمة وسرعة الاستجابة كما يجيء في كلام العرب تعبيراً عن الرجل الكريم بأنه لا تطفأ له نار.

وعلى شاكلة ذلك كان تفسيرهم لليد والعين في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾⁽³⁾.

ومن موقف المفوضة والمؤولة من الإيمان بالظاهر ومن التأويل كان الوقف في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا...﴾⁽⁴⁾، فالأولون يقفون عند قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ويكون قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ كلاماً مستأنفاً، أو مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ والآخرون لا يقفون عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ وإنما يصلون به على العطف ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فالذي يعلم التأويل عند الأولين هو الله تعالى فقط،

(١) الشورى: ١١

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) طه: ٣٩.

(٤) آل عمران: ٧.

والذي يعلمه عند الآخرين الله تعالى والراسخون في العلم.

السؤال رقم: (17) لماذا يتحدث الله سبحانه وتعالى عن نفسه بقوله "نحن" مع أنها للجمع؟

الجواب: إن القرآن الكريم نزل من عند الله تعالى بلغة العرب التي هي لغة رسوله ﷺ، وقد نزل في أرقى درجات البلاغة والفصاحة ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾⁽¹⁾.

ومما جرت به عادة العرب أن يعبر المتكلم عن نفسه بلفظ "أنا" فإذا كان معه غيره قال "نحن" كما أن لفظ "نحن" يستعمل عند تعظيم المتكلم لنفسه، وتعظيم الإنسان لنفسه له دواعٍ تدعو إليه، فقد يكون ذا منصب أو جاه أو حسب أو نسب فيتحدث عن نفسه تفاخراً وتكبراً من أجل التفاخر والتكبر، وقد يكون لإدخال الرهبة في قلوب الآخرين، كأنه عدة أشخاص لا شخص واحد، وقد يعبر عن نفسه بلفظ "نحن" لتعدد مآثره أو مواهبه، كأنه عدة أشخاص في شخص واحد، فالكثرة والتعدد بالنظر إلى الأثر لا إلى المؤثر.

وأسلوب التعظيم للمتكلم أو المخاطب موجود في اللغات الأخرى وليس قاصراً على اللغة العربية، ويستعمل في مثل الأغراض المذكورة.

فإذا كان رب العزة يقول: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾⁽²⁾، فالمقام مقام امتنان بالخلق والإنعام ومقام تخويف وإرهاب

(١) الشعراء: 195

(٢) الإنسان: 28

للكافرين ، يتناسب معه ضمير التعظيم الذي يعطي معنى القوة والهيبة ، وإذا كان يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾⁽¹⁾ ، فالمقام مقام الاقتدار الذي يدخل الطمأنينة على حفظ الله تعالى للقرآن الذي أنزله بقدرته وحكمته ، وإذا كان يقول: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴾⁽²⁾ ، ففيه اطمئنان لحماية الله تعالى لرسله ونصرهم على أعدائهم ، كأنها حمايات بوسائل متعددة .

وأعتقد أن المؤمن حين يقرأ القرآن وفيه أسلوب التعظيم لله تعالى لا يتسرب إلى نفسه أي شك في وحدانيته سبحانه وتعالى ، وهو جدير بكل عظمة وإجلال لا يمكن أن يكون لغيره من القدرة والإنعام ما يصرف الناس عن عبادته وحده .

السؤال رقم: (18) هل من أسماء الله تعالى الجميل؟

الجواب: روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ قال: « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس »⁽³⁾.

معنى قوله: « إن الله جميل » أن كل أمره سبحانه حسن وجميل ، فله

(١) الحجر: 9

(٢) غافر: 51

(٣) ورواه الترمذي وقال: حسن غريب .

الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال، قال أبو القاسم القشيري: معناه جليل، وقيل معناه: جميل الأفعال بكم والنظر إليكم، يكلفكم السير ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل.

يقول النووي: هذا الاسم ورد في الحديث الصحيح، وورد في الأسماء الحسنى وفي إسناده مقال، والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى، ومن العلماء من منعه وقال إمام الحرمين أبو المعالي: ما ورد به الشرع جوزنا إطلاقه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتجوز ولا منع، فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد الشرع، ولو قضينا بتحريم أو تحليل لكنا مثبتين حكماً بغير الشرع، ثم لا يشترط في جواز الإطلاق ورود ما نقطع به في الشرع، ولكن ما يقتضي العمل وإن لم يوجب العمل فإنه كاف، إلا أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل، ولا يجوز التمسك بها في تسمية الله تعالى وصفته.

قال النووي: وقد اختلف أهل السنة في تسميته تعالى ووصفه من أوصاف الكمال والجلال والمدح بما لم يرد به الشرع ولا منعه، فأجازه طائفة ومنعه آخرون إلا أن يرد به شرع مقطوع به من نص كتاب أو سنة متواترة أو إجماع على إطلاقه، فإن ورد به خبر واحد فقد اختلفوا فيه، فأجازه طائفة، وقالوا: الدعاء به والثناء من باب العمل، وذلك جائز بخبر الواحد، ومنعه آخرون لكونه راجعاً إلى اعتقاد ما يجوز أن يستحيل على الله تعالى، وطريق هذا القطع، قال القاضي: والصواب جوازه، لاشتماله على العمل ولقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهو كما قال (1).

(1) هذا ما ورد عن كمال الدين الدميري المتوفى سنة 808 هـ في كتابه "حياة الحيوان

وخلصته: أن إطلاق اسم "الجميل" على الله فيه خلاف، وفي اختلاف الآراء سعة.

السؤال رقم: (19) يقول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾⁽¹⁾ فهل هناك خالقون غير الله وهو أحسنهم؟

الجواب: كان المشركون يزعمون أن الأصنام شركاء لله تعالى في الخلق وفي كل شيء، فتحداهم الله تعالى بآيات كثيرة بينت أنهم عاجزون لا يضررون ولا ينفعون، وعبر عنهم بصيغة العقلاء على زعمهم.

ومع اعترافهم بأنه لا يقدر على خلق السماوات والأرض وعلى خلق الإنسان إلا الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾⁽²⁾ وكما قال ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾⁽³⁾ وكما قال تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفِكُونَ﴾⁽⁴⁾ مع اعترافهم بهذا كانوا ينسبون إلى الأصنام بعض الأعمال ويتقربون إليها بالقرايين لتستجيب لما يطلبون.

وذكر الله تعالى الآية التي في السؤال بعد ذكر خلق الإنسان في الأطوار

الكبرى" ج 1 ص 457 عند كلامه عن الذر.

(١) المؤمنون: 14

(٢) الزمر: 38

(٣) الزخرف: 9

(٤) الزخرف: 87

المعروفة، وعبر بأحسن الخالقين، وهذه الصيغة المفيدة للتفضيل تبدو منها مشاركة الأصنام لله تعالى في الخلق وهو سبحانه وتعالى يزيد عليهم ويفضلهم، لكن صيغة التفضيل تأتي أحياناً من غير أن تفيد مشاركة بين المفضل والمفضل عليه، وقد مثل علماء النحو لذلك بقولهم: العسل أحلى من البصل، فهما لا يشتركان أصلاً في الحلاوة حتى يكون العسل أحلى، وإنما المعنى: العسل في بابه ونوعه أحلى من البصل في بابه ونوعه.

وتفيد صيغة ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أيضاً أنه يوجد خالق غير الله تعالى، أي فاعل أي شيء ومبتكر لأي شيء ليس له مثال سابق، لكن خلق الله تعالى وإبداع صنعته وانفراده بأشياء لا يقدر عليها غيره تجعله أفضل الخالقين.

وبعد، فإن في مرونة اللغة العربية من حيث معاني الألفاظ ودلالة الأساليب ما يجعل هذا التعبير مستساغاً ومقبولاً بالمعنى اللائق لكل من يوصف به، فكما يقال مثلاً: الله رب العالمين، يقال لمالك العبد رب العبد، وللمالك لأي شيء ربه، كما يطلق الرب على المرابي.

السؤال رقم: (20) جاء في بعض الأحاديث وصف شهر المحرم بأنه شهر

الله تعالى، فلماذا مع أن الشهور كلها شهور الله تعالى؟

الجواب: روى مسلم أن النبي ﷺ قال «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» قال الحافظ السيوطي: سئلت لِمَ خص المحرم بقولهم شهر الله تعالى دون سائر الشهور، مع أن فيها ما يساويه في الفضل أو يزيد عليه كرمضان، ووجدت ما يجاب به، بأن هذا

الاسم إسلامي دون سائر الشهور، فإن اسمها كلها على ما كانت عليه في الجاهلية، وكان اسم المحرم في الجاهلية صفر الأول، والذي بعده صفر الثاني، فلما جاء الإسلام سماه الله تعالى المحرم، فأضيف إلى الله تعالى بهذا الاعتبار، وهذه فائدة لطيفة رأيتها في الجمهرة. انتهى.

السؤال رقم: (21) هل صحيح أن هناك جماعة من المبتدعة تدعي أن المقام المحمود هو إقعاد الله تعالى نبيه معه على العرش؟

نعم يوجد هناك جماعة من الوهابية زعمت ذلك وخالفت بذلك إجماع الأمة، الذي ينص على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة يوم القيامة لجميع الخلائق لإنهاء معاناتهم من طول الموقف، واعتمدت هذه الجماعة في اعتقادها على نقول واهية، وإليك بعض نقولهم:

1- جاء في كتاب الاعتقاد لأبي يعلى الحنبلي (المقام المحمود) الذي لا يدانيه فيه أحد من الأولين والآخرين. فنقلت من تاريخ ابن أبي خيثمة أبي بكر أحمد في أخبار المكيين بإسناده عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾⁽¹⁾ قال: «يجلسه على العرش».

وروى أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة بإسنادهما عن مجاهد في قوله:

﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: «يقعده على العرش».

2- روى عبد الله بن أحمد بإسناده عن مجاهد. وقد روى إسحاق بن

(1)الإسراء (79)

راهويه عن ابن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال يجلسه معه على العرش .

وقال ابن عمير: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وسئل عن حديث مجاهد: «يُقعد محمداً على العرش». فقال: قد تلقته العلماء بالقبول، نسلم هذا الخبر كما جاء .

وقال ابن الحارث: «نعم يقعد محمداً على العرش»، وقال عبد الله بن أحمد: «وأنا منكر على كل من رد هذا الحديث». وعن ابن عباس في قوله: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: «يقعده على العرش» روى هذه الأخبار شيخنا أبو بكر المروزي وصنف في ذلك كتاباً كبيراً .

ورواه والدي - رحمه الله تعالى - عنه فيما أجازته لنا بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: «يجلسه معه على السرير». وإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال: «وعدني ربي القعود على العرش» أخرجه القاضي أبو يعلى .

وإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال لي عمر بن الخطاب رحمة الله عليه: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عما وعده ربه جل اسمه، فقال: «وعدني المقام المحمود وهو: القعود على العرش، وله الحوض الموعود في اليوم الموعود» .

3- وفي السنة للخلال أخبرني محمد بن أحمد بن واصل المقرئ قال ثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد رضي الله عنه أن

يَبْعَثُكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٤﴾ قال: يقعده على العرش فسمعت محمد بن أحمد بن واصل قال من رد حديث مجاهد فهو جهمي .

4- وأخبرنا أبو داود السجستاني قال حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي

قال ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قال يجلسه على عرشه ، وسمعت أبا داود يقول من أنكر هذا فهو عندنا متهم وقال ما زال الناس يحدثون بهذا يريدون مغايظة الجهمية .

5- أخبرنا يحيى بن أبي طالب قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال ثنا

محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قال يقعده معه على العرش قال أبو بكر ابن طالب من رده فقد رد على الله ﷻ ومن كذب بفضيلة النبي ﷺ فقد كفر بالله العظيم .

6- وأخبرني أحمد بن أصرم المزني بهذا الحديث وقال من رد هذا

فهو متهم على الله ورسوله وهو عندنا كافر وزعم أن من قال بهذا فهو ثنوي فقد زعم أن العلماء والتابعين ثنوية ومن قال بهذا فهو زنديق يقتل .

وقال إسحاق بن راهويه الإيمان بهذا الحديث والتسليم له وقال إسحاق

لأبي علي القوهستاني من رد هذا الحديث فهو جهمي وقال عبد الوهاب الوراق للذي رد فضيلة النبي ﷺ يقعده على العرش فهو متهم على الإسلام وقال إبراهيم الأصبهاني يقعده على العرش فهو متهم على الإسلام وقال إبراهيم الأصبهاني هذا الحديث حدث به العلماء منذ ستين ومائة سنة من رد حديث

محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿١﴾ قال يقعده على العرش فهو عندنا جهمي يهجر ونحذر عنه .

ومن رد فضيلة الرسول فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام وقد كان ورد عليّ كتاب منه فيه: «إن العرش سرير مثل عرش بلقيس وعرش سبأ وعرش يوسف وعرش إبليس». فأنكرت هذا وغيره من قوله وأنكره أهل العلم والإسلام إنكاراً شديداً والذي ندين الله ﷻ به حديث مجاهد يقعده على العرش فمن رد هذا فهو عندنا جهمي كافر .

حدثنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا سليمان بن عمر الرقي قال: حدثنا عيسى بن يونس ، عن رشدين بن كريب ، عن أبيه، عن ابن عباس ؓ في قول الله ﷻ: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: المقام المحمود: الشفاعة قال محمد بن الحسين رحمه الله تعالى: وأما حديث مجاهد في فضيلة النبي ، وتفسيره لهذه الآية: أنه يقعده على العرش ، فقد تلقاها الشيوخ من أهل العلم والنقل لحديث رسول الله ﷺ ، تلقوها بأحسن تلقٍ ، وقبلوها بأحسن قبول ، ولم ينكروها ، وأنكروا على من رد حديث مجاهد إنكاراً شديداً وقالوا: من رد حديث مجاهد فهو رجل سوء .

قلت: كل ما ورد من أدلة سبقت إنما هو باب الكذب والدجل ؛ ولو ركب لها الأسانيد من قبل المجسمة فإنها لا تروج على المؤمنين ، وليت المجسمة والمشبهة والحشوية من الوهابيين والتمسلفين اكتفوا باعتقاد ذلك في خاصة أنفسهم لكان الخطب يسيراً ، لأن ضلالهم في حينها يرجع إليهم ، ولكنهم أبوا إلا أن يلزموا بباطلهم المكشوف والمفضوح جميع المسلمين ، وإلا

كان كافة المسلمين بنظرهم المعوج والمنحرف إذا لم يقبلوا بباطلهم كفره فجرة ،
سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولقد رأينا أن بعض عقيدتهم تركز على الأحاديث
الموضوعة والمكذوبة على الله ورسوله ﷺ .

فصل في الملائكة

السؤال رقم: (22) هل نزل جبريل إلى الأرض بعد وفاة النبي ﷺ؟

الجواب: جاء في "الحاوي للفتاوي" للسيوطي أن إنكار الناس لنزول جبريل بعد موت النبي ، لا أصل له، ثم استدل على ذلك بما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير عن ميمونة بنت سعد رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَرْقُدُ الْجُنُبُ؟ قَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْ يَرْقُدَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ، فَإِنِّي أَخَشَى أَنَّهُ يَتَوَفَّى فَلَا يَحْضُرُهُ جِبْرِيلُ».

فدل هذا على أن جبريل يحضر موتة المؤمن المتطهر، وكذا استدل بما أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً في وصف الدجال الذي جاء فيه: «ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريل، بعثني الله لأمنع حرم رسوله ﷺ».

كما استدل بقوله تعالى في ليلة القدر: ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾⁽¹⁾، حيث قال الضحاك: إن الروح هنا جبريل، وإنه ينزل هو والملائكة في ليلة القدر ويسلمون على المسلمين وذلك في كل سنة. انتهى.

والذي جرَّ إلى الاعتقاد بعدم نزوله حديث «لَا وَحْيَ بَعْدِي» فالذي ينزل بالوحي جبريل، والجواب أن هذا الحديث كما قال ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية: باطل. ولو فرضت صحته فالمنفي نزوله للوحي إلى الأنبياء بشرع، لكن قد ينزل لغير ذلك كتبليغ خبر لا يتعلق بتشريع، ففي مسلم «أَوْحَى

(١) القدر: 4

اللَّهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ إِنَّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَّزْ عِبَادِي
إِلَى الطُّورِ» وهم يأجوج ومأجوج^(١).

ومهما كانت قيمة الاستدلال بهذه الأدلة على نزول جبريل فإن ذلك ليس من أصول العقيدة الإسلامية، والبحث فيه ينبغي أن يحملنا على ما احتوته هذه الأدلة من الحرص على الطهارة، ومن إحياء ليلة القدر.

السؤال رقم: (23) هل الملائكة أفضل أم البشر؟ لأنهم أمروا بالسجود لأبيهم آدم؟

الجواب: يقول الله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

تدل الآية على أن الملائكة والناس يصطفي الله تعالى منهم رسلاً، لكن هل الاصطفاء بصورة واحدة وعلى مستوى واحد، أم أن هناك امتيازاً لنوع منهما على نوع آخر؟ ليس في ذلك نص من قرآن أو سنة صحيحة، والخوض في ذلك قد يؤدي إلى تنقيص بعضهم أو الغرض منه، ولا توجد له أهمية بالنسبة لحياتنا العملية، لكن العلماء القدامى أثاروا هذه المسألة وهذا طرف من ذلك:

ذكر القسطلاني في المواهب اللدنية (45/2) أن هناك اختلافاً في التفاضل بين الملائكة والبشر، فقال جمهور أهل السنة والجماعة: خواص بني آدم وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل

(١) (مذكرات التوحيد ج 3 ص 150).

(٢) الحج: 75.

وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون [الكروبيون ملائكة العذاب والروحانيون ملائكة الرحمة في بعض الأقوال].

وخواص الملائكة أفضل من عوام بني آدم وهم ما عدا الأنبياء من الصالحين، وذلك بالإجماع كما قال التفتازاني بل بالضرورة، وعوام بني آدم أفضل من عوام الملائكة، ولذلك عدة مبررات: منها، أن مجموع الملائكة أمروا بالسجود لمجموع البشر الممثلين في آدم، والمسجود له أفضل من الساجد، فإذا ثبت تفضيل الخواص من البشر - وهم الأنبياء - على الخواص من الملائكة بالسجود لآدم ثبت تفضيل العوام على العوام، فعوام الملائكة خدمُ عمّالِ الخير وهم صلحاء المؤمنين، والمخدوم له فضل على الخادم، ومنها أن المؤمنين ركب فيهم الهوى والعقل مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته، والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى أي الشهوة ولا سبيل للشيطان عليهم، فالإنسان - كما قاله التفتازاني في شرح العقائد النسفية - يُحَصِّلُ الفوائد والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوائق والموانع من الشهوة وشواغل الأمور الضرورية عن اكتساب الكمالات، ولا شك أن العبادة واكتساب الكمال مع الشواغل والصوارف أشق وأدخل في الإخلاص فيكون الإنسان أفضل.

وذهب المعتزلة والفلاسفة وبعض الأشاعرة من أهل السنة إلى تفضيل الملائكة، وتمسكوا بنحو عشرين وجهاً، ذكر القسطلاني منها أربعة لا داعي لذكرها، فهي ترف عقلي، لمن أراد فليرجع إليه، وقد وضع هذه النقطة أيضاً القرطبي في تفسيره (289/1) وكذلك في الجزء العاشر (294): وعلى الجملة فالكلام لا ينتهي في هذه المسألة إلى القطع، وقد تحاشى قوم من

الكلام في هذا، كما تحاشوا من الكلام في تفضيل بعض الأنبياء على بعض، عملاً بما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ! فَقَالَ: مَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ادْعُوهُ، فَقَالَ: «أَضْرَبْتُهُ؟» قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ وَالَّذِي اضْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، قُلْتُ: أَيَّ حَيْثُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ? فَأَخَذْتَنِي غَضَبَةً ضَرَبْتُ وَجْهَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخِذْ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعَقَةِ الْأُولَى».

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَا يُنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ.

ولعل النهي عن التفضيل يقصد به ما يثير فتنة وتعصباً، فالمقطوع به تفضيل الرسول محمد ﷺ، حتى على الملائكة كما قاله المحققون.

السؤال رقم: (24) قرأنا في الصحف أن هناك محاولة لقياس سرعة الملائكة بسرعة الضوء والسرعات المعروفة لنا، فهل يصح هذا أم لا يصح؟

الجواب: الإسلام حث على النظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض، وشجع على ذلك تشجيعاً كبيراً ورد في كثير من آيات القرآن الكريم، وذكر الحكمة منه بأن فيه آيات وعلامات لذوي العقول النيرة يدركون بها من أسرار

الكون ما يحملهم على الإيمان بخالقه، أو تعميق الإيمان به لمن سبق له الإيمان كما أن من أهداف الحث على النظر الشامل: الانتفاع بما سخر الله تعالى في الكون انتفاعاً يساعد على أداء رسالة الإنسان في الحياة وتحقيق الخلافة في الأرض، غير أن عقل الإنسان له حدود لا يستطيع معها أن يدرك كل الأسرار، وحواسه التي تقدم له التصورات مجالاتها محدودة كما ثبت علمياً، وبالتالي تكون النتائج والمعطيات العقلية محدودة أيضاً، وهناك من الأمور الغيبية التي يتوقف العلم بها على الخبر الصادق من الرسل المبلغين عن الله تعالى ما لا مجال للعقل فيه، ضرورة أنه لا يدرك بالحواس، والخبر إذا صدق كان مجال العقل فيه بعيداً عن النفي والإثبات، وإن كانت له صولات وجولات في بيان حكمته مثلاً، وعلى فرض عدم وصوله إلى إدراك الحكمة فإن ذلك لا يؤثر على وجوده، فلا تلازم بينهما، والملائكة من عالم الغيب الذي يجب الإيمان به كما ورد وفي هذا النطاق فحسب، وللملائكة خواص ليست للبشر ولا للعالم المادي المعروف قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّتَشْنِي وَثُلُثَ وَرُبْعَ﴾^(١)، ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتُهُ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢) ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(٣) ﴿تَعْرُجُ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ

(١) فاطر: 1

(٢) التحريم: 9

(٣) الأنبياء: 19، 25

مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿١﴾، إلى غير ذلك من النصوص الواردة في القرآن والسنة، وما دامت لهم خواص غير خواص سائر المخلوقات، فإن محاولة قياس أحوالهم في السرعة وغيرها على السرعة المعروفة لنا، محاولة غير كافية للوصول إلى نتيجة صحيحة، ذلك لأن القياس، كما هو معروف، قياس مع الفارق، وما تصل إليه هذه الأبحاث لا يلزمنا تصديقها فهي لم تصل بعد إلى درجة الحقائق العلمية المسلمة، والفروض والظنون لا يجوز أبداً أن نحمل عليها آيات القرآن، أو نفسرها على ضوءها.

ونحث الباحثين - مع تسليمنا بموقف الإسلام من النظر في الكون وهو التشجيع - على أن يكون نشاطهم في النطاق الذي يمس مشاكلنا مساً قوياً في المجال الفكري والاجتماعي والأخلاقي الذي نصل به إلى المستوى اللائق بنا، وإذا صدقت النية في البحث كانت معونة الله بالتوفيق.

السؤال رقم: (25) هل صحيح أن هاروت وماروت كانا من الملائكة وعاقبهما الله على معصيته؟

الجواب: قال تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا يُرْوَىٰ وَمُرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ

(١) المعارج: 4

مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴿١﴾، جاء في كتب التفسير أنهما ملكان هبطا إلى الأرض وفتنا، فعاقبهما الله بتعليقهما من أرجلهما، وكلام المفسرين - على جلالة قدرهم - ليس حجة في هذا المقام، فهو منقول عن تراث البابليين وشروح اليهود وكتب النصارى، وأقرب الأقوال عنهما أن الناس كانوا قد فتنوا بالسحرة حتى رفعوهم إلى مقام الأنبياء، فأنزلهما الله ملكين يعلمان الناس السحر، ليفرقوا بينه وبين النبوة، ويحذروهم من الفتنة به وبهما.

أو أنهما شخصان كانا يتمتعان بمنزلة كبيرة في العلم والسلوك، فتن الناس بهما، فأطلقوا عليهما اسم الملكين، من باب التشبيه والمجاز، وهو إطلاق معروف قديماً وحديثاً، حيث يطلق الآن على الشخص الممتاز اسم "ملاك".

وفي الأساطير البابلية شخصان باسمين مقاربين لهاروت وماروت، أعجب الناس بهما فأطلقوا عليهما اسم ملكين، بل زاد الإعجاب بهما فاعتقدوا أنهما من الآلهة، وقد أقبل اليهود على تعلم ما تركاه من حكمة وسحر، وشغلوا به عن كتاب الله تعالى الذي نبذوه وراء ظهورهم.

هذا، ولا يجوز أن نلتفت إلى ما يقال عن الملائكة مما يتنافى مع عصمتهم، فهم لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ،

(١) البقرة: 102

بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ وقال تعالى ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢﴾.

السؤال رقم: (26) عندما أخبر الله سبحانه وتعالى الملائكة بأنه سيخلق بشراً قالوا له: إنه سيكون مفسداً، فكيف عرفوا ذلك؟.

الجواب: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾، جاء في كتب التفسير: أن الأرض كانت مسكونة بخلق لم يصلحوا لعمارتها كما أراد الله سبحانه وتعالى فأهلكهم، ثم قال سبحانه وتعالى للملائكة: إني سأجعل بعد هؤلاء خليفة لإدارة الأرض إدارة صالحة، فخافوا أن يكون كمن سبقوه من الذين ارتكبوا الجرائم وأفسدوا بالقتل وغيره، وقالوا: نحن خلق جُبلنا على الطاعة لك، نحمدك بكل كمال هو فيك، وننزهك عن كل نقص لا يليق بجلالك، فأخبرهم الله تعالى أنه يعلم أن الخليفة الجديد سيصلح ولا يفسد.

فالملائكة ظنت بالقياس على الخلق السابق على آدم أنه سيقتل ويسفك الدماء، ولم يعلموا أنه سيكون من لحم ودم، وأن الملائكة لم تكن تعلم الغيب المستقبل لآدم، وليس في هذا الظن علم بالغيب، ولذلك قال الله ﷻ:

(١) الأنبياء: 26، 27

(٢) الأنبياء: 19، 20

(٣) البقرة: 35

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال ﷺ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾⁽¹⁾، فعلمهم ظن أساسه القياس، وعلم الله تعالى حق أساسه الكشف واليقين.

وقيل: إن الملائكة تعرف أن الخليفة لن يكون له من علم الله وإرادته المطلقة ما يستطيع أن يحيط بكل شيء علماً، أو يعلم علماً يقينياً كاملاً مرة واحدة بل على التدرج، وعلى هذا يكون تصرفه غير حكيم، وبالتالي يكثر الفساد وقيل غير ذلك.

وقال جمهرة من المفسرين: لعل الملائكة عرفت أن هذا الخليفة سيفسد في الأرض ويسفك الدماء إما بعلم خاص من الله تعالى أو بما فهموه من الطبيعة البشرية؛ فإنه أخبرهم سبحانه وتعالى أنه يخلق هذا الصنف من صلصال، أو فهموه من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم أو يردعهم عن المحارم والمآثم، وقيل: إنهم علموا ذلك من أعمال الجن الذين أفسدوا وسفكوا الدماء قبل خلق آدم ﷺ. والله تعالى أعلم.

السؤال رقم: (27) هل إبليس من الملائكة لأن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فلم يسجد، أو هو من الجن؟

الجواب: معرفة جنس إبليس متوقفة على الخلاف في كونه من الملائكة أو لا، وهو قبل معصيته لأمر الله تعالى لا يعرف حاله بطريق ثابت، وكل ما قيل في ذلك منسوب إلى بعض الصحابة، أما بعد الإخبار عن معصيته ففي

(١) البقرة: 33

معرفة جنسه أريان:

الرأي الأول: أنه من الملائكة، واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها:

أ- ظاهر الاستثناء في قوله تعالى: ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وهو استثناء متصل يدل على أنه من الملائكة.

ب- أنه لو لم يكن من الملائكة ما كان أمر الله تعالى لهم بالسجود متناولاً له، ولو لم يكن متناولاً له استحال أن يكون تركه للسجود إباء معصية، ولما استحق العذاب، وحيث حصل ذلك علمنا أن الخطاب بالسجود يتناوله، فهو من الملائكة.

والرأي الثاني: أنه ليس من الملائكة، واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها:

1- قوله تعالى: ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾⁽¹⁾

2- أن الملائكة معصومون من العصيان لقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽²⁾. وإبليس عصى واستكبر عن السجود فهو ليس من الملائكة، وأدلة الطرفين محتملة، ومناقشة وبيان ذلك باختصار:

1- أن الاستثناء قد يكون منقطعاً فالمستثنى إبليس وليس من جنس المستثنى منه وهم الملائكة.

(١) الكهف: 50.

(٢) التحريم: 6

2- أن الأمر بالسجود أصلاً هو للملائكة ، وإبليس ملصق بهم لكثرة عبادته ، فلا يوجه إليه أمر خاص ، لأن الأمر العام يكون للكثرة الغالبة .

3- كون إبليس من الجن قد يراد به أنه من العالم المستتر ، والملائكة من العالم المستتر أيضاً ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ﴾⁽¹⁾ ، حيث قال الكفار: الملائكة بنات الله تعالى ، والدليل الذي جيء له لإثبات أنه ليس من الملائكة بأنهم معصومون ، وإبليس أخطأ دليل قوي ، فإن الثابت أن الجن منهم مؤمنون ومنهم كافرون ، والآيات في ذلك كثيرة وليس في الملائكة كافرون .

السؤال رقم: (28) هل صحيح أن بعض الحيوانات ترى ملك الموت عند نزوله إلى الأرض؟

الجواب: الثابت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيْحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهْيَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا». والثابت أيضاً عن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَتْ وَسَكَتَتْ الْفَرَسُ ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَأَنْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «افْرَأْ يَا بَنَ حُضَيْرٍ اْفْرَأْ يَا بَنَ حُضَيْرٍ» قَالَ فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى

(١) الصفات: 158

وَكَانَ مِنْهَا قَرِيباً فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَأَنْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا
 مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ فَخَرَجْتُ حَتَّى لَا أَرَاهَا، قَالَ: وَتَدْرِي مَا
 ذَاكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِمَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحْتَ يُنْظَرُ
 النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ»^(١)، وروى النسائي والحاكم أن النبي ﷺ قال
 «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبْحَ الْكِلَابِ وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ مِنَ اللَّيْلِ فَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا تَرَى مَا
 لَا تَرَوْنَ وَأَقْلُوا الْخُرُوجَ إِذَا هَدَأَتْ الرَّجُلُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْثُ فِي لَيْلِهِ مِنْ
 خَلْقِهِ مَا شَاءَ» وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم.

يؤخذ من هذا أن الحيوانات ترى من مخلوقات الله تعالى المغيبة عنا ما
 لا يراه الإنسان، لكن الربط بين حيوان بعينه وما يراه إن كان ملكاً أو شيطاناً
 يقتصر فيه على ما أخبرنا به النبي ﷺ بطريق صحيح، ولم أعثر على حديث
 يعتمد عليه في الاعتقاد بأن الكلب يرى ملك الموت كما هو شائع بين العامة.

*** ** **

(١) رواه البخاري ومسلم

فصل في الرسل آدم

السؤال رقم (29): هل ورد حديث <إن الله خلق آدم على صورته>؟

الجواب: روى البخاري في كتاب الاستئذان ومسلم في بيان صفة الجنة أن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق آدم على صورته» وفي رواية مسلم: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً». وفي آخرها: «فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن» (178/17).

والضمير في قوله «صورته» يصح أن يكون راجعاً إلى الله تعالى، أي خلقه على صفة الله من الحياة والعلم والسمع والبصر وغيرها، أو يكون راجعاً إلى آدم، أي أن الله أوجده على هذه الصورة والهيئة التي خلقه عليها، لم ينتقل في النشأة أحوالاً، ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته، بل خلقه رجلاً كاملاً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح.

وهذا التفسير يرد على الطبيعيين والماديين أصحاب مذهب النشوء والارتقاء، الذين يزعمون أن آدم أصله قرد تطور حتى صار بهذا الشكل، وإذا كانت هناك غرابة في طوله وهو ستون ذراعاً كما رواه البخاري ومسلم، فإن أثر البيئة على طول الأجسام وقصرها معروف في كثير من المناطق في العالم كله، والمسافة بين خلق آدم وبعثة الرسول فوق ما نقل عن الأخباريين من أهل الكتاب الذين قالوا: إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة.

على أن للذراع معاييرَ مختلفة، فقدر بقبضة النّصل أو السيف أو الرمح أو القناة، وقدره البعض بخمسة سنتيمترات، فيكون طول آدم ثلاثة أمتار، وهو معقول .

يقول الإمام الغزالي في كتابه «الإملاء على إشكالات الإحياء» المطبوع على هامش الإحياء (168/1) تعليقاً على هذا الحديث: للعلماء فيه وجهان: فمنهم من يرى للحديث سبباً، وهو أن رجلاً ضرب غلامه، فرآه النبي ﷺ فنهاه وقال: <إن الله تعالى خلق آدم على صورته> وتأولوا عودَ الضمير على المضروب.

والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في <صورته> عائداً إلى الله سبحانه، ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي إلى الله سبحانه .

وهذا العبد المضروب على صورة آدم، فإذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى .

السؤال رقم (30): هل صحيح أن سيدنا آدم دفع مهراً للسيدة حواء الصلاة على النبي؟

الجواب: جاء في <المواهب اللدنية> للقسطلاني وشرحها للزرقاني (25/1) أن الله سبحانه لما خلق آدم خلق له حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومد يده إليها فمنعته الملائكة حتى يؤدّي مهرها، فقال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ﷺ ثلاث مرات. وذكر ابن الجوزي المتوفى سنة 795 هـ في كتابه «سلوة

الأحزان» أنها لما سمعت كلام الملائكة طلبت مهرها من آدم فسأل ربه كم يعطيها؟ فقال: صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة، ففعل، وجاء في بعض الروايات أن الله زوجه إياها وخطب في ذلك خطبة. ولم يذكر الكتاب سند هذا الكلام ولا درجته من القبول وعدمه، فنحن في حل أن نصدقه أو لا نصدقه. ولا يضرنا الجهل به.

السؤال رقم (31): هل صحيح أن الله لم يتب على آدم إلا بعد أن استشفع بسيدنا محمد؟

الجواب: جاء في «المواهب اللدنية» للقسطلاني وشرحها للزرقاني «62/1» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما اقترب آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فعلمت أنك لم تضيف إلي اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب خلق الله إليّ، وإذ سألتني بحقه قد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك» رواه البيهقي في «دلائل النبوة» من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال البيهقي: تفرد به عبد الرحمن، أي لم يتابعه عليه غيره فهو غريب مع ضعف راويه، ورواه الحاكم وصححه، وذكره الطبراني وزاد في آخره: «وهو آخر الأنبياء من ذريتك».

يؤخذ من هذا أن استشفاع سيدنا آدم بسيدنا محمد ، ليس حديثاً

صحيحاً ولا حسناً، بل هو ضعيف، ولا تثبت به عقيدة، ولا يكفر من يكذب ذلك.

السؤال رقم (32): يقول الله سبحانه: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيئاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا}، كيف يشرك آدم وحواء بسبب الذرية؟

الجواب: التفسير المناسب لنفي الشرك عن آدم وحواء هو أنه لما تغشاها شعرت بالحمل أول الأمر خفيفاً، فاستمرت في حياتها العادية لا تعاني تعباً، حتى إذا ثقل الحمل دعوا الله أن يشكراه إن ولد لهما نسل صالح، فرزقهما الله ولدين صنفين، ذكراً وأنثى، وباستمرار عملية الإنجاب وتكاثر الذرية وتعاقب الأجيال وتباعد العهد بالرسالات نسي بعض الصنفين فضل ربهما في الخلق والإنعام، فجعلوا له شركاء فيما آتاهما، وعبداها من دون الله، أو لتقربهما إليه زلفى كما فعل كفار مكة عند ظهور الإسلام، وهم المقصودون بهذه الآيات كما قاله أكثر العلماء.

وبهذا التفسير الذي يتفق مع أسلوب اللغة العربية التي نزل بها القرآن، من عود الضمائر أحياناً على اللفظ، وأخرى على المعنى، يستقيم معنى الآية ويتلاءم مع ما يجب للأنبياء من عصمة.

ذكر السيوطي في الإتيان (90/1) أن الآية في آدم وحواء كما جاء

مصرحاً به في حديث أخرجه أحمد والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه. وقال: كيف نسب الإشراف إليهما وآدم نبي والأنبياء معصومون منه قبل النبوة وبعدها إجماعاً؟ وقد جرّ ذلك إلى أن بعض العلماء حمل الآية على غير آدم وحواء، وتعدى ذلك إلى تعليل الحديث والحكم ببنكارتته، وذكر أن آخر الآية كان في العرب وشركهم، حيث عاد الضمير في أولها على الاثنين، وفي آخرها على الجمع ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ولا بد من حمل التعبيرات المتشابهة على ما لا يطعن في عصمة الأنبياء.

السؤال رقم (33): ما هي الجنة التي كان بها سيدنا آدم، هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى؟

الجواب: هناك خلاف بين العلماء في الجنة التي أسكن الله آدم فيها، وأخرجه وأخرج إبليس منها، هل هي الجنة التي أعدها الله ثواباً للمؤمنين بعد البعث والحساب، أو هي جنة في الدنيا أي بستان من البساتين؟
 جاء في المواهب اللدنية للقسطلاني وشرحها للزرقاني (61/1) وفي تفسير القرطبي (302/1) أن جمهور الأشاعرة قالوا: هي جنة الخلد، بل حكى إجماع أهل السنة عليه، لأن اللام في قوله تعالى: ﴿وَيَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: 19] هي لام العهد، ولا معهود ولا معروف إذ ذاك غيرها، ولقوله تعالى في وصفها: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ ۗ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ [طه: 118، 119] وذلك صفة جنة الخلد، ولقوله تعالى: ﴿اهبطوا﴾ والهبوط يكون من علو إلى أسفل، ولا يستقيم ذلك في

بستان مخلوق على الأرض، ولأن موسى لما التقى آدم عليهما السلام، وقال له: «أنت أتعبت ذريتك وأخرجتهم من الجنة، لم ينكر ذلك آدم»، وإنما قال: «أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن أخلق» الحديث صحيح، ولو كانت غيرها لرد على موسى.

وقيل: هي غير جنة الخلد، حكاه منذر بن سعيد، زاعماً كثرة الأدلة عليه، وحكاه الماوردي وابن عقيل والقرطبي والرماني وغيرهم.

واختلف القائلون به، فقال بعضهم: هي بستان بأرض عدن، كما في القرطبي، أو بأرض فلسطين، أو بين فارس وكرمان كما في البيضاوي.

وقال الرازي وابن عقيل: وَيَحْمِلُ هُوَلاء الهبوط على الانتقال من بقعة إلى بقعة، كما في قوله تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: 61].

وقيل: هي جنة أخرى كانت في السماء السابعة. وهو قول أبي هاشم ورواية عن الجبّابي. قال ابن عقيل: وهي دعوى بلا دليل، فلم يثبت أن في السماء غير بساتين جنة الخلد. وقال هؤولاء: إن جنة الدنيا جعلها الله دار ابتلاء لآدم وحواء، لأن جنة الخلد إنما يُدخَل إليها يوم القيامة، وهذه دخلت قبله، ولأن جنة الخلد دار ثواب وجزاء وليست دار تكليف وأمر ونهي، ودار سلامة من الآفات والخوف وليست دار ابتلاء ومحن، ودار قرار لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ [الحجر: 48] وليست دار انتقال، وآدم وحواء وإبليس انتقلوا منها.

وأجاب القائلون بأنها جنة الخلد: بأن الدخول العارض غير الدائم قد

يقع قبل يوم القيامة ، بدليل أن نبينا محمداً ﷺ دخلها ليلة الإسراء ثم خرج منها ، وأخبر بما فيها وأنها جنة الخلد حقاً ، وبأن ما ذكره أهل الرأي الثاني من أن الجنة لا يوجد فيها ما وجد آدم من الحزن والنصب والتعب بانكشاف عورته ومحاولة تغطيتها بورق الجنة إنما هو إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فإن نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها . يقول الزرقاني : ليس الرأيان متساويين ، فقد قال القرطبي : هي جنة الخلد ولا التفات إلى ما ذهب إليه المعتزلة والقدرية من أنها جنة دنيوية في عدن ، وذكر أدلتهم وردها بما يطول .

ورجح الرماني في تفسيره أنها جنة الخلد أيضاً ، وقال : هو قول الحسن وعمر وواصل . وعليه أهل التفسير .

هذه صورة من الخلاف حول الجنة التي سكنها آدم وخرج منها ، وهو أمر لا يجب علينا اعتقاده ، والذي يهمنا هو العمل الصالح حتى نعود إلى الله ويمتتنا بجنة النعيم .

السؤال رقم (34) ما هي الأسماء التي علمها الله لآدم عليه السلام؟

الجواب : قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 31] . الأسماء التي علمها الله تعالى لآدم ليس فيها نص صحيح ، وكل ما ورد فهو أقوال اجتهادية ومن أقرب الأقوال في كيفية التعليم أن الله تعالى أعطى آدم القدرة على تسمية أي شيء يعرض عليه ، عن طريق العقل والاستنباط والملائكة لا يمكنها

أن تستقل بذلك ، فما علمته من الله تعالى علمته ، وما لا فلا ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ
لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: 32].

جاء في تفسير القرطبي (282/1) قوله: اختلف أهل التأويل في معنى
الأسماء التي علمها لآدم عليه السلام فقال ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة وقتادة
ومجاهد وابن جبير: علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها. وروى
عاصم بن كليب عن سعد مولى الحسن بن علي قال: كنت جالساً عند ابن
عباس فذكروا اسم الآنية واسم السوط ، قال ابن عباس ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ
كُلَّهَا ﴾ قلت - أي القرطبي -: وقد روى هذا المعنى مرفوعاً على ما يأتي وهو
الذي يقتضيه لفظ "كلها" وذكر حديث البخاري في الشفاعة العظمى وأن
المؤمنين قالوا لآدم: وعلمك أسماء كل شيء، قال ابن عباس: هي
هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وسماء، وأرض،
وسهل، وبحر، وجمل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. وقال
الطبري: علمه أسماء الملائكة وذريته، واختار هذا ورجحه بقوله: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ وذكر القرطبي أقوالاً أخرى، واختار أنه علمه أسماء جميع
الأشياء كلها جليلها وحقيرها.

من هذا نرى أن الأسماء ليس في المراد منها نص صريح صحيح،
والأقوال كلها اجتهادات، ولا داعي لإرهاق أنفسنا في معرفتها، ولولا أن
الأسئلة بشأنها طرحت علينا لما اهتممنا بالإجابة عليها.

السؤال رقم (35): بعد أن طرد الله إبليس من الجنة كيف استطاع أن يوسوس لآدم وهو في الجنة؟ وكيف تمت الوسوسة وهو خارج الجنة وهما في داخلها؟

الجواب: قال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: 20-21].

يفيد ظاهر الآية أن الحديث معهما كان عادياً بالنطق والمشافهة، وليس حديث نفس ألقى في قلبهما منه، والحديث الشفوي قد يسمى وسوسة، وبخاصة إذا كانت فيه سرية. وإن الكلام كثير في كيفية هذه الوسوسة، وليس له سند صحيح يعتمد عليه، ولا يبعد أبداً أن يكون إبليس قد وقف على باب الجنة ولم يدخلها وتحدث مع آدم وحواء، ويُعلم من هذا أنه لم يدخل الجنة بعد أن طرده الله منها.

وما يقال من أن إبليس دخلها في جوف حية، وكان منظرها جميلاً، ولما أبت كل الحيوانات إدخاله قبلت هي ذلك، فحولها الله إلى هيئتها المعروفة لنا وصارت من أعدى الحيوانات لبني آدم، ليس عليه دليل معتبر.

السؤال رقم: (36) قرأنا في الكتب أن محاجةً حدثت بين آدم عليه السلام وموسى عليه السلام، وأن آدم غلبه لأن موسى اعترض على قضاء الله فكيف يصح ذلك؟

الجواب: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة؟ قال له آدم: يا موسى اضطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثاً». وجاء هذا الحديث بروايات أخرى.

المراد بقوله: «خط لك بيده» ألواح التوراة، والأربعون سنة هي ما بين قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 30) إلى نفخ الروح فيه، أو هي مدة لبثه طيناً إلى أن نفخت فيه الروح. وقد تحدث شراح الحديث وكثرت أقوالهم لتوضيح الصلة بين قدر الله تعالى ومسؤولية العبد.

وخلاصة أقوالهم ما يأتي:

أنكر القدرية هذا الحديث لأنه يثبت القدر وهم لا يقولون به، إذ لو صح لاحتج كل مخالف بالقدر السابق، ولو ساغ ذلك لانسد باب القصاص والحدود ولاحتج به كل أحد على ما يرتكب من الفواحش، والمثبتون للحديث ردوا عليهم، ووضحوا كيف كانت الغلبة لآدم على موسى بقولهم:

(أ) إن موسى عليه السلام كان له مثل حال آدم عليه السلام حيث قتل نفساً لم يؤمر بقتلها وتاب الله تعالى عليه كما تاب على آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَجْبَاهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ (١) وقال في شأن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴿١٦﴾﴾ (القصص: 16) وليس من اللائق أن

(١) طه: 121-122.

يلوم أحد غيره على حال وقع مثلها له .

(ب) إن اللوم على المخالفة يكون مشروعاً إذا كان قبل التوبة، أما بعدها فلا فائدة تذكر منه .

(ج) إن لوم موسى عليه السلام لآدم عليه السلام كان بعد موته وانتقاله من دار التكليف إلى دار الجزاء، حيث كان لقاؤهما على أرجح الأقوال في البرزخ بعد موت موسى عليه السلام، فالتقت أرواحهما في السماء كما جزم بذلك ابن عبد البر والقاسبي، وإذا كان الله تعالى قد لام آدم عليه السلام في الدنيا بقوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾⁽¹⁾ وهو أكرم من أن يشني العقوبة على عبده كما ورد، فلا يسوغ لموسى عليه السلام أن يؤنب آدم عليه السلام، والله سبحانه وتعالى بكرمه لا يؤنبه بعد موته، وقد ورد أيضاً النهي عن التثريب على الأمة التي زنت وأقيم عليها الحد .

هذا، ولا يجوز أن يكون هذا الحديث متكاً لمن يقترف معصية، فإذا وجه إليه اللوم يقول: هذا قدر الله تعالى كما قال آدم عليه السلام، وذلك لأن من كان باقياً في الدنيا وهي دار التكليف فإن الأحكام تجري عليه من لوم وعقوبة ونحوهما .

قال النووي: ولأن اللوم على الذنب شرعي لا عقلي، وإذا تاب الله تعالى على آدم وغفر له زال عنه اللوم، فمن لومه كان محجوجاً بالشرع، فإن قيل: فالعاصي منا لو قال: هذه المعصية قدرها الله تعالى عليّ لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك وإن كان صادقاً فيما قاله، فالجواب أن هذا العاصي باقٍ

(١) الأعراف: 22

في دار التكليف جارٍ عليه أحكام المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها ، وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل ، وهو محتاج إلى الزجر ما لم يمت ، فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة إلى الزجر ، فلم يكن في القول المذكور له فائدة ، بل فيه إيذاء وتخجيل . والله تعالى أعلم .

إبراهيم

السؤال رقم (37): قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى} ١٨ صُحُفِ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} فأين نجد صحف إبراهيم وموسى؟

الجواب: من المعلوم أن الكتب التي نزلت على الأنبياء السابقين كانت في تشريعاتها متناسبة مع الأقسام الذين أرسل إليهم الرسل ، ولا يكلف قوم بغير ما جاء به رسولهم ، فهي تشريعات خاصة وتاريخية أي قاصرة على زمانها تنسخها الشريعة التي تأتي بعدها ، وكان خاتمة الكتب القرآن الكريم الذي نزل على خاتم الرسل ، فليس بعدهما كتاب ولا رسول ، والأمة الإسلامية ليست مكلفة بما جاء في الكتب السابقة لأمرين: أولهما: أنها خاصة بأقوامهم . وثانيهما: أنها ليست مقطوعة الصحة ، وقد أخبر القرآن الكريم عن تحريفها في أكثر من آية ، بل عن اختلاق جماعة لكلام وادعاء نسبتته إلى رسولهم ليكون وحيًا له القداسة عندهم .

مع العلم بأن أصول العقائد والأخلاق التي لا تتغير بتغير الأزمان والأقسام واحدة في كل ما جاء به الرسل السابقون ، والمخالفة هي في التشريعات العملية التي تتناسب مع هؤلاء الأقسام ، والقرآن جاء مقررًا للصواب ومصححًا لما دخله التحريف منها ، تاركًا التشريعات لمن نزلت

عليهم، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48].

وبخصوص صحف إبراهيم لا يوجد خبر صحيح عما فيها، ولا عن وجودها الآن، وقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ باتباع ملة إبراهيم كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123]، والظاهر أن الاتباع هو في عقيدة التوحيد والعقائد الأساسية كما يفهم من وصفه بقوله: ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ومع ذلك إذا كان الاتباع في بعض ما جاء من التشريع فهو صحيح ما دام لم يأت في الإسلام ما يخالفه على رأي من قال بذلك من علماء الأصول. ومما أخذناه من شريعة إبراهيم الختان. ولا حاجة إلى معرفة ما نزل على إبراهيم من صحف. ففي قرآننا كل خير ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

ومع ذلك ذكر المفسرون بعض ما في هذه الصحف، ففي القرطبي (24/2): روى الأجرى من حديث أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالا كلها، أيها الملك المتسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها ولو كانت من فم كافر. وكان فيها أمثال: وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه،

وساعة يحاسب فيها نفسه، يفكر فيها في صنع الله عز وجل إليه، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاد، ومرمة لمعاش، ولذة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه. ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه».

قال: قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب. وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل!

قال: قلت: يا رسول الله فهل في أيدينا شيء مما كان في يدي إبراهيم وموسى مما أنزل الله عليك؟ قال «نعم، اقرأ يا أبا ذر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾.

وابن جرير الطبري اختار أن الذي في صحف إبراهيم وموسى هو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾. ووافقه ابن كثير في هذا الاختيار، وأورد عن النسائي عن ابن عباس أن سورة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ كلها في صحف إبراهيم وموسى. ذكره ابن عساكر عن أبي ذر [كنز العمال 44158] وأخرجه ابن حبان (76/2، رقم 361)، وأبو نعيم في الحلية (166/1) وكلها روايات لا يلزمنا اعتقاد ما فيها، وقرآنا هو خير كتاب نأخذ منه

هدايتنا، فهو يهدي للتي هي أقوم.

السؤال رقم (38): صح في حديث الشفاعة يوم القيامة أن إبراهيم امتنع عنها لأنه كذب على ربه ثلاث مرات، فما هي هذه الكذبات وكيف يتفق ذلك وعصمة الأنبياء؟

الجواب: روى البخاري ومسلم حديث الشفاعة وطلب الناس من إبراهيم عليه السلام أن يشفع لهم فامتنع وقال: إني كذبت ثلاث كذبات. وهي قوله عندما سألوه عن كسر الأصنام ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ (الأنبياء: 63) وقوله عندما نظر في النجوم ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (الصفات: 89) وقوله عن زوجته سارة إنها أخته. وأجاب العلماء عن الأولى بأن إبراهيم لم يكذب، بل أثبت أنه صادق ولكن بطريقة غير مباشرة، أو كان صدقه قضية تحمل معها دليلها، ولذلك لما أجابهم إبراهيم عليه السلام بأن الذي كسر الأصنام هو كبيرهم رجعوا إلى أنفسهم يتهمونها بالغباء، لاعتقادهم ألوهية من لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، ولا يرد عن نفسه كيداً، ولكن العناد جعلهم يتمادون في مجادلته وتكذيبه. ولجؤوا أخيراً إلى التهديد باستعمال القوة والعنف، وهو سلاح كل عاجز عن الاستمرار في المحاجة المنطقية.

وأجابوا عن الثانية وهي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ بأنه كان بالفعل سقيماً، وسقمه نفسي، وذلك من تماديهم في الباطل على الرغم من قوة الحجة، كما قال الله تعالى في حق سيدنا محمد ﷺ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: 6)، فقد أوهمهم إبراهيم أنه

سقيم الجسم على ما كانوا يعتقدون من تأثير الكواكب في الأجسام وهو في الوقت نفسه سقيم النفس . وهذا الأسلوب من المعارض التي فيها مندوحة عن الكذب .

وأجابوا عن الثالثة وهي وصف زوجته بأنها أخته - بأنه صادق في هذا الوصف لأنها أخته في الدين كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةٌ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ فَقَالَ يَا سَارَةُ: لَيْسَ عَلَيَّ وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنٍ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي فَلَا تُكَذِّبِينِي فَأَرْسَلْ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ فَدَعَتِ اللَّهَ فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أَضْرُكَ فَدَعَتِ اللَّهَ فَأُطْلِقَ فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ فَقَالَ إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ فَأَخْدَمَهَا هَاجِرَ فَاتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ مَهِيمٌ قَالَتْ رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ أَوْ الْفَاجِرِ فِي نَحْرِهِ وَأَخْدَمَ هَاجِرَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ تِلْكَ أُمَّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ» .

ومعنى "مهيم" ما شأنك وما خبرك؟ ومعنى "أخدمني خادماً" أعطاني جارية تخدمني وهي هاجر، والخادم يقع على الذكر والأنثى، والمراد "بماء

السماء" العرب كلهم لخلوص نسبهم وصفائه، وقيل: لأن أكثرهم أصحاب مواش وعيشهم من المرعى والخصب وما ينبت بماء السماء وقيل: المراد بهم الأنصار نسبة إلى جدّهم "الأدّد" وكان يعرف بماء السماء.

جاء في شرح مسلم للنووي لهذا الحديث أن المازري قال: إن الكذب الذي يعصم منه الأنبياء هو الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله تعالى، أما في غير ذلك ففي إمكان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف، وذكر أن ما قاله إبراهيم عن سارة تورية وهي جائزة، وليست كذباً، ولو كان كذباً لكان جائزاً في دفع الظالمين، فقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنساناً مختفياً ليقته أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصباً وسأل عن ذلك وجب على من علم ذلك إخفاؤه وإنكار العلم به، وهذا كذب جائز بل واجب لكونه في دفع الظالم، ثم نقل عن المازري قوله: لا مانع من إطلاق الكذب على ما حدث من إبراهيم كما أطلقه النبي ﷺ ومع ذلك فالتأويل صحيح لا مانع منه.

ثم حمل قوله ﷺ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على أنه سيسقم، لأن الإنسان عرضة للسقم، وأراد به الاعتذار عن الخروج معهم إلى عيدهم وشهود باطلهم وكفرهم، وقيل: سقيم بما قدر عليّ من الموت وقيل: كانت تأخذه الحمى في ذلك الوقت.

السؤال رقم (39): جاء على لسان إبراهيم عليه السلام أنه قال لرب العزة: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن

لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي} [البقرة: 260] فلماذا سأل إبراهيم هذا السؤال، هل

كان شاكاً في قدرة الله، وما هي الصلة بين الإيمان والاطمئنان؟

الجواب: قال المفسرون: إن هذا القول لم يصدر عن إبراهيم عليه السلام عن شك في قدرة الله على إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة، فليس الخبر كالعيان.

وقال الأخفش: لم يرد رؤية القلب، وإنما أراد رؤية العين. وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير: سأل ليزداد يقيناً إلى يقينه.

كل ذلك لاعتقادنا في عصمة الأنبياء عن كل ما يؤثر على الطاعة لله والإيمان الصادق به.

لكن جاء في حديث البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم...» وأجيب عنه بأن معناه أنه لو كان شاكاً لكننا نحن أحق به، ونحن لا نشك في إبراهيم أجدر ألا يشك، لأنه مؤمن بإحياء الله للموتى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهِيمَ فِي رِيبِهِ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258].

فهو مؤمن بذلك ويطلب رؤية الكيفية ليزداد يقيناً، أي يريد الترقى من علم اليقين إلى حق اليقين كما يعبر بعض العلماء.

موسى

السؤال رقم (40): هل صحيح أن موسى عليه السلام لطم ملك

الموت عندما أراد أن يقبض روحه؟

الجواب: روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ممه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن. فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر».

قال القرطبي «132/6»: واختلف العلماء في تأويل لطم موسى عين الملك وفقهها على أقوال، منها: أنها كانت عيناً متخيلة لا حقيقية، وهذا باطل، لأنه يؤدي إلى أن ما يراه الأنبياء من صور الملائكة لا حقيقة له، ومنها أنها كانت عيناً معنوية، وإنما فقأها بالحجة. وهذا مجاز لا حقيقة، ومنها أنه عليه السلام لم يعرف ملك الموت، وإنما رأى رجلاً دخل منزله بغير إذنه يريد نفسه، فدافع عن نفسه فلطم عينه ففقأها. وتجب المدافعة في هذا بكل ممكن، وهذا وجه حسن، لأنه حقيقة في العين والصك. قاله الإمام أبو بكر بن خزيمة، غير أنه اعترض عليه بما في الحديث، وهو أن ملك الموت لما رجع إلى الله تعالى قال: يا رب أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فلو لم يعرفه موسى لما صدق القول من ملك الموت. وأيضاً قوله في الرواية الأخرى: أجب ربك. يدل على تعريفه بنفسه. والله أعلم.

ومنها أن موسى عليه الصلاة والسلام كان سريع الغضب، إذا غضب طلع الدخان من قلسوته ورفع شعر بدنه جبته، وسرعة غضبه كانت سبباً لصكه ملك الموت. قال ابن العربي: وهذا كما ترى، فإن الأنبياء معصومون من أن

يقع منهم ابتداء مثل هذا في الرضا والغضب .

ومنها -وهو الصحيح من هذه الأقوال -أن موسى عليه الصلاة والسلام عرف ملك الموت ، وأنه جاء ليقبض روحه ، لكنه جاء مجيء الجازم بأنه قد أُمرَ بقبض روحه من غير تخيير ، وعند موسى ما قد نص عليه نبيُّنا محمد ﷺ من «أن الله لا يقبض روح نبي حتى يخيره» فلما جاء على غير هذا الوجه الذي أعلم بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدبه ، فلطمه ففقأ عينه امتحاناً لملك الموت ، إذ لم يصرح له بالتخيير .

ومما يدل على صحة هذا أنه لما رجع إليه ملك الموت فخيره بين الحياة والموت اختار الموت واستسلم ، والله بنبيه أحكم وأعلم . هذا أصح ما قيل في وفاة موسى عليه السلام ، وقد ذكر المفسرون في ذلك قصصاً وأخباراً الله أعلم بصحتها ، وفي الصحيح غنية عنها . وكان عُمرُ موسى مئةً وعشرين سنة ، فيروى أن يوشع رآه بعد موته في المنام فقال له: كيف وجدت الموت؟ فقال: كشاة تسلخ وهي حية ، وهذا صحيح معني . قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إن للموت سكراتٍ» انتهى ما قاله القرطبي .

وجاء في «مشارك الأنوار» للعدوي ص14: أخرج أحمد والبخاري وصححه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كان ملك الموت يأتي الناس عياناً ، فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه ، فكان بعد يأتي الناس خفية» وذكر العارف الشعرائي - بعد أن حكى رواية للإمام الترمذي بمثل هذا :- إنما فقأ موسى عينَ ملك الموت بإذنٍ من ربه عز وجل لأنه معصوم ، ولذلك لم يعاقبه الله على ذلك .

وجاء في كتاب «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة 276 هـ «ص 86»: أن الله أعطى الملائكة قوة تتشكل بها كما تشاء، كما أعطى الجن هذه القوة، ثم قال: ولما تمثل ملك الموت لموسى عليه السلام، وهذا ملك الله وهذا نبي الله، وجاذبه لطمه موسى لطمه أذهبت العين التي هي تخيل وتمثيل، وليست حقيقة، وعاد الملك إلى حقيقة خلقته الروحانية كما كان لم ينتقص منه شيء.

السؤال (41): ما هي الآيات التسع التي آتاها الله سبحانه وتعالى

لسيدنا موسى عليه السلام؟

الجواب: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾^(١)، اختلف المفسرون في المراد بهذه الآيات، فقيل: هي بمعنى آيات الكتاب كما روى الترمذي والنسائي عن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي صلى الله عليه وسلم فقال صاحبه: لا تقل نبي إنه لو سمعك كان له أربعة أعين فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع آيات بينات فقال لهم: «لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا بيريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحرُوا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقدفوا محصنة، ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعلينكم خاصة اليهود ألا تعتدوا في السبت، قال فقبلوا يده ورجله فقالا نشهد أنك نبي، قال: فما

(١) الإسرائيليات: 101

يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي؟ قَالُوا: إِنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ أَلَّا يَزَالَ فِي ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ تَبِعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودُ».

وقيل: إن الآيات بمعنى المعجزات والدلالات، وهي:

- 1- العصا: قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾⁽¹⁾.
- 2- اليد: قال تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾⁽²⁾.
- 3- اللسان: قال تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾⁽³⁾.
- 4- البحر: قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾.
- 5- الطوفان. 6- الجراد. 7- القمل. 8- الضفادع.
- 9- الدم: قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾⁽⁵⁾، وقيل غير ذلك. انظر تفسير القرطبي (10/335).

يوسف

السؤال رقم (42): من هم أخوة يوسف الذين سجدوا له وما هي الكواكب التي رآها وكيف كان السجود ليوسف؟

(١) الشعراء: 32.

(٢) الشعراء: 33.

(٣) طه: 27، 28.

(٤) الشعراء: 63.

(٥) الأعراف: 133.

الجواب: يقول الله سبحانه ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4] ويقول: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 100].

في هاتين الآيتين ثلاث نقاط: الأولى أسماء الكواكب وكيف سجدت، والثانية عدد إخوة يوسف وأسمائهم، والثالثة كيف يسجدون لمخلوق والسجود لا يكون إلا لله؟

1- أما أسماء الكواكب فلا يعنينا معرفتها، لأن المقصود هو العبرة والموعظة ومع ذلك قال القرطبي في تفسيره: إن أسماءها جاء ذكرها مسنداً، رواه الحارث بن أبي أمية قال: جاء بستانه -وهو رجل من أهل الكتاب- فسأل النبي عنها فقال: «الحرثان والطارق والذبال وقابس والمصبح والصروح وذو الكنفات وذو القرع والغليق ووثاب والعمودان» والله أعلم بصحة هذا الحديث، كما أن بعض الأسماء مختلف في نطقها، ولا يهمنا كل ذلك كما أن كيفية سجودها غير معلومة بطريق صحيح، ويكفي أن يكون بأدنى قرب منه.

2- أما إخوة يوسف فأحد عشر، وهم: روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون ويشجر ودان ونفتالي وجاد وأشر وبنيامين، والنطق مختلف عما في التوراة وفي كتب أخرى، وذلك أيضاً غير مهم.

3- أما سجود إخوته له فكان سجود تحية وليس سجود عبادة بالاتفاق عند جميع العلماء، كما سجد الملائكة لآدم، وكان ذلك من عرفهم، والأعراف

مختلفة، وما زال الانحناء والانبطاح على الأرض إلى حد تقرب فيه الجبهة من الأرض تحية في بعض الشعوب إلى اليوم ومنها شعوب إسلامية، والإسلام لا يوافق على التحية بالسجود، وقد نهى النبي ﷺ من أراد أن يسجد له كما يفعل مع الملوك، وذكر القرطبي حديثاً خرّجه أبو عمر في التمهيد عن أنس قال: قلنا: يا رسول الله أينحني بعضنا إلى بعض إذا التقينا؟ قال: «لا»، قلنا: أفيعتنق بعضنا بعضاً؟ قال: «لا»، قلنا: أيصافح بعضنا بعضاً؟ قال: «نعم».

السؤال رقم (43): ما المقصود بالبرهان في قوله تعالى عن سيدنا

يوسف: **{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِئْسَ وَهَمٌّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَانَ رَبِّهِ}** [يوسف: 24]؟

الجواب: قبل الإجابة لابد أن نعلم أن يوسف لم يهجم بها بفاحشة، لأنها عرضت نفسها عليه بالمرادة مع تهيئة لكل الأسباب لنيل غرضها وإغرائه وعمل كل ما يطمئنه على عدم مؤاخذته. فقال «معاذ الله» والهجم السيئ بها لم يحصل لأنه رأى برهان ربه، وفي هذا البرهان كلام كثير لا يستند إلى دليل صحيح، والأقرب إلى الفهم أن الله ألهمه أنه لو هجم بها ضرباً لمنع نفسه منها حيث جذبته بقوة لتنال غرضها بعد أن فشلت المحاولة السلمية لأدّى ذلك إلى ارتكاب جناية عاقبتها الدنيوية سيئة. فالبرهان إلهام من الله لإدراك العاقبة.

ويقرب من هذا المعنى ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن «زليخا» قامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب فقال: ما تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني في هذه الصورة، فقال يوسف: أنا أولى أن أستحي من الله.

يقول القرطبي: وهذا أحسن ما قيل فيه، لأن فيه إقامة الدليل.

داود

السؤال رقم (44): ما رأي الدين فيما نراه في بعض الكتب أن سيدنا

داود عليه السلام أحب امرأة متزوجة فانتزعتها من زوجها وتزوجها؟

الجواب: إن القرآن تحدث عن سيدنا داود عليه السلام بما يتناسب مع مقام النبوة واصفاً له بأنه أواب رجاع إلى الله، آتاه الله الملك والحكمة وفصل الخطاب، وألان له الحديد وعلمه منطق الطير، وعصمه كما عصم جميع الأنبياء مما يخل بقدره وشرفه.

وليس من المعقول أن يغتصب امرأة لا تحل له، أو يفكر في حيلة يتخلص بها من زوجها ليتزوجها هو، إن هذه الحادثة يتنزه أن يتورط فيها واحد من عامة الناس فكيف بالمصطفين الأخيار من رسل الله الذين بُعثوا للدعوة إلى القيم الأخلاقية العالية؟! وحاول المغرمون بالغرائب والناقلون عن أهل الكتاب دون تحوط لما ينقلون أن يَحْمِلُوا على تلك الحادثة قول الله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْحَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً وَاِلَى نَعْمَةٍ وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا

لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَعَابٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ [ص: 21 - 26].

إن ظاهر الآيات يدل على خصومة حقيقية بين فريقين في غنم مشتركة
بينهما، وأن داود عليه السلام وقع في خطأ، استغفر ربه منه وخر راکعاً
ورجع إلى الله، كما أن أمر الله لداود بالحكم بالحق وعدم اتباع الهوى قد
يفهم منه أنه ظلم في حكمه ومال مع الهوى، فكيف يكون ذلك؟ إن الكلام
في تفسير هذه الآيات كثير، وادّعى بعض المفسرين أن «النعجة» هي المرأة،
وأن القصة درس لداود الذي طمع في زوجة القائد «أوريا» ولم يقنع بما عنده
من النساء. وهو كلام يتنافى مع مقام الأنبياء.

ومن أحسن ما قيل في ذلك أن الخصومة حقيقية في شركة أغنام، وأن
المتخاصمين أرادا التحاكم إلى داود على عجل حتى يحسم النزاع، غير أن
داود كان إذ ذاك في خلوته الخاصة، يعبد ربه كنظام وضعه لنفسه في توزيع
أعماله بين الله والناس، ولم يجد الخصمان وسيلة للوصول إليه إلا تسور
المحراب الذي يتعبد فيه، فظن داود أن مجيئهم في هذا الوقت وبهذه الصورة
يراد به شر، فطمأناه وطرحاً أمامه الموضوع، وبدأ أحد الخصمين بتوجيه
الالتهام إلى الطرف الآخر، فنطق داود بالحكم بإدانة صاحب الغنم الكثيرة
قبل أن يُدلي بحجته، وهنا أحس داود أنه كان على غير صواب في ظنه أن
هؤلاء يريدون به شراً، وأن الله امتحنه بالخوف منهم، فاستغفره مما حدث به
نفسه، ومَنَّ الله عليه بقبول استغفاره، وأنزله عنده منزلاً كريماً.

ثم نَبَّهه إلى أن مما يساعد على إصابة الحق والعدل في الحكم التأنى ، حتى تسمع حجة الطرفين معاً ، وعدم التأثر بمظاهر الناس ، والبعد بالعواطف عن التدخل في الحكم ، فقد يكون المدعي مخطئاً وظاهره يوحى بالصدق ، كإخوة يوسف الذين رموه في الجب وجاءوا أباهم عشاء ليكون مدعين أن الذئب أكله .

إن الذي وقع من داود عليه السلام هو ظنه أن الخصمين أرادا به سوءاً ، فندم على هذا الظن واستغفر ربه ، وهو ظن له ما يبرره ، والأنبياء - وإن كان ما وقع منه لا يؤاخذ عليه - مقامهم يضعهم دائماً في موضع حساس ، لا يحبون أن يؤخذ عليهم ما هو في صورة ما يؤاخذ عليه . ونطقه بالحكم قبل سماع المدعى عليه ربما كان لأنه سكت ولم يتكلم ، فكان سكوته إقراراً بما نسب إليه ، وتوجيه الله له باتباع الحق وعدم الميل مع الهوى - على الرغم من صواب حكمه - لا يدل على ظلمه أو ميله مع العواطف ، فقد يكون توجيهاً بالاستمرار على اتباع الحق كما قال سبحانه لنبيه محمد ﷺ : ﴿بِأَيِّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: 1] ، فلم يكن منه عصيان حتى يؤمر بالتقوى .

وبعد ، فإن مما نتأسى به في قصة داود عليه السلام الرجوع إلى الله في كل الأحوال ، والصبر على ما يقوله أهل الباطل ، وعدم الأنفة من مزاوله أي عمل لكسب عيش شريف ، وأن الصوت الحسن نعمة من نعم الله ، تلين به القلوب وترتاح إليه الأعصاب ، فليكن ترويحنا عن النفس بما شرع الله ، وبما يعطيها نقاء وصفاء واستقامة ، بعيداً عما يغضب الله .

سليمان

السؤال رقم (45): ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [سورة ص: 34] وما نوع الجسد المذكور، وما سبب فتنة سليمان به؟

الجواب: الكلام في هذا الموضوع كثير، ومكانه كتب التفسير، ومن أحسن ما قيل ما رواه البخاري عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمَزٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَا طُوفَانَ لِلَّيْلَةِ عَلَى مِثَّةِ امْرَأَةٍ أَوْ تَسْعَ وَتَسْعِينَ كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ».

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى امتحن سليمان عليه السلام وابتلاه، لأنه لم يقل إن شاء الله، وكانت نيته طيبة في طلب أولاد مجاهدين، وظن أن الله تعالى معطيه كل شيء بدون حدود، فأراد سبحانه وتعالى أن يظهر له أن كل شيء بقدر، وأن الأمل له حدود، فلم تنجب واحدة من نسائه بهذا اللقاء إلا واحدة أنت بجسد هو نصف إنسان، فرجع سليمان صلى الله عليه وسلم إلى ربه وتاب، هذا بعض ما قيل والتأويلات كثيرة، ولا حاجة إلى التعليق على عمل سليمان صلى الله عليه وسلم في قدرته كإنسان عادي أن يلحق تسعين امرأة في ليلة واحدة، يجتمع مع كل واحدة حوالي خمس دقائق، وهل كان الجهاز مستعداً بكمية كافية لتلقيح

كل واحدة في هذه الدقائق القليلة؟ إن سليمان عليه السلام من واقع ما أعطاه الله تعالى من مسخرات القوى اعتقد أن التسخير بدون حدود، وفي غمرة هذا الاعتقاد وهذا التكريم الواسع أراد الله سبحانه وتعالى أن ينبهه إلى سيطرة إرادة الله تعالى على كل شيء فليس سليمان عليه السلام أقوى ولا أكرم من الملائكة الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

هذه خاطرة خطرت لي مع اعتقادي بأن الله تعالى على كل شيء قدير، وما المعجزات ولا الكرامات إلا مظهر من مظاهر هذه القدرة التي تغير ما يراد تغييره من النواميس التي وضعها هو سبحانه وتعالى لتدبير ملكه حسب إرادته، فهو مالك الأمر كله وهو الحكيم الخبير.

السؤال رقم: (46) في قصة سيدنا سليمان عليه السلام قيل إن ملكة سبأ اسمها بلقيس وأنها من أصل جني، فهل هذا صحيح؟

الجواب: يقول الله تعالى على لسان هُدهد سليمان: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾^(١)، يقول القرطبي في تفسيره (182/13) المرأة هي بلقيس بنت شراحيل، ثم قال: ويروى أن أحد أبويها كان من الجن، قال ابن العربي: وهذا أمر تنكره الملاحدة ويقولون: الجن لا يأكلون ولا يلدون، كذبوا، فذلك صحيح ونكاحهم جائز عقلاً، فإن صح نقلاً فيها ونعمت، وذكر القرطبي حديث مسلم في أنهم يأكلون، عندما قدم وفد من الجن على النبي عليه السلام وقال «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذِكْرٌ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَّ مَا يَكُونُ لَحْمًا» كما

(١) سورة النمل: 22.

جاء في البخاري أن العظم من طعام الجن كما قال القرطبي إن نكاحهم مذكور عند تفسير قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (١) (289/10) وقال القرطبي: كانت أم بلقيس من الجن يقال لها "بلعمة بنت شيصان" وذكر في "ص 211" نسبها إلى سام بن نوح، وأن أباه واسمه "السرح" تكبر على الملوك ولم يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها: "ريحانة بنت السكن" فولدت له "بلقمة" وهي بلقيس.

وذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحد أبوي بلقيس كان جنيًا» ولما مات أبوها تملك رجل فاجر فتزوجته بلقيس وقتلته وهو سكران فنصبوها ملكة عليهم، وذكر كلاماً آخر يؤكد أن أباه تزوج جنيّة ولدتها.

وقال الماوردي: والقول بأن أم بلقيس جنية مستنكر من العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبيعتين ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف، وقال القرطبي إن التزاوج لا يحيله العقل مع ما جاء في الخبر وأشار إلى أدلة ذلك من أراها فليراجعها، هذا بعض ما قيل، ولا يضرنا الجهل به.

عيسى

السؤال رقم (47): لماذا ألقى عيسى ' السلام على نفسه، حين قال:

{وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ}؟

الجواب: قال الله تعالى في شأن يحيى عليه السلام حين بشر به أباه

زكريا عليه السلام: ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:

(١) سورة الإسراء (64)

[15] وقال على لسان عيسى عليه السلام حين خاطب عيسى قومه: ﴿وَأَسَلَّمُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 33].

إن كلاً من النبيين العظيمين عليهم سلام وأمان من الله، أو تحية ألقاها الله على كل منهما، لكن السلام على يحيى كان في مقام بشارة الله لأبيه به، مقدماً قبل أن يولد، فهو سبحانه يحكي لذكريا صفات يحيى التي يكون عليها، والنعم التي أنعم بها عليه وقدّرها قبل أن يولد، أو في مقام إخبار الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بقصة زكريا ويحيى كما جاء في صدر سورة مريم: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ ومقام الإخبار يناسبه قول الله عن يحيى: ﴿وَسَلَّمْ عَلَيْهِ﴾ ويحيى لم يتكلم بذلك حتى يقول: والسلام عليّ.

أما سيدنا عيسى فكان يتحدث عن نفسه، مبيناً لقومه ما منّ الله به عليه حيث قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَأَسَلَّمْ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 30-33].

هذا أحسن ما قيل في هذا الموضوع، وأما ما يُروى أن عيسى عليه السلام قال ليحيى عليه السلام: أنت خير مني، لأن الله سلّم عليك. فليس له سند يعتمد عليه، فكلاهما قد سلم الله عليه، وكما قال بعض المفسرين: إن السلام المعروف بأل الذي قاله سيدنا عيسى عليه السلام هو السلام المنكّر،

أي الخالي من «أل» الذي كان من الله على يحيى ، وذلك على حد قولهم: إن المنكر إذا كرر معرّفًا كان هو هو ، فأل للعهد .

إن الموضوع يتصل باللفظ أكثر مما يتصل بالمعنى ، فإن كلاً من يحيى وعيسى قد حياه الله وأمنه وباركه ، ونرجو أن نحظى بذلك إذا اتبعنا ما جاء به الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَالَمْنٌ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82] .

السؤال رقم: (48) ما هو حال النبي عيسى عليه السلام وفق الكتاب والسنة الشريفة الثابتة؟ وما حكم من قال إن عيسى قد مات؟ وهل توجد آية أدلة تدل على أن عيسى قد نشر دعوته لأناسٍ في الهند وأفغانستان والسند وإيران؟

الجواب: إن القرآن الكريم قد أخبر بنهاية أمر عيسى عليه السلام مع قومه في ثلاث سور على الوجه التالي:

1- قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا أَلِيًّا وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ

تَخْلِفُونَ ﴿١﴾.

2- قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعِ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾.

3 - قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَال سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴿١١٧﴾﴾ صدق الله العظيم.

تأويل قوله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ وأصل مادة توفي في لغة العرب، لفظ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في آيات سورة آل عمران ولفظ ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ في آيات سورة المائدة لا يتبادر منهما أن عيسى عليه السلام قد مات لكن كلمة (توفى) وردت في القرآن الكريم بمعنى الموت، حتى صار هذا المعنى هو

(١) آل عمران: 52 - 55.

(٢) النساء: 157 - 158.

(٣) المائدة: 116 - 117.

المتبادر منها عند النطق بها، كما يأتي لفظ (توفيت) في اللغة بمعنى القبض والأخذ، وعلى هذا يكون معنى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إني قابضك من الأرض، كما يقال توفيت من فلان ما لي عليه بمعنى قبضته واستوفيته، ويأتي لفظ (يتوفى) بمعنى النوم كما في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١)، ففي هذه الآية جاء لفظ (يتوفى)، مقصوداً به النوم، كما استعمل لفظ (يبعث) - الذي يشير عادة إلى البعث في الحياة الأخرى بعد الموت في الدنيا- بمعنى الإيقاظ من النوم وعلى هذا فإنه يمكن أن يقصد بلفظ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ و﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ معنى النوم أيضاً بدلاً من الوفاة بمعنى الموت السابق ذكره.

تأويل قول الله تعالى: ﴿وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ﴾ ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ فلفظ ﴿وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ﴾ في آيات آل عمران و﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ في آيات سورة النساء فسره جمهور المفسرين على أن الله رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، واللفظ الأخير ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ إخبار عن تحقيق ما وعد الله تعالى به في آيات آل عمران بقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ﴾ وقد جاء لفظ الرفع في القرآن الكريم بالرفع المادي، والمعنى الذي يدل على التشريف والتكريم، وإذا كان القول بالرفع المادي هو المقبول لأن به نجاة عيسى عليه السلام من أعدائه فعلاً

(١) الأنعام: 60

روحاً وجسداً لزم عليه أن يسبق هذا الرفع المادي موته حقيقة أو حكماً بالنوم، لأن في رفعه حياً بحياته العادية في الدنيا تعذيباً له لما علم الآن بالتجربة العلمية من أن الإنسان كلما صعد في الجو إلى أعلى ضاق صدره لقلة الأكسجين في الهواء، ولعل الآية الكريمة في سورة الأنعام تشير إلى صدق هذه التجربة العلمية ﴿بَجَعَلَ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(١).

فجميع ما تقدم يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى رفع عيسى عليه السلام وأنجاه من القتل والصلب، يعني أنه توفاه وأماته إما حقيقة أو حكماً بالنوم ليعفيه ويجنبه بهذه التوفية أقسى العذاب الذي يتعرض له الجسد الإنساني الحي لو صعد بحالته العادية في الدنيا إلى السماء، أو أنه رفع حياً وما زال كذلك حياة لا تدرى طبيعتها.

تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شَبَّهَهُمْ﴾ فلفظ ﴿وَلَكِنْ شَبَّهَهُمْ﴾ في آيات سورة النساء السابق ذكرها اختلف المفسرون في صفة التشبيه وكيفيته - على ما حكاه الطبري في تفسيره - فقال بعضهم إن اليهود حين أحاطوا بعيسى عليه السلام مع أصحابه لم يكونوا يعرفونه بشخصه وأشكل عليهم استخراج بذاته من بين من كانوا معه لأن الله حولهم جميعاً إلى شبه عيسى عليه السلام وصورته، ولذلك ظنوا أن من قتلوه هو عيسى وليس كذلك.

وقال آخرون إن شَبَّهَ عيسى ألقى على أحد أصحابه فأخذه اليهود وقتلوه، ويأتي لفظ {شَبَّهَ} في اللغة العربية بمعنى لُبَّس الأمر من قولهم اشتبهت

(١) الأنعام: 125

الأمر وتشابهت التبست فلم تتميز ولم تظهر ومنه اشتبهت القبلة ونحوها أي لم تتبين جهتها، ومعنى ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ على هذا أن الأمر بشأن المصلوب لبس على من قبضوا عليه وحكموه ومن صلبوه، وأن الذي جعل الأمر يلتبس عليهم أن الله تعالى قد خلص المسيح عليه السلام ورفعته إليه دون أن يدرك ذلك من حضروا للقبض عليه بعد أن التبس عليهم شخصه وذاته فواقع الأمر قد لبس عليهم أو التبس واختلط فلم يدركوا ذات المسيح عليه السلام.

ويمكن أن يقال أيضاً إن قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ معناه أي وقعت الشبهة لهم فظنوا أنهم قتلوه مع أنهم قتلوا غيره ظانين أنه هو. وقد كذب الله سبحانه وتعالى وهمهم بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ كما زعموا ولكن وقعت لهم شبهة في ذاته فقتلوا وصلبوا غيره.

ومن هذا العرض لما تحمله هذه الآيات في شأن وفاة عيسى عليه السلام وهل كانت وفاة موت أو وفاة نوم أو وفاة قبض ونقل ورفع وما يحتمله قوله تعالى: ﴿وَرَأَفَعَكَ﴾ وقوله ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ من الرفع المادي بمعنى أنه نقله بذاته وجسمه من بين من أرادوا القبض عليه وقتله فلم يمكنهم منه أو أن الرفع أدبي ومعنوي رفع مكانة وتشريف وما قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ من هذا يظهر اختلاف العلماء في شأن عيسى عليه السلام.

المختار من هذه التأويلات والذي أختاره أن الله سبحانه وتعالى قد رفع عيسى عليه السلام من بين أعدائه ولم يمكنهم من القبض عليه فلم يقتلوه ولم يصلبوه كما يزعم أتباعه الآن وأن أمره التبس واشتبه على خصومه بأي طريق

من طرق التلبس بالاشتباه التي أرادها الله سبحانه وتعالى وأنجاه الله تعالى بها ولم تفصح الآيات المتلوة آنفاً عن هذا الطريق بل جاء الفعل {شُبِّهَ} بالبناء للمجهول الأمر الذي كثرت في بيانه واستبانته الأفهام، ومن الحكمة وحسن التأويل لآيات القرآن الكريم الوقوف عند ما سكتت عن بيانه والكف عن استكشاف ما لا طائل وراءه لأنه غير ثابت قطعاً، وقطع القرآن في رفعه من بين أظهرهم واستخلافه من أيديهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** .

وهذا ما يجب الإيمان به وبذلك تكون العقيدة الصحيحة للمسلم في هذا هو ما قطعت به هذه الآية من نفي قتل عيسى عليه السلام وصلبه ومن إثبات رفعه إلى الله تعالى، فهذا القدر لا يجوز لمسلم جحوده، ويخرج عن الإسلام من اعتقد ما يقول المسيحيون الآن من قتل ذات هذا النبي عليه السلام وصلبه .

أما رفعه عليه السلام حياً وما مكانه وما كيفية حياته وهيئتها فإن هذا مما اختلف في شأنه العلماء إذ لم تفده آيات القرآن الكريم على وجه قطعي الدلالة .
 وذهب جمهور أهل العلم على أن عيسى عليه السلام حي عند الله تعالى حياة لم تثبت كيفيتها ولا طبيعتها مستدلين بما سنورده فيما يلي عن واقعة نزوله وعودته إلى الأرض .

ويدل مجموع الأحاديث المروية في كتب السنة على أن عيسى عليه السلام سينزل إلى الأرض داعياً بالإسلام وحاكماً بشريعته ومتبعاً رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم وقد أفادت هذه الأحاديث التواتر والعلم الضروري واليقيني ومنكر هذا كافر عند عامة العلماء .

من هذا ما أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ وَيَضَعَ الْجَزِيَّةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ». ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه أقرؤوا إن شئتم قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾⁽¹⁾، وقد رواه مسلم في صحيحه هكذا عن أبي هريرة رضي الله عنه وزاد أنه «يَقْتُلُ الدَّجَالَ».

وأما حكم من جحد نزول عيسى مع هذه الأحاديث الشريفة وأمثالها من الأدلة القطعية الثبوت ومن المتواتر فإنه يفيد قطعاً نزول عيسى عليه السلام للأرض، وقد ذكرت قبل قليل أن نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض يدل مجموع الأحاديث المروية في كتب السنة على أن عيسى عليه السلام سينزل إلى الأرض داعياً بالإسلام وحاكماً بشريعته ومتبعاً رسول الله محمد ﷺ وقد أفادت هذه الأحاديث التواتر والعلم الضروري واليقيني ومنكر هذا كافر عند عامة العلماء.

وقد تقبل جمهور أهل العلم منذ حدثت رواية هذا الحديث به وبأمثاله من الصحابة رضوان الله عليهم ومنذ أن دوت السنة الشريفة تقبلوا الأحاديث الشريفة الدالة على نزول عيسى عليه السلام وعودته إلى الأرض قبلاً حسناً وآمنوا به إيماناً وعدوا نزوله من أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى.

وأما حكم من قال بموت عيسى ما كانت عبارة القرآن الكريم في قوله

(١) النساء: 159

تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في آيات سورة آل عمران ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ في سورة المائدة تحتل الموت والنوم والاستيفاء والقبض ولكن الجمهور ذكروا: أن فيها تقديماً وتأخيراً ومعنى الآية أن الله سيفعل الأمرين الرفع والوفاء؛ الرفع أولاً، إعمالاً للنصوص ثم بعد الرفع سينزله تعالى في آخر الزمان ليقوم بدوره ثم يتوفاه الله تعالى، ولذلك يجب على كل مسلم أن يكون معتقداً ومقرباً بأن الله سبحانه وتعالى وجلت قدرته قد رفعه إليه من بين أعدائه ولم يمكنهم من قتله وصلبه امثالاً وتصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَلَّوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**.

أما أن عيسى عليه السلام قد نشر دعوته في الهند وأفغانستان والسند وإيران فليس هناك ما يؤكد هذا الزعم وإنما انتشرت بفعل أتباعه وجهدهم كما هو ملموس الآن من انتشار جماعات التبشير التي تلبس ثوب الإصلاح الاجتماعي والتطبيب العلاجي أو بفتح المدارس للتعليم في المجتمعات التي تغلب فيها الأمية، لنشر أفكارهم ومعتقداتهم الفاسدة، والله تعالى أعلم.

السؤال رقم (49): ما هو معنى الآية ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمَ مَا مَنَعَكَ إِذْ قُلْتَ بِطُلُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 55] فهل قوم سيدنا عيسى سيكونون فوق العالم حتى المسلمين. وهل هم الموجودون حالياً من النصارى؟

الجواب: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمَ مَا مَنَعَكَ إِذْ قُلْتَ بِطُلُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴿الآية﴾. قال في الكشف: معناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجلك الذي كتبته لك، لا قتلاً بأيديهم، ورافعك إلى سمائي وملائكتي والمراد رفعه حيّاً بروحه وجسده.

وهذه الآية الكريمة نزلت لإصلاح عقيدة النصارى، فقد أخبر الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام أنه متوفيه، فليس للماكرين به تسلط عليه ولا توصل إليه، ثم بشره ثانياً برفعه إلى سمائه، وسكنائه مع ملائكته وعبادته فيها طول عمره، وبتطهيره من الكفار جميع زمانه الشامل لحين رفعه وحين نزوله في آخر الدنيا، وتلك بشارة عظيمة له وأنه مطهر من الكفار أولاً وآخراً. وهذا الرفع جسماني بالجسد والروح معاً، وليس رفعاً معنوياً كما قيل بذلك.

ووردت أحاديث نبوية كثيرة بلغت مبلغ التواتر تدل على أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يموت وأنه راجع قبل يوم القيامة وأنه سينزل في آخر الزمان ويقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب وأنه عليه السلام سيدعو بدعوة الإسلام، ثم بعد ذلك يموت موتاً طبيعياً، ويدفن في حجرة النبي ﷺ بجواره ﷺ.

وقول الله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ﴾ معناها كما قرر الإمام السيوطي في الجلالين ص95: وجاعل الذين اتبعوك أي صدقوا بنبوتك من المسلمين النصارى فوق الذين كفروا به وهم اليهود اهـ. وذلك لعنت اليهود وخبثهم ولعنة الله تعالى عليهم، ولما ضرب الله تعالى عليهم من الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة، وهو ما نراه اليوم،

حيث لا يعيشون إلا في ظل النصارى وحمائهم، فهم الذين أوجدوا لهم وطناً، ووفروا لهم الحماية، وسيأتي زمان تذهب فيه هذه الحماية، وسيلقون مصيرهم المحتوم الذي بشر به النبي ﷺ حيث يتبرأ منهم حتى الشجر والحجر، ويقول بلسان فصيح: يا مسلم هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله. كما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة. فالآية تتحدث عن النصارى واليهود.

أما المسلمون فهم الأعلون مكانة في الدنيا والآخرة على جميع الأمم كما قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ وكما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وليس في الآية دليل على علو النصارى وإنما حديثها عن اليهود، وهو ما تدل عليه المشاهدة قديماً وحديثاً، بخلاف المسلمين فإنهم الأعلون قديماً وحديثاً، وفي الدنيا والآخرة. والله تعالى أعلم.

محمد ﷺ

السؤال رقم (50): هل هناك حيوانات تكلمت مع النبي ﷺ؟

الجواب: من الحيوانات التي جاءت الأخبار بأنها نطقت للنبي ﷺ

ما يأتي:

1- الجمل: جاء في مسند الإمام أحمد بسند صحيح، وفي

مستدرك الحاكم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: «أُرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، فَأَسْرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا

اسْتَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدْفٌ، أَوْ حَائِشٌ نَحْلٍ، فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ إِلَيْهِ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرِيهِ فَسَكَنَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ قَالَ: فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَلَا تَتَّبِعِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهَا تَشْكُو إِلَيَّ أَنْكَ تُجِيعُهُ وَتُدْبِيهِ» أي تتعبه في العمل.

وروى الطبراني عن جابر أن الجملة رغا على هامة النبي ﷺ في غزوة ذات الرقاع وقال: «إن هذا الجملة يستعديني على صاحبه» أي يشكو لي صاحبه، وروى الطبراني في كتاب الدعوات عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ كان في غزاة، فجاء أعرابي ومعه جملة، وجاء رجل كأنه حرسى، فقال للنبي ﷺ: إن هذا الأعرابي سرق بعيري هذا، فرغا البعير وحنَّ ساعة. فأنصت النبي، فلما فرغ قال للحرسى: «انصرف فإن البعير يشهد عليك أنك كاذب» ورواها أيضاً عن عكرمة بسند ضعيف، كما روى ابن ماجه أن بعيراً رغا ثلاث مرات على هامة النبي ﷺ، وكان النبي يؤمن في كل منها، ولما سئل عن ذلك قال: «إن البعير كان يدعو له».

وليس هناك ما يمنع عقلاً ولا شرعاً أن يلهم الله نبيه معرفة لغة الجملة ومقصده من رغائه، فقد ثبت أن داود وسليمان عليهما السلام كانا يعرفان منطق الطير، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُجْمًا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: 16]، وقال: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴿[النمل: 18]

[18-19]، وفي شأن الهدد قال الله: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءِ
وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ مَبِينٍ﴾ إلى أن قال: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
الْكَذِبِينَ﴾ [النمل: 22، 27].

2- الغزاة: روى حديثها البيهقي من طرق، وضعفه جماعة من الأئمة،
لكن له طرق يقوي بعضها بعضاً فيكون حسناً لغيره، وذكره القاضي عياض في
الشفاء بلا سند، وأبو نعيم بإسناد فيه مجاهيل. وملخص الحادثة أن الرسول كان
في صحراء فسمع هتاف الظبية التي صادها أعرابي وقيدها، وطلبت أن يفكها
حتى ترضع أولادها وتعود فكان ذلك فأطلقها الأعرابي ونطقت بالشهادتين.

3- الذئب: وقد شهد للرسول بالرسالة، وحكى قصته أبو هريرة وأنس
ابن مالك وابن عمر وأبو سعيد الخدري، ورواها أحمد بإسناد جيد، والترمذي
والحاكم وصححا الحديث. جاء فيها أن ذئباً أخذ شاة فانتزعها الراعي منه
فقال الذئب له: ألا تتقي الله، تنزع رزقاً ساقه الله لي، فعجب الراعي من
كلام الذئب، فأخبره بأن الأعجب من ذلك أنك لا تؤمن بالرسول الذي ظهر
في يثرب فذهب إليه الراعي وأسلم، وأمره الرسول بإعلان ما حدث من الذئب،
ثم قال الرسول: «صدق والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج الرجل
من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده».

وروى قصة الذئب البخاري في تاريخه وأبو نعيم في الدلائل، وإسناده
ليس بالقوي ورواها البيهقي في الدلائل وسعيد بن منصور في سننه كما رواها
البغوي وأحمد والبخاري وغيرهما بسند صحيح عن أبي هريرة.

ذكر القسطلاني في المواهب وذكر الزرقاني في شرحها

هذه الحوادث بتوضيح في الجزء الخامس من صفحة (145-151)، وليس في أدلتها ما يوجب علينا تصديقها كعقيدة، وإن كان خرق العادات للأنبياء والأولياء جائزاً لكن لا يجوز أن ننسب إلى الرسول إلا ما وثقنا من صدقه حتى لا نقع تحت طائلة حديثه: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» [رواه البخاري ومسلم] وما فضّله به ربه من الأشياء الثابتة كثير، وكفى بالقرآن معجزة خالدة باقية تتحدى العالم كله إلى أن تقوم الساعة، وما حدث من الخوارق قد انتهى أثره .

السؤال رقم (51): هل كان كل ما فعله الرسول ﷺ بوحى من الله سبحانه، أم كان يجتهد في بعض الأحيان فيما لم ينزل عليه فيه وحي، وإذا اجتهد هل كان اجتهاده كله صواباً أم كان بعضه خطأ؟

الجواب: للعلماء في جواز الاجتهاد منه ﷺ ثلاثة آراء:

1 - رأي يقول بامتناع الاجتهاد عليه، لإمكانه الوصول إلى ما يريد عن طريق الوحي، ولكن رد عليه بأن إنزال الوحي ليس في قدرته، وقد يكون في حاجة ماسة إلى الإجابة على سؤال أو التصرف في أمر عاجل، وعندما انتظر ﷺ نزول جبريل عليه، فتر الوحي مدة، وعندما جاء سأله الرسول، فقال: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: 64].

2- ورأي يقول بجواز الاجتهاد وبوقوعه بالفعل منه، كما حدث في التشاور في أسرى بدر، وفي إذنه لبعض الناس في التخلف عن الغزوة.

3- ورأي يقول بجواز اجتهاده في الأمور السريعة الضاغطة كالحروب، وبعدم جوازه في غير ذلك، وهذا الرأي فيه جمع

بين الأدلة، وهو رأي حسن. والذين قالوا بجواز اجتهاده قالوا: لا يجوز عليه الخطأ فكلُّ اجتهاده صحيح، كما ذكره الماوردي وغيره، وذلك لأنه لا نبي بعده يستدرِك خطأه فلذا عصم من بينهم، وقال ابن السبكي: الصواب أن اجتهاده لا يخطئ تنزيهاً لمنصب النبوة عن الخطأ في الاجتهاد.

السؤال رقم (52) ما الحكمة في أن يكون للنبي ﷺ قرين مع أن الله عصمه؟

الجواب: روى مسلم وأحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» قالوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

ومعلوم عصمة الملائكة وإيمانهم، وإنما المراد الإخبار بمصاحبة الملك والجنّي لكل أحد، فالجن يغوي بخلاف الملائكة.

وجاء في رواية البزار عن ابن عباس أن الشيطان كان كافراً فأسلم، أي أسلم الشيطان الكافر، وحديث ابن مسعود روي بفتح الميم وضمها، أي فأسلم أنا من فتنته وكيده، وصحح الخطابي رواية الرفع، ورجح عياض والنووي الفتح. لقوله: «فلا يأمرني إلا بخير» قال الدميري: وهو المختار.

وقد انعقد الإجماع على عصمة النبي ﷺ من الشيطان، وإنما المراد تحذير غيره من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا أنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان..

وأجيب بأنه إنما قاله تعليماً لأمته ﷺ، فإن شيطانه أسلم ولا تسلط له

ولا لغيره عليه بحال، بل سائر الأنبياء لا تسلط لشياطينهم عليهم وإن لم
يسلموا.

وخلاصته:

1 - أن كل إنسان معه قرين من الجن وقرين من الملائكة، وقرين
الملائكة إما لحفظ الإنسان كما قال الله سبحانه ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11]، وإما لمساعدته على الخير
وإما لغير ذلك، وقرين الجن مهمته الإغواء فقد أقسم إبليس بعزة الله أن
يغوي الناس أجمعين، إلا عباد الله المخلصين.

2 - أن النبي ﷺ كسائر الناس له قرين من الجن وقرين من الملائكة،
وقرينه من الجن مختلف في أنه أسلم بدليل قوله: «فلا يأمرني إلا بخير» أو
لم يسلم، بدليل الاستعاذة منه، وأن الله قَوَّى رسوله عليه فأبطل محاولة إغوائه،
كما حدث من تفلُّته عليه في الصلاة ليفسدها فخنقه عليه الصلاة والسلام ثم
أطلقه كما ثبت في الحديث.

وعلى كلا الأمرين فالرسول معصوم من تسلط الشيطان عليه وإيقاعه في
المعصية، وهو ﷺ ينبهنا إلى وجوب الحذر من الشيطان المقارن لنا، وإلى
أنه بشر مثلنا يجاهد مع توفيق من الله حتى لا يعصي. ونحن أولى بالمجاهدة،
والله أعلم.

السؤال رقم (53): هل يمكن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد وفاته؟

الجواب: روى البخاري ومسلم وغيرهما أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: «سَمِعْتُ

النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي». .
لقد وضع الحافظ السيوطي رسالة في رؤية النبي ، مناماً ويقظة سماها «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي جهاًراً أو الملك» كما تحدث عن الرؤية غيره من العلماء مثل القسطلاني في المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ، وقد استخلصت من ذلك ما يأتي :

1 - رؤية النبي ﷺ في المنام جائزة ، على خلاف في رؤية الشخص أو المثال ، وما يحتاج إلى تعبير وما لا يحتاج إليه ، وذلك كرؤية الإنسان لأي شخص بعد وفاته .

2 - من رآه في المنام فسيراه في اليقظة ، تحقيقاً للوعد الذي جاء في الحديث النبوي الشريف ، على خلاف في هذه الرؤية إن كانت في الدنيا أو في الآخرة ، أو كانت لمن رآه حال حياته ﷺ خاصة ، أو عامة لكل إنسان إلى يوم القيامة .

3- رؤيته يقظة بعد موته ليس هناك نص يمنعها ، فهي ممكنة ، على خلاف في هذه الرؤية :

فإن كانت مثالية أي صورة يستحضرها الإنسان حتى تبدو كأنها الحقيقة فذلك لا مانع منه ، ويحمل عليه ما يراه بعض الصالحين ، وإن كانت رؤية شخصية وكان الرائي قد رآه في قبره فذلك لا مانع منه ، كما رأى النبي ﷺ موسى عليه السلام قائماً في قبره يصلي ، وهي لأصحاب الكرامات ، والكرامات معترف بها كالمعجزات ، مع التحفظ على أن هذه الرؤية الشخصية ربما لا تكون تماماً كالرؤية بالعين الباصرة المتعارفة عند الناس .

4 - حوادث رؤية النبي ﷺ بعد موته كثيرة، لكن أسانيد رواياتها ظنية، وهناك مندوحة لعدم تصديقها، والرأي لا بد أن يكون عدلاً، وفي الوقت نفسه يكون مثبتاً مما رآه، كامل العقل والقدرة على الإخبار به كما حدث، وبدون ذلك تقوى التهمة، وكل راوٍ له استعداده في التحمل والنقل والأداء ربما لا يعبر تماماً عن الرؤية.

5- من ادعى أن النبي ﷺ أمره في المنام بكذا، أو نهاه عن كذا، لا يؤخذ به إذا عارض الثابت في القرآن والسنة، ويجب الاهتمام بتنفيذ ما جاء في القرآن والسنة، فالاعتصام بهما سبيل الهدى وحماية من الضلال، والدين واضح وكامل وتام ليس في حاجة إلى زيادات بعدما جاء عن الرسول ﷺ وأصحابه والأئمة المجتهدين. وكل ما يقال عن الجديد فلا بد أن يأخذ شرعيته من أصول الدين.

6- ينبغي لمن رأى النبي ﷺ يقظة في المنام ألا يستغله استغلاً سيئاً لمصلحة نفسه أو لغرضٍ آخر لا يتفق مع الدين، وهو حرٌّ في تصديق ما يراه، لكن لا يفرضه على غيره.

7- الخلاف في مسألة الرؤية غير مفيد، والوقت الذي يبذل فيه تأييداً أو إنكاراً ينبغي أن يبذل فيما هو أهم، فالقضايا والمشكلات كثيرة، ومن مصلحة الغير أن ننصرف عنها إلى هوامش ليست من صحيح العقيدة الإسلامية وأصول التشريع.

8 - لا يجوز مطلقاً أن يُرمى أحدٌ بالسوء لردّه دعوى جواز رؤية الرسول ﷺ يقظة أو وقوعها من أحد، ولا أن يُرمى أحدٌ بالزيغ والضلال لمجرد القول

بها، فإذا تجاوزت الحد بأي نوع من التجاوز كان التفاهم بالحسنى لتصحيح الخطأ أو الحد من التعصب.

9 - مسألة الرؤية هذه ليست من العقائد المفروضة التي يترتب على إنكارها الكفر، فالعقائد لا تثبت إلا بما يفيد العلم اليقيني ولا يوجد عليها دليل في القرآن الكريم، ودليلها من السنة ليس قطعياً في دلالته، فلاحتمال موجود مع ثبوتها بالحديث الصحيح.

السؤال رقم (54): ما هي الأشياء التي اختص بها النبي ' من دون الأمة؟

الجواب: الخصوصيات لسيدنا محمد ﷺ وكذلك لسائر الأنبياء أمر تقتضيه طبيعة مهمتهم، فالقادة والزعماء والحكام في كل مجتمع وفي كل عصر لهم مميزات ليست في غيرهم، وهذه المميزات ليست كلها تيسيراً أو زيادةً في التمتع بطيبات الحياة، بل منها ما هو شديد يفرض سلوكاً معيناً فيه معاناة نفسية في مقابل التكريم والتشريف الذي رفع الله به منازلهم على غيرهم من عامة الناس، فالشيء الغالي والتمين يبذل في الحصول عليه أكبر مما يبذل في غيره، فمن طلب الحسنة لم يُغله المهر، ولا بد دون الشهد من إبر النحل، ويكفي في الاستدلال على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: 111]، وقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» عندما وجدته يقوم الليل حتى تورمت قدماه مع أن الله قد غفر له ما

تقدم من ذنبه . رواه البخاري ومسلم .

ومعرفة خصوصيات النبي ، قال بعض العلماء لا فائدة فيها <الزرقاني على المواهب 5/1206> لكن النووي قال: إن معرفتها جائزة بل مستحبة بل قد تكون واجبة ، لأنه ربما رأى جاهلاً بعضَ الخصائص ثابتاً في الحديث الصحيح فعمل به أخذاً بأصل التأسّي والافتداء ، فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها وقد تكون هناك خصائص لا حاجة لمعرفة في السلوك ولكن مجرد المعرفة لا يخلو من فائدة .

وقد وردت أحاديث كثيرة نص فيها على بعض الخصوصيات ، وهي كثيرة حاول بعض المؤلفين حصرها كابن سبع وابن الملقن والقسطلاني في المواهب والنووي في روضة الطالبين ، وأذكر هنا ما ذكره باختصار هناك :

1- ما اختص به رسول الله ﷺ من الواجبات والحكمة فيه زيادة الزلفى والدرجات فلن يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم قلت: قال إمام الحرمين هنا: قال بعض علمائنا: الفريضة يزيد ثوابها على ثواب النافلة بسبعين درجة . والله أعلم .

فمن ذلك صلاة الضحى ومنه الأضحية والوتر والتهجد والسواك والمشاورة .

2- وكان عليه ﷺ إذا رأى منكراً أن يغيّره لأن الله تعالى وعده بالعصمة والمراد أنه لا يسقط عنه للخوف فإنه معصوم بخلاف غيره والله أعلم .

3- وكان عليه ﷺ مصابرة العدو وإن كثر عددهم .

4- وكان عليه ﷺ قضاء دين من مات من المسلمين معسراً .

5- وأوجب الله سبحانه وتعالى عليه ﷺ تخيير نسائه بين مفارقتة

واختياره، ولَمَّا خَيْرَهُنَّ اخترته والدار الآخرة فحرم الله تعالى عليه ﷺ التزوج عليهن والتبدل بهن مكافأة لهن على حسن صنيعهن فقال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الأحزاب: 52].

6- ومنها الزكاة وكذا الصدقة والأكل متكئاً وأكل الثوم والبصل.

7- وكان يحرم عليه ، إذا لبس لأُمَّتَه أن ينزعها حتى يلقي العدو

ويقاتل وقيل بناء عليه أنه كان لا يتدئ تطوعاً إلا لزمه إتمامه .

8- والوصال في الصوم .

9- واصطفاء ما يختاره ﷺ من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها

ويقال لذلك المختار الصفي والصفية والجمع الصفايا .

10- ودخول مكة بغير إحرام .

11- وأنه ﷺ لا يورث ماله ، وسبيل ما خلفه سبيل الصدقات .

12- وأنه ﷺ كان له أن يقضي بعلمه ، وأن يحكم لنفسه ولولده على

المذهب .

13- وأنه ﷺ يشهد لنفسه ولولده وأن يقبل شهادة من يشهد له .

14- وكان ﷺ لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعاً .

15- وأنه ﷺ كان يحل له دخول المسجد جنباً: عن أبي سعيد الخدري

رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري

وغيرك». قال الترمذي: حديث حسن .

16- وأن الزيادة على أربع نسوة حلال له ﷺ والأصح أنه لم يكن

منحصراً في تسع وينعقد نكاحه بلفظ الهبة ﷺ .

17- وأنه ﷺ لو رغب في نكاح امرأة فإن كانت خلية لزمها الإجابة على الصحيح .

18- وأن انعقاد نكاحه ﷺ بغير ولي ولا شهود وفي حال الإحرام صحيح .

19- وكان له ﷺ تزويج المرأة ممن شاء بغير إذنها ولا إذن وليها وتزوجها لنفسه وتولي الطرفين بغير إذنها ولا إذن وليها .

20- وكانت المرأة تحل له ﷺ بتزويج الله تعالى ، لقوله في قصة زينب امرأة زيد: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ .

21- وأن زوجاته ﷺ اللاتي توفي عنهن رضي الله عنهن محرمات على غيره أبداً ، وفيمن فارقتها في الحياة أوجهً ، قال ابن أبي هريرة: يحرم . وهو المنصوص في أحكام القرآن لقول الله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ . والله أعلم .

22- وأن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين سواء من ماتت تحته ﷺ ومن مات عنها وهي تحته وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتهن لا في النظر والخلوة ، ولا يقال: بناتهن أخوات المؤمنين ولا آبؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات المؤمنين ولا إخوتهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم .

23- ومنه تفضيل زوجاته ﷺ على سائر النساء وجعل ثوابهن وعقابهن مضاعفاً ولا يحل أن يسألن أحدٌ شيئاً إلا من وراء حجاب ويجوز أن يسأل غيرهن مشافهة . قلت: وأفضل زوجاته ﷺ خديجة وعائشة رضي الله عنهما . قال المتولي: واختلفوا أيتهما أفضل ، والله أعلم .

24- وأنه خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وأتمته خير

الأمم، وشريعته مؤبدة وناسخة لجميع الشرائع، وكتابه معجز محفوظ عن التحريف والتبديل، وأقيم بعده حجة على الناس ومعجزات سائر الأنبياء انقضت.

25- ونُصِرَ ﷺ بالرعب مسيرة شهر وجعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً، وأُحِلَّتْ له الغنائم.

26- وأن لرسول الله ﷺ في القيامة شفاعاتٍ خمساً أولاًهنَّ الشفاعة العظمى في الفصل بين أهل الموقف حين يفزعون إليه بعد الأنبياء كما ثبت في الحديث الصحيح في حديث الشفاعة. والثانية في جماعة فيدخلون الجنة بغير حساب. والثالثة في أناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها. والرابعة في أناس دخلوا النار فيخرجون. والخامسة في رفع درجات أناس في الجنة.

27- وبُعِثَ ﷺ إلى الناس كافة وهو سيد ولد آدم.

28- وأول من تنشقُّ عنه ﷺ الأرض وأول شافعٍ ومُشَفِّعٍ وأول من يقرع باب الجنة وهو أكثر الأنبياء أتباعاً.

29- وأُمته ، معصومة لا تجتمع على ضلالة وصفوفهم كصفوف الملائكة.

30- وكان لا ينام قلبه ، ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه.

31- وتطوعه بالصلاة قاعداً كتطوعه قائماً وإن لم يكن عذر وفي حق غيره ثواب القاعد النصف لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «حَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا نِصْفُ الصَّلَاةِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي

جَالِسًا فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى رَأْسِهِ ﷺ فَقَالَ: مَا لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو؟ قُلْتُ: حَدَّثْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ قُلْتَ: صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا عَلَى نِصْفِ الصَّلَاةِ، وَأَنْتَ تُصَلِّي قَاعِدًا! قَالَ: أَجَلٌ وَلَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ» رواه مسلم في صحيحه، والله أعلم.

32- ويخاطبه ﷺ المصلي بقوله: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله ولا يخاطب سائر الناس ولا يجوز لأحد رفع صوته فوق صوته ولا أن يناديه من وراء الحجرات ولا أن يناديه باسمه فيقول: يا محمد بل يقول: يا رسول الله، يا نبي الله.

33- ويجب على المصلي إذا دعاه ﷺ أن يجيبه ولا تبطل صلاته وكان يُتبرَّك ويستشفى ببوله ودمه ومن زنا بحضرتة أو استهان به كفر. قلت: في الزنى نظر. والله أعلم.

34- وأولاد بناته ﷺ ينسبون إليه وأولاد بنات غيره لا ينسبون إليه في الكفاءة وغيرها، وقال ﷺ: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» وقيل: ينتفع يومئذ بالنسبة إليه ولا يُنتفع بسائر الأنساب وأن بوله ودمه وسائر فضلاته طاهرة.

35- وأن الهدية له ﷺ حلال بخلاف غيره من الحكام وولاة الأمور من رعاياهم، وأعطى جوامع الكلم.

36- وفاتته ﷺ ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم واظب عليهما بعد العصر وفي اختصاصه بهذه المداومة.

37- ومنها امتناع احتلام منه ﷺ.

38- ومنها أنه من رآه ﷺ في المنام فقد رآه حقاً وأن الشيطان لا يتمثل في صورته ولكن لا يعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام مما يتعلق بالأحكام لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤية فإن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه .

39- ومنها أن الأرض لا تأكل لحمه ﷺ ولا لحوم الأنبياء .

40- ومنها قوله ﷺ في الحديث: «إِنَّ كَذِباً عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَيَّ أَحَدٍ» فالكذب عمداً عليه من الكبائر .

قال بعض المحققين: وذكر الخصائص النبوية مستحبٌ لما فيه من زيادة العلم، بل لو قيل بوجوبه لم يكن بعيداً، لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتة في الحديث الصحيح فعمل به أخذاً بأصل التأسي، فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها، وأيُّ فائدة أهم من هذه؟ والله أعلم .

السؤال رقم (55): هل من الحديث ما يقال: <حُبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا:

النِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ، وَجَعَلْتَ قِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ؟>

الجواب: هذا حديث رواه النسائي عن أنس والطبراني في معجمه الأوسط، والحاكم في المستدرک وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الحافظ: إسناده حسن عن أنس .

وحُبُّ الرَسُولِ ﷺ للنساء ليس حُبًّا شهوانياً بمعنى الاهتمام الزائد بالمتعة الجنسية على شاکلة المترفين اللاهين، فنحن نعلم رقة حاله وشغله الدائم ليل نهار بالدعوة ومشكلاتها، واهتمامه بقيام الليل حتى تتورم قدماه، فهو حب طبيعي كحب أي رجل لامرأة، لأنه مكتمل الرجولة لا عيب فيه، ولكنه حب

بَقْدَرٍ لَا يَطْغَى عَلَى النَّاحِيَةِ الرُّوحِيَةِ عِنْدَهُ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:
<وَجَعَلْتُ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ> فَالصَّلَاةُ أَعْظَمُ مَحْبُوبٍ عِنْدَهُ، وَمَنْ
كَانَ كَذَلِكَ فَهَمَّهُ فِي النِّسَاءِ لَمْ يَكُنْ بِالدرَجَةِ الَّتِي تَصْرِفُهُ عَنِ قَرَّةِ عَيْنِهِ وَهِيَ
الصَّلَاةُ وَالْعِبَادَةُ.

وَقَدْ يَكُونُ الْحَدِيثُ رَدًّا عَلَى بَعْضِ مَنْ يَرُونَ أَنَّ مِقْيَاسَ التَّدِينِ هُوَ
الرَّهْبَانِيَّةُ وَالتَّبَتُّلُ وَالِامْتِنَاعُ عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، فَهُوَ ﷺ أَحْشَى النَّاسَ
لِلَّهِ وَأَتَقَاهُمْ لَهُ، وَلَكِنَّهُ يَصُومُ وَيُفْطِرُ وَيَقُومُ وَيَرْقُدُ وَيَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ كَمَا صَحَّ فِي
الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ الَّذِي قَالَ فِي نَهَايَتِهِ: «وَمَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».
وَذَلِكَ إِلَى جَانِبِ عَطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ بِالنِّسَاءِ عَامَةً، وَقَدْ أَوْصَى بِهِنَّ كَثِيرًا،
وَالنُّصُوصُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

السُّؤَالُ رَقْم (56): مَا هُوَ الضَّلَالُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ' قَبْلَ أَنْ
يَهْدِيَهُ اللَّهُ، وَمَا صِلَةُ ذَلِكَ بِعَصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ؟

الجواب: يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ } [الضحى: 7] ،
الضَّلَالُ أَنْوَاعٌ، مِنْهُ ضَلَالُ الشَّرْكِ، وَضَلَالُ الْهَوَى، وَضَلَالُ الطَّرِيقِ، الْأَوَّلُ فِي
العَقِيدَةِ وَالثَّانِي فِي السُّلُوكِ الْقَوْلِيِّ وَالْعَمَلِيِّ، وَالثَّلَاثُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، وَإِنْ
كَانَ فِي بَعْضِهَا تَدَاخُلٌ، وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ مَعَ إِجْمَاعِ أَهْلِ الْمَلَلِ عَلَى أَنَّ الشَّرْكَ
مُسْتَحِيلٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَبَعْدَهَا، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَقْصُودًا مِنْ
الآيَةِ، وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ قَامَ أَيْضًا عَلَى اسْتِحَالَةِ صُدُورِ الْكِبَائِرِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَا
تَصِحُّ إِرَادَةُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَةِ، بَقِيَ النَّوْعُ الثَّلَاثُ مِنَ الضَّلَالِ وَهُوَ ضَلَالُ الطَّرِيقِ،

سواء منه المادي والمعنوي، وهو الذي يجب حمل الآية عليه، فقد كان ﷺ في نشأته بين قومه مطبوعاً على التمسك بالكمالات، والبعد عن كل ما يشعر بالخسة والنقص في الفهم والسلوك، وكانت نفسه تتوق إلى السعي دائماً لرفع شأن قومه بما يخلصهم مما ارتكسوا فيه من شرك وسلوك غير مستقيم، وما زال يفكر في وسيلة تحقق له أمنيته، فلم يجد في الأديان السائدة ما يشفي غلته حتى طلعت عليه شمس النبوة، ونزل عليه جبريل يبين له الطريق الذي يسلكه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وبهذا هداه الله من حيرته، ويحمل عليه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾.

وبمثل هذا يفسر قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ٢ الذي أنقض ظهرك ﴿الشرح: 2، 3﴾، فالمراد بالوزر الحمل الثقيل الذي أتعب ظهره، وهو حمل معنوي قائم على التفكير الطويل في تخلص قومه مما هم فيه من كفر وضلال، لأنه ﷺ منذ صغره لم يكن أنانياً يحب ذاته فقط، ولكنه كان اجتماعياً يشترك مع قومه في الأمور العظيمة، وبالرسالة خفف الله عنه هذا الحمل، فأنس بجبريل وألف اللقاء به ويسر له أمر الدعوة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿الشرح: 5، 6﴾.

السؤال رقم (57): هل أسلمت مارية قبل زواجها بالرسول ' أم بعد الزواج منه، وهل أعتقها وهل عقد عليها أم كانت من بين ما ملكت يمينه، ولماذا لم تُخاطب بأم المؤمنين كبقية زوجات النبي '؟

الجواب: مارية القبطية، أهداها المُقوقس القبطي سنة سبع من الهجرة إلى النبي ﷺ هي وأختها «سيرين» عندما عرض عليه حاطب بن أبي بلتعة كتاب النبي ﷺ بدعوته إلى الإسلام، وفي الطريق إلى المدينة المنورة عرض عليها حاطب الإسلام فأسلمت، وكذلك أسلمت أختها التي وهبها النبي ﷺ إلى حسان بن ثابت .

وكان الرسول ﷺ يتسرّى بها، أي يتمتع بها بملك اليمين ولم يعتقها ولم يتزوجها بعقد، وولدت له إبراهيم الذي مات صغيراً، والولد من الأمة المُتمتع بها بملك اليمين يكون حرّاً، ومع أنها ليست زوجة معقوداً عليها فقد كان يحجبها كما يحجب زوجاته، وقد ظلت أمة لكن تحررت بعد موت النبي ﷺ كما تحرّر كلُّ أمّ ولد. ولعدم العقد عليها لا يطلق عليها اسم زوجة، ولا يطلق عليها لقب «أم المؤمنين» لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6] .

السؤال رقم: (58) ما معنى قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿أَتَقِ اللَّهَ﴾ وهل وقع منه خطأ أو تقصير حتى يقول الله له ذلك؟

الجواب: قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِغِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ

اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١﴾.

المراد بالأمر هنا هو المداومة على التقوى، ولا يقصد بها أن الرسول ﷺ كان غير متق لله فأمره الله بالتقوى، ومثل ذلك كثير في القرآن الكريم.

قال الماوردي في تفسيره: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتِّقِ اللَّهَ﴾ وهذا وإن كان معلوماً من حاله ﷺ ففي أمره به أوجه:

أحدها: أن معنى هذا الأمر الإكثار من اتقاء الله في جهاد أعدائه.

الثاني: استدامة التقوى على ما سبق من حاله.

الثالث: أنه خطاب توجه إليه والمراد به غيره من أمته.

وقال الثعالبي: معناه: دُم على التَّقْوَى، ومتى أمر أحدٌ بشيء وهو به مُتَلَبِّسٌ؛ فإنما معناه الدوامُ في المستقبلِ على مثل الحالةِ الماضيةِ.

وقال أبو السعود: والمرادُ بالتَّقْوَى المأمورُ به الثباتُ عليه والازديادُ منه فإنَّ له باباً واسعاً وعرضاً عريضاً لا يُنال مداهُ.

وقال الفخر الرازي: الأمرُ بالشيء لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمورِ بالمأمورِ به إذ لا يصلح أن يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبى ﷺ كان متقياً فما الوجه فيه؟

نقول فيه وجهان: أحدهما: منقول وهو أنه أمر بالمداومة فإنه يصح أن يقول القائل للجالس: اجلس ههنا إلى أن أجئك، ويقول القائل للساكت قد أصبت فاسكت تسلّم، أي دم على ما أنت عليه والثاني: وهو معقول لطيف،

(١) الأحزاب: ١

وهو أن الملك يتقي منه عباده على ثلاثة أوجه بعضهم يخاف من عقابه ، وبعضهم يخاف من قطع ثوابه ، وثالث يخاف من احتجابه ، فالنبي ﷺ لم يؤمر بالتقوى بالمعنى الأول ولا بالمعنى الثاني ، وأما الثالث فالمخلص لا يأمنه ما دام في الدنيا . وكيف والأمور الدنيوية شاغلة والآدمي في الدنيا تارة مع الله ، وأخرى مقبل على ما لا بد منه ، وإن كان معه الله وإلى هذا إشار بقوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [فصلت: 6] يعني يرفع الحجاب عني وقت الوحي ثم أعود إليكم كأني منكم فالأمر بالتقوى يوجب استدامة الحضور .

الوجه الثاني: هو أن النبي عليه الصلاة والسلام كل لحظة كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله فيما مضى بالنسبة إلى ما هو فيه تركاً للأفضل ، فكان له في كل ساعة تقوى متجددة فقوله: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ على هذا أمر بما ليس فيه وإلى هذا أشار عليه الصلاة والسلام بقوله: «من استوى يومه فهو مغبون» ولأنه طلب من ربه بأمر الله إياه به زيادة العلم حيث قال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] وأيضاً إلى هذا وقعت الإشارة بقوله ﷺ كما في صحيح مسلم عَنْ الْأَعْرَبِيِّ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ» . يعني يتجدد له مقام يقول الذي أتيت به من الشكر والعبادة لم يكن شيئاً .

إذا علم هذا فالنبي ﷺ بحكم ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: 6] كان قد وقع له خوف ما يسير من جهة السنة الكفار والمنافقين ومن أيديهم بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: 37] فأمره الله

بتقوى أخرى فوق ما يتقيه بحيث تنسيه الخلق ولا يريد إلا الحق وزاد الله به درجته فكان ذلك بشارة له، في ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ أنت ما بقيت في الدرجة التي يقنع منك بتقوى، مثل تقوى الآحاد أو تقوى الأوتاد بل لا يقنع منك إلا بتقوى تنسيك نفسك ألا ترى أن الإنسان إذا كان يخاف فوت مال إن هجم عليه غاشم يقصد قتله يذهل عن المال ويهرب ويتركه، فكذلك النبي عليه الصلاة والسلام أمر بمثل هذه التقوى ومع هذه التقوى لا يبقى الخوف من أحد غير الله وخرج هذا مخرج قول القائل لمن يخاف زيدا أو عمراً خف عمراً فإن زيدا لا يقدر عليك إذا كان عمرو معك فلا يكون ذلك أمراً بالخوف من عمرو فإنه يخاف وإنما يكون ذلك نهياً عن الخوف من زيد في ضمن الأمر بزيادة الخوف من عمرو حتى ينسيه زيدا.

الرسالات

السؤال رقم (59): هل يرث ابن النبي أباه في النبوة، أو أنها هبة من الله سبحانه لمن يصطفيه؟

الجواب: يقول الله تعالى عن دعاء زكريا ربه: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَا رَبِّي وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 5، 6] ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: 16] ويقول ﷺ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» رواه البخاري ومسلم «الجامع الكبير للسيوطي ص 1047» ويقول: «إن العلماء ورثة الأنبياء» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم. تحدث القرطبي في تفسيره (81/11) عن التوارث بين الأنبياء، وذكر

أن هناك ثلاثة آراء للعلماء في النصوص التي تثبت الوراثة، هل هي وراثة نبوة، أو وراثة حكمة، أو وراثة مال؟ وبيّن أن وراثة النبوة مستحيلة، ولو كانت تورث لقال قائل: الناس ينتسبون إلى نوح عليه السلام وهو نبي مرسل -يعني يمكن لأي إنسان أن يقول أنا نبي، أو معي قسط من النبوة حتى الكفار- ووراثة العلم والحكمة رأي حسن ولا مانع منه، ومثلها وراثة العلماء لعلم الأنبياء، ووراثة سليمان داود هي من هذا القبيل، أما وراثة المال فهي غير ممنوعة، لكن كيف ذلك والحديث يمنع؟ وأجاب عن ذلك بأن وراثة زكريا ووراثة داود لا مانع منها، وما جاء في الحديث فهو خاص بالنبي محمد ﷺ، وعبر بصيغة الجمع ويقصد نفسه هو، فهذا التعبير سائغ، ويمكن أن يراد به أن ما تركناه على سبيل الصدقة لا يورث كالتركة.

يؤخذ من هذا أن وراثة النبوة ممنوعة، فهي هبة من الله يعطيها من يصطفيه من عباده، يقول ابن عطية: داود من بني إسرائيل وكان ملكاً، وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة بمعنى صار إليه ذلك بعد موت أبيه، فسمي ميراثاً تجوزاً، يعني أن الله هو الذي أعطاه ذلك باصطفائه له، وليس إراثاً حتمياً من أبيه كما تورث الأموال.

ومهما يكن من شيء فإن ذلك أمر لا يعنيننا بعد أن ختمت النبوة بسيدنا محمد ﷺ، وليس لأحد من بعده، وبخاصة ممن ينتسبون إليه، أن يدعيها كميراث، وكان من حكمة الله أنه لم يجعل لنبيه ولداً يعيش من بعده حتى لا يدعي وراثة النبوة وعلينا أن نهتم بميراثه الذي تركه لنا وهو العلم، الذي نبه أحد الصحابة إليه، حيث قال لهم: أنتم هنا وميراث الرسول ﷺ يقسم في

المسجد؟ فلما ذهبوا لم يجدوا إلا حلقة العلم فعرفوا أنها المقصودة بالميراث .

وهو شرف كبير أن يكون العلماء هم ورثة هذا الهدي النبوي الذي أوصي بالتمسك به كما جاء في الحديث: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي» رواه الحاكم وصححه .

السؤال رقم (60): من هم أولو العزم الذين أمر الله نبيه أن يصبر كما صبروا؟

الجواب: يقول الله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: 35]، أولو العزم مختلف فيهم على أقوال كثيرة، فقليل: هم كل الرسل، ولفظ «من» للبيان لا للتبعيض، وقيل: هم بعض الرسل مع اختلاف في تعيينهم وفي عددهم، ومن أقوى الآراء أنهم المذكورون في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7]، وسموا بذلك لأنهم صبروا كثيراً في تبليغ دعوتهم حتى نصرهم الله. ومن صور معاناتهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214].

السؤال رقم (61): هل صحيح أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وكيف

نوفق بين حياتهم فيها وقوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}؟

الجواب: معلوم أن كل كائن حي لا بد أن يموت، قال تعالى: ﴿كُلُّ

نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة

الرحمن: 26]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ

الْخَالِدُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 34]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾

[الزمر: 30].

وبعد موت الإنسان ستكون هناك حياة له من نوع آخر، فإذا فني الجسد

وصار تراباً فالروح باقية، ولها اتصال إلى حد ما بالجسد تختلف درجات هذا

الاتصال من شخص لآخر، وقد قال الله سبحانه في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ

الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ [آل عمران: 169].

وبخصوص الأنبياء روى أبو داود والبيهقي أن النبي ﷺ قال: «من

أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثرُوا عليّ من الصلاة فيه، وإن صلاتكم تعرض

عليّ» قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أَرَمْتَ -بفتح

الراء - يعني بليت؟ فقال: «إن الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد

الأنبياء» وروى أبو داود أيضاً حديث: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله

عليّ روعي حتى أَرُد عليه السلام» وروى أحمد والنسائي والحاكم وصححه

وغيرهم حديث: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام».

يقول السيوطي في كتابه «إنباء الأذكىاء بحياة الأنبياء»: حياة النبي ﷺ في

قبره وحياة سائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً، لكثرة الأدلة وتواتر

الأخبار، وقد أُلّف البيهقي جزءاً في حياتهم، ومن الأخبار ما رواه مسلم: أن النبي ﷺ ليلة أسري به مرَّ على موسى وهو قائم يصلي في قبره، وصح أن النبي ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء.

جاء في وصف موسى عندما مرَّ به: «فإذا هو رجل ضرب جعد كأنه رجل من شنوءة» ومعنى <ضرب> متوسط الحجم أو ضعيف اللحم، ومعنى «جعد» شعره غير سبط، و«شنوءة» قوم من الزط سمر اللون وهذا يؤكد رؤيته البصرية.

وجاء في هذا الحديث أيضاً: «وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم...» فهل رأهما في قبريهما كما رأى موسى في قبره، أو رأهم يصلون في المسجد الأقصى حيث جاء في الحديث: فحانت الصلاة فأممتهم.

بعد الأخبار المذكورة وبعد كلام السيوطي في تواتر الأخبار وكثرة الأدلة على حياة الأنبياء في قبورهم يمكننا أن نطمئن إلى ذلك ولا نكذب، بالإضافة إلى أن النبي ﷺ أفضل من الشهداء، وقد قال الله فيهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، ولا يقال: قد يكون في المفضل ما ليس في الفاضل، لأن محل ذلك ما لم يرد نص، وقد ورد.

وحياتهم في القبور مختلف في كفيتهما، وجمهور المسلمين على أنها حياة حقيقية لا مجازية، وقد وضع الفخر الرازي ذلك في تفسيره لهذه الآية.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]، فمعناه أن روحك

ستفارق بدنك وتدخل في عالم آخر كسائر الناس ، قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَّا يَنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ ٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿ [الأنبياء: 34، 35].

وحديث رد روح النبي ﷺ ليجيب من يسلم عليه إن كان ظاهره يفيد أن روحه الشريفة تفارق جسده الشريف فقد أجاب على ذلك العلماء بأجوبة أوصلها السيوطي إلى سبعة وعشرين وجهاً، أحسنها أنه ﷺ يكون مستغرقاً بمشاهدة حضرة القدس فيفنى عن إحساسه الشريف، فإذا سلم المسلم عليه تردّ روحه من هذا الاستغراق إلى الإحساس لأجل الرد، كما ترى في الدنيا من يكون مشغول البال قد لا يحس بمن يتكلم بجواره، وعدم أكل الأرض أجساد الأنبياء ثابت بالحديث السابق، وهو حديث صحيح عند كثير من العلماء كابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي كما صححه النووي في كتابه «الأذكار». والعقائد وأخبار الغيب تؤخذ من الأدلة القطعية في الثبوت والدلالة، وما دام الأمر داخلاً في قدرة الله سبحانه، مع اختلاف قوانين عالم الغيب والشهادة، ومع عدم مصادمة ذلك لأمر مقطوع به فالقلب يطمئن إلى قبوله. والله أعلم.

سؤال رقم: (62) هل صحيح أن الله عوض والد الغلام الذي قتله الخضر فتاة تزوجت نبياً وولدت نبياً ومن هما هذان النبيان؟

الجواب: جاء في تفسير القرطبي ما نصه: وعن ابن جبير وابن جريج أنهما بُدّلا جارية، قال الكلبي: فتزوجها نبي من الأنبياء، فولدت له نبياً، فهدى

الله على يديه أمة من الأمم .

وقال قتادة: ولدت اثني عشر نبياً، وعن ابن جريج أيضاً أن أم الغلام يوم قتل كانت حاملاً بغلام مسلم وكان المقتول كافراً .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: فولدت جارية ولدت نبياً، وفي رواية: أبدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبياً، وقال جعفر بن محمد عن أبيه، قال علماؤنا: وهذا بعيد جداً، ولا تعرف كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل، وهذه المرأة لم تكن منهم . انتهى .

يؤخذ من هذا الكلام أن هناك رأيين في بدل الغلام المقتول، رأي يقول بأنه غلام مسلم كما قال ابن جريج، ورأي يقول بأنه جارية أي بنت، وهذه البنت قيل: أنها ولدت نبياً كما قال الكلبي وابن عباس رضي الله عنهما وقيل: ولدت اثني عشر نبياً كما قال قتادة، وقيل: سبعين كما في رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وذكر الخازن في تفسيره ذلك أيضاً: وتضارب هذه الأقوال في نوع البدل وفي عدد الأنبياء المولودين منه يدل على أنه ليس هناك دليل صحيح يعتمد عليه القائلون بذلك، وبصرف النظر عن صحة هذه الأقوال وعدم صحتها فإن الجدل في ترجيح أحدها جدل عقيم لا يجوز فيه التعصب، مع العلم بأن الجهل بذلك لا يضر، والعلم به لا يفيد فائدة تذكر، وينبغي الاهتمام بغير هذه المسائل التي لا تعدو أن تكون ترفاً ذهنياً. وأحداث الحياة بإيقاعها الشديد أولى بالاهتمام .

السؤال رقم (63): هل يجوز نسبة النسيان للأنبياء؟

الجواب: جاء في نيل الأوطار /4/472/: قوله ﷺ: (لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصِرْ) هُوَ تَصْرِيحٌ بِنَفْيِ النَّسْيَانِ وَنَفْيِ الْقُصْرِ، فَأَجَابَ ذُو الْيَدَيْنِ بِقَوْلِهِ: «قَدْ كَانَ بَعْضُ ذَلِكَ» كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ. وَفِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ: «بَلَى قَدْ نَسَيْتَ» كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ دُخُولِ السَّهُوِ عَلَيْهِ ﷺ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَقَدْ نَقَلَ عِيَاضُ وَالنَّوَوِيُّ الْإِجْمَاعَ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ دُخُولِ السَّهُوِ فِي الْأَقْوَالِ التَّبْلِيغِيَّةِ وَخَصَّ الْخِلَافَ بِالْأَفْعَالِ وَقَدْ تَعَقَّبَا.
قَالَ الْحَافِظُ: نَعَمْ اتَّفَقَ مَنْ جَوَّزَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُقَرُّ عَلَيْهِ بَلْ يَقَعُ لَهُ بَيَانُ ذَلِكَ إِمَّا مُتَّصِلًا بِالْفِعْلِ أَوْ بَعْدَهُ كَمَا وَقَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

وَفَائِدَةُ جَوَازِ السَّهُوِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ بَيَانُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ إِذَا وَقَعَ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِ.
وَأَمَّا مَنْ مَنَعَ السَّهُوَ مُطْلَقًا مِنْهُ ﷺ فَأَجَابُوا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِأَجْوَبَةٍ: مِنْهَا أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «لَمْ أَنْسَ» عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ وَأَنَّهُ كَانَ مُتَعَمِّدًا لِذَلِكَ لِيَقَعَ مِنْهُ التَّشْرِيحُ بِالْفِعْلِ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْقَوْلِ، وَيَكْفِي فِي رَدِّ هَذَا تَقْرِيرُهُ ﷺ لِذِي الْيَدَيْنِ عَلَى قَوْلِهِ: «بَلَى قَدْ نَسَيْتَ» وَأَصْرَحُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسُونَ» وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ كَمَا سَيَأْتِي.

وَمِنْ أَجْوَبَتِهِمْ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «إِنِّي لَا أَنْسَى، وَلَكِنْ أَنْسَى لِأَسْنٍ» يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ صُدُورِ النَّسْيَانِ مِنْهُ.

وَتَعَقَّبَ بِمَا قَالَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَا أَصْلَ لَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ

بِلاغاتِ مَالِكِ الَّتِي لَمْ تُوجَدْ مَوْصُولَةً بَعْدَ الْبَحْثِ الشَّدِيدِ وَأَيْضًا هُوَ أَحَدُ
الْأَحَادِيثِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تُكَلِّمُ عَلَيْهَا فِي الْمَوْطَأِ.

وَمِنْ أَجْوِبَتِهِمْ أَيْضًا حَدِيثُ إِنْكَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ قَالَ: نَسِيتُ آيَةَ كَذَا
وَكَذَا، وَقَالَ: «بِسْمَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ» وَتُعَقَّبُ بِأَنَّهُ
لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَمِّ إِضَافَةِ نَسْيَانِ الْآيَةِ ذَمُّ إِضَافَةِ نَسْيَانِ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّ الْفَرْقَ
بَيْنَهُمَا وَاضِحٌ جِدًّا.

وَمِنْ أَجْوِبَتِهِمْ أَنَّ قَوْلَهُ: «لَمْ أَنْسَ» رَاجِعٌ إِلَى السَّلَامِ: أَيِ سَلَّمْتُ قَصْدًا
بَانِيًا عَلَى مَا فِي اعْتِقَادِي أَنِّي صَلَّيْتُ أَرْبَعًا.

قَالَ الْحَافِظُ: وَهَذَا جَيِّدٌ، وَكَأَنَّ ذَا الْيَدَيْنِ فَهَمَّ الْعُمُومَ فَقَالَ: «بَلَى قَدْ
نَسِيتُ» وَالْكَلامُ فِي ذَلِكَ مَحَلُّهُ عِلْمُ الْكَلَامِ وَالْأُصُولِ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ عِيَاضٌ فِي الشِّفَا بِمَا يَشْفِي فَمَنْ أَرَادَ الْبَسْطَ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ،
وَهَذَا كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى السَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ وَاحِدٌ، وَأَمَّا مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا فَلَهُ
أَنْ يَقُولَ: هَذِهِ الْأَدَلَّةُ وَإِنْ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ وَقَعَ النَّسْيَانُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ لَا تَسْتَلْزِمُ
وُقُوعَ السَّهْوِ.

فصل في الصحابة

السؤال رقم (64): لماذا إذا ذكر الإمام علي بن أبي طالب قيل: كرم
الله وجهه أو عليه السلام؟

الجواب: إنما خص علي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول: كرم الله وجهه، لأنه ما سجد لصنم
قط، وهذا إن شاء الله تعالى لا بأس به. هذا ما قيل، وقد يكون السبب غير

ذلك .

وأما قولهم: عليّ عليه السلام، فهذا مذهب المحدثين: البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وأحمد بن حنبل والحاكم والبيهقي ومذهب كل محب لآل الكساء وذريتهم أنهم يقولون: عليهم السلام عند ذكرهم لآل البيت .

السؤال رقم (161) هل ضرب عمر ابنه بسبب الخمر حتى مات؟

الجواب: هذه الحكاية تتردد كثيراً على ألسنة المتحدثين عن عدالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعدم محاباته في تطبيق الشريعة، وسيدنا عمر - وإن كان معروفاً أنه يمثل العدالة في أسمى معانيها أو يكاد، إلا أنه وكذلك كثير من المشهورين في التاريخ - قد نسبت إليه أمور لم يصح سندها، يحكيها الناس توكيداً لعدله .

ونشرت في مجلة إسلامية فتوى حول هذا الموضوع جاء فيها: إن أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ذكر في كتابه «سيرة عمر بن الخطاب» أن عبد الرحمن بن عمر ومعه أبو الروعة عقبة بن الحارث، وهو من أهل بدر، كانا في مصر وشربا نبيذاً، وظنا أنه لا يسكر، فسكرا، وكان يكفيهما الإحساس بخطئهما والتوبة إلى الله، غير أنهما غضبا لله على أنفسهما، فذهبا إلى عمرو ابن العاص وهو والي مصر، وطلبا منه إقامة الحد عليهما. وقد كان عبد الله ابن عمر سمع أن أخاً له شرب، ثم علم أنه رفع أمره إلى عمرو بن العاص، فذهب معه وشهد إقامة الحد عليهما في دار عمرو. ثم سمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إلى عمرو خطاباً شديد اللهجة، يذكر فيه محاباته لابنه، حيث لم يقم الحد عليه في مكان عام مكشوف، كما يقام على

غيره من عامة الناس، وطلب منه أن يرسله إليه بالمدينة في ثوب خشن، أو على مركب خشن، فلما حضر مع أخيه عبد الله وسأله عمر عما حدث: أقر واعترف فغضب منه وضربه وعبد الرحمن يستغيث وهو لا يرحمه، ثم حبسه بعد أن انتهى من ضربه، ثم مرض عبد الرحمن ومات.

وأخرج الديلمي في كتابه «المنتقى» كما حكاها صاحب «الرياض النضرة» أن حادثة الحد كانت عن زنى عبد الرحمن بجارية في حائط - بستان - بني النجار، وكان سكران من خمر شربه عند يهودي اسمه «نسيك» كما نقله الشبلنجي في كتابه «نور البصائر والأبصار». والكتب الصحيحة لم تشر إلى هذه الحادثة، وقد قال ابن الجوزي في كتابه: إن عمر لم يقم الحد على ابنه، فإن ضربه ليس حدًا، بل غضبًا وتأديبًا، لأن الحد لا يتكرر، ثم يقول: وقد أخذ هذا الحديث قوم من القصاص فبدؤوا فيه وأعادوا، فتارة يجعلون هذا مضروباً على شرب الخمر، وتارة على الزنى ويذكرون كلاماً ملفقاً يبكي العوام لا يجوز أن يصدر عن مثل عمر، وقد ذكرت الحديث بطرقه في كتاب «الموضوعات» ونزهت هذا الكتاب عنه «ص 167». وأرى أن مثل هذه الأمور التي تمس الشخصيات الكريمة ينبغي أن يحتاط في الحديث عنها مهما كان الغرض من الحديث، وبخاصة الخلفاء الراشدون الذين أمرنا الرسول ﷺ بالاعتداء بهديهم.

السؤال رقم (65): من هو الصحابي الذي اهتز له عرش الرحمن، وما معنى الاهتزاز؟

الجواب: ذلك الصحابي هو سعد بن معاذ رضي الله عنه زعيم الأوس إحدى

قبائل الأنصار في المدينة، روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم -: «اهتز لها عرش الرحمن»، وجاء مثله من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال النووي في شرح هذا الحديث (22/16): اختلف العلماء في تأويله، فقالت طائفة: هو على ظاهره، واهتزاز العرش تحركه فرحاً بقدوم روح سعد، وجعل الله في العرش تمييزاً حصل به هذا، ولا مانع منه، كما قال تعالى عن الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 74]، وهذا القول هو المعتمد لظاهر الحديث وهو المختار.

وقال المازري: قال بعضهم: هو على حقيقته وأن العرش تحرك لموته، قال: وهذا لا ينكر من جهة العقل، لأن العرش جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون. قال: لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك، إلا أن يقال: إن الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته.

وقال آخرون: المراد اهتزاز أهل العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة، فحذف المضاف - وهو أهل - والمراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول. ومنه قول العرب: فلان يهتز للمكارم، لا يريدون اضطراب جسمه وحركته، وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها.

وقال الحربي: هو كناية عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء فيقولون: أظلمت لموت فلان الأرض، وقامت له القيامة.

وقال جماعة: المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش، وهذا القول

باطل يرده صريح هذه الروايات التي ذكرها مسلم: اهتز لموته عرش الرحمن ،
وإنما قال هؤلاء هذا التأويل لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التي في مسلم ،
والله أعلم .

**السؤال رقم (66): هل ثبت أن الرسول ﷺ قال عن سيدنا علي رضي الله عنه
فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ عَلِيًّا مَوْلَاهُ؟**

الجواب: نعم فقد جاء في سنن الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح
وفي مسند أحمد وغيره عن مَيْمُونِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
وَأَنَا أَسْمَعُ نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ: وَادِي حُمٍّ، فَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ
فَصَلَاهَا بِهَجِيرٍ قَالَ فَخَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَظَلَّلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِثَوْبٍ عَلَى شَجَرَةٍ
سَمْرَةٍ مِنَ الشَّمْسِ فَقَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَوْلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ
مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ عَلِيًّا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ
عَادَاهُ وَوَالِ مَنْ وَالَاهُ» قَالَ فَلَقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ هَيْنَأُ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ
أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ!!

وقال: حَدَّثَنَا أَبُو أُمَيَّةَ قَالَ: ثنا سَهْلُ بْنُ عَامِرٍ الْبَجَلِيُّ قَالَ: ثنا عَيْسَى بْنُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو إِسْحَاقَ السَّبْعِيُّ عَنْ عَمْرِو ذِي مَرٍّ قَالَ «شَهِدْتُ
عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الرَّحْبَةِ يَنْشُدُ النَّاسُ أَنْشُدُ اللَّهَ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ
غَدِيرِ حُمٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ لَمَّا قَامَ فَشَهِدَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَامَ اثْنَا
عَشَرَ بَدْرِيًّا كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ فَقَالُوا نَشَهِدُ أَنَا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ
يَوْمَ غَدِيرِ حُمٍّ: أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِي أُمَّهَاتُهُمْ فَقُلْنَا بَلَى
يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ

عَادَاهُ .

فالمراد بالموالاة في قوله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه . المحبة والمودة وترك المعادة ، وهذا الذي فهمه الصحابة رضوان الله عليهم حتى قال عمر لعلي ﷺ: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة . رواه أحمد .

وليس المراد بذلك الخلافة ، ويدل عليه أنه ﷺ أطلق ذلك في حياته ولم يقل: فعليُّ بعد موتي مولاه . ومعلوم أن في حياة رسول الله ﷺ لم يكن الأمر إلى علي ﷺ ، ومثل هذا الأمر العظيم الخلافة يجب أن يبلغ بلاغاً مبيناً لا يكفي فيه لفظ محتمل مجمل ، قال البيهقي في كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: وأما حديث الموالاة فليس فيه إن صح إسناده نص على ولاية عليٍّ بعده ، فقد ذكرنا من طرقه في كتاب الفضائل ما دل على مقصود النبي ﷺ من ذلك ، وهو أنه لما بعثه إلى اليمن كثرت الشكاة عنه وأظهروا بغضه ، فأراد النبي ﷺ أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه ، ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته ، فقال: من كنت وليه فعلي وليه ، وفي بعض الروايات: من كنت مولاه فعليُّ مولاه ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه .

والمراد به ولاء الإسلام ومودته ، وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً ولا يعادي بعضهم بعضاً ، وهو في معنى ما جاء في مسلم عن علي ﷺ أنه قال: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ إِلَّا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ» . ثم نقل بسنده عن الشافعي رحمه الله في معنى قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه

يعني بذلك ولاء الإسلام، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: 11] ثم نقل بسنده عن الحسن بن الحسن بن علي وسأله رجل: ألم يقل رسول الله ﷺ لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقال: أما والله إن رسول الله ﷺ إن كان يعني بذلك الإمرة والسلطان والقيام على الناس بعده لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت، ولقال لهم: إن هذا ولي أمركم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا، فما كان من وراء هذا شيء، فإن رسول الله ﷺ كان أنصح الناس للمسلمين.

وروى الذهبي وغيره بسنده عن الحسن قال: لما قدم علي رضي الله عنه البصرة قام إليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له: ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تتولى على الأمة تضرب بعضهم ببعض، أعهد من رسول الله ﷺ عهده إليك؟ فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت، فقال: أما أن يكون عندي عهد من النبي ﷺ في ذلك فلا والله، إن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه، ولو كان عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد إلا بردي هذا، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر رضي الله عنه فأبى وغضب وقال: أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر

يصلي بالناس ، فلما قبض الله نبيه نظرنا في أمورنا فاخترنا لديانا من رضيه
نبي الله لدينا ، وكانت الصلاة أصل الإسلام وهي أعظم الأمر وقوام الدين ،
فبايعنا أبا بكر رضي الله عنه وكان لذلك أهلاً لم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد
بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة ، فأديت إلى أبي بكر رضي الله عنه حقه
وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا
أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي ، فلما قبض ولاها عمر رضي الله عنه فأخذ
بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد
بعضنا على بعض ولم نقطع البراءة منه ، فأديت إلى عمر رضي الله عنه حقه وعرفت
طاعته وغزوت معه في جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ،
وأضرب بين يديه الحدود بسوطي ، فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي
وسابقتي وسالفتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل
ال خليفة بعده ذنباً إلا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ، ولو كانت محاباة
منه لآثر بها ولده فبرئ منها إلى رهط من قريش ستة أنا أحدهم ، فلما اجتمع
الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدلوا بي ،
فأخذ عبد الرحمن موثقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ، ثم أخذ
بيد ابن عفان رضي الله عنه فضرب بيده على يده فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد
سبقت بيعتي وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري ، فبايعنا عثمان رضي الله عنه فأديت له حقه
وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو
إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي ، فلما أصيب نظرت في أمري
فإذا الخليفان اللذان أخذها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهما بالصلاة قد مضيا
وهذا الذي قد أخذ له الميثاق قد أصيب ، فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين

فصل في الجن

السؤال رقم (67): ما هو عالم الجن؟

الجواب: تعريف هذا العالم: يختلف عالم الجن اختلافاً كلياً عن عالم الملائكة والإنسان، فكلُّ له مادته التي خلق منها، وصفاته التي يختلف بها عن الآخر، إلا أن عالم الجن يرتبط مع عالم الإنس من حيث صفة الإدراك وصفة العقل والقدرة على اختيار طريق الخير والشر .
وأبو الجن هو إبليس كما أن أبا الإنسان آدم عليه السلام .

أما طبيعة خلقتهم فقد أخبرنا الله عز وجل عنهم أنه خلقهم من نار، كما قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر: 27) وقوله عز وجل: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ (الرحمن: 15) وقد فسر أهل العلم من السلف الصالح قوله تعالى: ﴿مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ هو طرف اللهب ومنهم ابن عباس رضي الله عنه، وعكرمة، ومجاهد، والحسن وغيره، وقال النووي: «المارج اللهب المختلط بسواد النار». أما الإنسان فقد خُلِقَ من طين كما أخبرنا عز وجل بقوله ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: 12) وفي قوله سبحانه: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (الصافات: 11) وكذلك كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ

نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». وقد خلق الجن قبل الإنسان وسكن الأرض قبله، بدليل قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٦٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٦٧﴾﴾ (الحجر: 26-27).

أنواع الجن وأصنافهم:

وينقسم الجن إلى ثلاثة أصناف كما صنفهم لنا رسول الله ﷺ في حديث أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْجِنُّ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ يَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ، وَصِنْفٌ حَيَاتٌ وَكِلَابٌ، وَصِنْفٌ يَحِلُّونَ وَيَطْعَنُونَ» رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي بإسناد صحيح.

وقد أمرت الجن وكلفت كما كلف الإنسان، فهم مأمورون بالتوحيد والإيمان والطاعة والعبادة، وعدم المعصية والبعد عن الظلم وعدم تعدي حدود الله تعالى، فمسلمهم مسلم، ومؤمنهم مؤمن، وكافرهم كافر، والمطيع منهم لله ورسوله، يدخل الجنة ومن أبى دخل النار سواء بسواء، مثلهم مثل الإنسان والدليل من قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وهم خلق من خلق الله تعالى، ومن أنكرهم فإنه كافر للأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة.

والجن يأكلون ويشربون: ففي صحيح البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةً لِرُضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُ بِهَا فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضُ بِهَا وَلَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ

وَلَا بَرَوْتَهُ، فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرْفِ نَوْبِي حَتَّى وَصَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ
 انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ مَشَيْتُ فَقُلْتُ مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْتَةِ؟ قَالَ: هُمَا مِنْ طَعَامِ
 الْجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفَدُّ جِنٌّ نَصِيبِينَ وَنَعَمَ الْجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ فَدَعَوْتُ اللَّهَ
 لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْتَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا» .

وفي صحيح مسلم عن عامرٍ قال: سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ: هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ
 شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ: أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ
 فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّا كُنَّا
 مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشَّعَابِ فَقُلْنَا:
 اسْتَطِيرَ أَوْ اغْتِيلَ قَالَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءَ مِنْ
 قِبَلِ حِرَاءٍ قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ
 بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَقَالَ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ قَالَ
 فَاَنْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذِكْرٌ
 اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَّ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلْفٌ لِدَوَابِّكُمْ
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ» .

وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح: «وَكُلُّ بَعْرَةٍ أَوْ رَوْتَةٍ عَلْفٌ لِدَوَابِّكُمْ
 فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا زَادٌ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ» .

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الشيطان يأكل بشماله وأمرنا بمخالفته في
 ذلك . وقد روى مسلم في صحيحه عن ابنِ عمرٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
 «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فليَأْكُلْ بِيَمِينِهِ وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ
 بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» .

وفي مسند الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَكَلَ بِسْمَالِهِ أَكَلَ مَعَهُ الشَّيْطَانُ وَمَنْ شَرِبَ بِسْمَالِهِ شَرِبَ مَعَهُ الشَّيْطَانُ». وكما أن الإنسان المسلم منهي عن أكل اللحم الذي لم يسم عليه اسم الله تعالى ، فإن الجن المسلم أيضاً منهي عن أن يأكل لحم الميتة لأنه لم يذكر اسم الله عليها. لذا فقد ترك اللحم الذي لم يذكر اسم الله عليه يأكله المشركون ، والذين يذبحون لغير الله تعالى هم على شاكلة الشيطان . لذا نستنتج أن الميتة أكل الشيطان .

وقد استنبط من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: 90) أن المسكر من شراب الشيطان ، فهو يشرب من الشراب الذي عمله أولياؤه بأمره ، وشاركهم في عمله ، فيشاركهم في شربه ، وإثمه وعقوبته .

أين يعيش الجن وأين يسكنون؟ كما أسلفنا فإن الجن هي أمة من الأمم ، وطالما أن الله عز وجل هو خالقهم فإنه عز وجل لم يخلق عباده عبثاً ، ولم يتركهم هملاً ، تماماً ككل المخلوقات في السماء أو في الأرض أو في جوف البحر ، فإن لكل نظامه وحياته ، فالسمك يعيش في الماء ولو أخرج منه لمات ، والإنسان والطير وكثير من الحيوان الذي يعيش فوق الأرض لو أدخل في البحر لماتوا جميعاً ، لأن الخالق سبحانه وتعالى جعل لكل نظام وغذاء وحياة تختلف عن الآخر .

والجن لهم حياتهم ومعاشهم وأكلهم وشربهم ، ولهم أماكن يسكنون فيها أو أماكن مختصة بهم ، وقد يشاركوننا في بعض الأماكن ، فهم يسكنون في

الأحراش والخرابات وبيوت الخلاء، وفي مواضع النجاسات والمقابر، ويأوي إلى كثير من هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين، المشعوذون والدجاجلة من الإنس الذين تقترب بهم الشياطين، ويتواجدون في أماكن اللهو وفي الأسواق حيث يكثر تواجدهم لإضلال الناس وإفسادهم، وقد أوصى سلمان الفارسي رضي الله عنه رجلاً فقال: «لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته» رواه مسلم في صحيحه .

السؤال رقم (68): ما العلاقة بين الجن والشياطين؟ وهل الشيطان أصله من الجن؟

تقدم أن الشيطان أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس، والظاهر من سياق القرآن أن الشيطان من الجن كما في قول الله عز وجل (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) (الكهف: 50). فهذا دليل واضح جلي بأن الشيطان أو إبليس كان من الجن، ففسقه وعدم تنفيذ أوامر الله تعالى وغروره، كان سبباً في طرد الله تعالى له، كما أن شيطنته أبعده من رحمة الله تعالى، فاختلف الناس في ذلك فمنهم: من قال بهذا، ومنهم من قال بغيره.

والفرق بين الجن والشياطين أن الجن فيهم المؤمن وفيهم الكافر ولكن لا دخل لهم في غواية بني آدم أو إضلالهم، بينما الشياطين هم الذين تمحضوا للشر والإيذاء والإيقاع ببني آدم. وإبليس: هو أب الشياطين، وله ذرية

لا يموتون إلا معه وهو من الجن ، ولكنه تمحض للشر .

وآدم: هو أب الإنس ، وفيهم المؤمن والكافر .

والملائكة: خلقهم الله من نور، وهم مجبولون على الطاعة، يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

فالملائكة تمحضوا للخير . . والشياطين تمحضوا للشر . . والجن والإنس قابلون للإيمان والكفر ، مستعدون للهدى والضلال .

ولا سبيل إلى معرفة الملائكة والجن إلا عن طريق الوحي . وفي سورة الجن وصفوا حالهم وموقفهم من هدي الله تعالى ؛ بما نفهم منه أن لهم طبيعة مزدوجة كطبيعة الإنسان في الاستعداد للهدى والضلال . ويحدثنا هذا النفر عن عقيدتهم في ربهم وقد آمنوا به . وعن ظنهم بعاقبة من يهتدي ومن يضل : كما جاء في سورة الجن :

﴿قُلْ أُوْحَىٰٓ إِلَىٰٓ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جُدًّا رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ
صِحْبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ
نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَا لَمَسْنَا
السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝٨ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ
لِلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي

الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ؕ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ .

وهذا التقرير من الجن بأن منهم صالحين وغير صالحين، مسلمين وقاسطين، يفيد ازدواج طبيعة الجن، واستعدادهم للخير والشر كالإنسان إلا من تمحض للشر منهم وهو إبليس وقبيله وهو تقرير ذو أهمية بالغة في تصحيح تصورنا العام عن هذا الخلق. فأغلبنا على اعتقاد أن الجن يمثلون الشر، وقد خلصت طبيعتهم له. وأن الإنسان وحده بين الخلائق هو ذو الطبيعة المزدوجة. وهذا ناشئ من مقررات سابقة في تصوراتنا عن حقائق هذا الوجود كما أسلفنا. وقد آن أن نراجعها على مقررات القرآن الصحيحة!

وهذا النفر من الجن يقول: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ . . . ويصف حالهم بصفة عامة: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ . أي لكل منا طريقته المنفصلة المقدودة المنقطعة عن طريقة الفريق الآخر.

ثم بين النفر معتقدهم الخاص بعد إيمانهم: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ ، فهم يعرفون قدرة الله تعالى عليهم في الأرض، ويعرفون عجزهم عن الهرب من سلطانه سبحانه والإفلات من قبضته، والفكاك من قدره. فلا هم يعجزون الله تعالى وهم في الأرض، ولا هم يعجزونه بالهرب منها. وهو ضعف العبد أمام الرب، وضعف المخلوق أمام الخالق. والشعور بسلطان الله القاهر الغالب.

وهؤلاء الجن هم الذين يعوذ بهم رجال من الإنس! وهم الذين يستعين بهم الإنس في الحوائج! وهم الذين جعل المشركون بين الله سبحانه وبينهم نسباً! وهؤلاء هم يعترفون بعجزهم وقدرة الله تعالى . وضعفهم وقوة الله تعالى ، وانكسارهم وقهر الله تعالى ، فيصححون ، لا لقومهم فحسب بل للمشركين كذلك ، حقيقة القوة الواحدة الغالبة على هذا الكون ومن فيه .

وإن من رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه من الإنس ، أن جعل الشيطان وحزبه من المردة والعمارة وغيرهم فيما يدخل في مضمون الجن ، غير مرئيين لهم ، لأنه سبحانه وتعالى يعلم بأن أشكالهم قبيحة ، وقد تكون أعين البشر وعقولهم لا تستوعب البشاعة التي خلق عليها الشياطين . وقد ذكر الله تعالى لنا ذلك في محكم التنزيل واصفاً قبح الشيطان بأن شبه لنا شجرة الزقوم التي تنبت من أصل الجحيم برؤوس الشياطين لما علم من قبح صورهم وأشكالهم ، فقال عز وجل: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴾ [الصفات: 54] . وقد ذكر لنا النبي ﷺ « أن للشيطان قرناً وأن الشمس تخرج بين قرني شيطان» وفي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ وَلَا تَحِينُوا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ أَوْ الشَّيْطَانِ» . ومن هذا كله يتبين لنا أن منظر الشيطان أو الجن أو إبليس بشع ، ولا يستطيع إنسان كائناً من كان من دون الرسل والأنبياء ، أن يرى الشيطان على حقيقة خلقته التي خلقه الله عليها كما يدعي البعض من الناس الجهلة وذلك لقوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُ

رَبَّنَا هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا نُرَوِّهِمْ إِنَّآ جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾
[الأعراف: 27].

أما الأنبياء والرسل فالله تعالى يريهم ما يريد وما يشاء. ولكن الشيطان أو الجن يستطيع أن يتحول من خاصيته التي خلقه الله عليها إلى خاصية أخرى كأن يكون في صورة كلب أو حية أو عقرب أو صورة إنسان أو ما إلى ذلك .

وإليك أخي القارىء هذه القصة الطريفة التي جرت مع أبي هريرة رضي الله عنه ورواها البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَةِ رَمْضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ

عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ فَأُصْبِحْتُ
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ
يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا
أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ
شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ
قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَا
قَالَ ذَلِكَ شَيْطَانٌ».

السؤال رقم (69): هل تدخل الجن جسد ابن آدم؟

الجواب: بدأت العداوة بين الشيطان والإنسان منذ اللحظة التي خلق
الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، بل من قبل ذلك عندما كان آدم عبارة
عن جسد، وقبل أن تنفخ فيه الروح، فقد كان جثة هامدة من طين أتى إليه
الشيطان فرآه أجوفاً، فكان يدخل من فمه ويخرج من دبره ويدخل من أنفه
ويخرج من أذنه وهو أجوف. والشيء إذا كان أجوف فإنه يكون غير متماسك
لذا كان يقول له: إن لك لشأناً ولئن أمرت بك لأعصين، ولئن سلطت عليك
لأهلكنك، وقد ورد في صحيح مسلم عن ثابتٍ عن أنسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ قَالَ: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرَكُهُ فَجَعَلَ
إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ فَلَمَّا رَأَهُ أَجُوفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتِمَّالِكُ».

وعندما نفخ الله تعالى الروح في آدم وأسجد الملائكة له، أبقى واستكبر

وفضل نفسه على آدم وهو الذي كان من أعبدهم لله تعالى ، فغرته نفسه فكيف يسجد لهذا الذي خلق من طين فتعالى على الله تعالى ولم ينفذ الأمر الذي صدر من الله تعالى له وللملائكة ، فاستجابت الملائكة وعاند هو ورفض ذلك واستحق أن يطرد من رحمة الله تعالى وأن يخرج الله تعالى من الجنة لأنها لا يكون فيها متكبر متعال من خلق الله تعالى .

فإذا علمنا هذا ، علينا أن نعلم أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد ، فحسب بل تعداه الى ما هو أبعد من ذلك ، وهو توعده لآدم وذريته بالإغواء والإضلال والاحتناك ، وأنه سوف يأمرهم بتغيير خلق الله تعالى ، وقد أمهله الله عز وجل إلى يوم البعث . والله حكمة بالغة في ذلك ، وإلا فإن الله قادر على أن يهلكه في تلك اللحظة . لذا ذكر لنا الله سبحانه هذا التفصيل في قوله عز وجل : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: 22) . وفي قوله تعالى من سورة النساء : ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا أَضِلَّهُمْ وَلَا أُمَيِّنُهُمْ وَلَا أُمِّنُهُمْ وَلَا أَمُرُهُمْ فَلْيُعِزُّكَ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ والآيات في هذا كثيرة جدًا ، فالعداوة حاصلة وستستمر ببقاء الدنيا لأن الشيطان يعتقد أن سبب خروجه من الجنة وطرده من رحمة الله إنما كانت بسبب آدم وليس باستكباره واستعلائه . فلذلك سوف يستمر بالانتقام من ذرية آدم بعد أن كان هو سبباً في خروج أبينا من الجنة .

ولو نظرنا نظرة متأمل لوجدنا أن الله ابتلى آدم بالشیطان وابتلى الشيطان

بآدم حتى تملأ الجنة بعباد الله المتقين وتملأ النار بالكفرة والمشركين والمنافقين والعاصين . فله في خلقه شؤون ، وله الحكمة البالغة ، ولذلك نجد أن أول مسة يمس الشيطان فيها الإنسان ساعة ولادته وهذا ثابت بالدليل ففي البخاري ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانَ فِي جَنْبِهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الْحَجَابِ» . وفي البخاري أيضاً: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنَهَا ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾» [آل عمران: 36] والسبب في حماية مريم وعيسى ﷺ أن الله استجاب دعوة أم مريم ﷺ ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ . فهذا أول إيذاء للشيطان لأي مولود يولد من ذرية آدم .

فكل هذه المقدمة والاستدلالات من الآيات الواضحات والأحاديث النبوية الثابتة إنما تمهيد للموضوع الرئيس في هذا الباب وهو تلبس الشيطان في جسد الإنسان وهو ما يسمى بالصرع . وقد تكلم فيه الكثيرون من العلماء خلفاً عن سلف . وقبل الدخول في أقوال أهل العلم والتفصيل فيها نود أن نخرج إلى قائد المعلمين ﷺ ونرى هل حدث شيء من هذا في عهده؟ فهو قدوة الناس أجمعين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . فما ثبت في عهده فهو الحق المسلم به وما لم يثبت فليس بصحيح .

ولقد حصل ذلك في عهد النبي ﷺ ففي سنن أبي داود ومسنده أحمد (عن أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدي ، عن أبيها ، أن جدها الزارع

انطلق إلى رسول الله ﷺ ، فانطلق معه بابن له مجنون ، أو ابن أخت له مجنون ، قال جدي: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ، قلت: إن معي ابناً لي أو ابن أخت مجنون ، أتيتك به تدعو الله له ، قال: «أئتني به» ، قال: فانطلقت به إليه وهو في الركاب فأطلقت عنه ، وألقيت عنه ثياب السفر ، وألبسته ثوبين حسنين ، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى النبي ﷺ ، فقال: «أذنوه مني ، اجعل ظهره مما يليني» قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله ، «فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه ، ويقول: «اخرج عدو الله ، اخرج عدو الله» ، فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول . ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه ، فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه» .

وفي مسند الإمام أحمد أيضاً عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا مَا رَأَاهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَرَاهَا أَحَدٌ بَعْدِي لَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ مَرَرْنَا بِامْرَأَةٍ جَالِسَةٍ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا صَبِيٌّ أَصَابَهُ بَلَاءٌ وَأَصَابَنَا مِنْهُ بَلَاءٌ يُؤْخَذُ فِي الْيَوْمِ مَا أَدْرِي كَمْ مَرَّةً؟ قَالَ: «نَاوِلِينِي» فَرَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَجَعَلْتُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ ثُمَّ فَعَرَّ فَاهُ فَفَنَفَتْ فِيهِ ثَلَاثًا وَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَحْسَأُ عَدُوَّ اللَّهِ ثُمَّ نَاوَلَهَا إِيَّاهُ فَقَالَ: الْقَيْنَا فِي الرَّجْعَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَأَخْبَرِينَا مَا فَعَلَ ، قَالَ: فَذَهَبْنَا وَرَجَعْنَا فَوَجَدْنَاهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مَعَهَا شَيْءٌ ثَلَاثٌ فَقَالَ: مَا فَعَلَ صَبِيُّكَ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا حَسَسْنَا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى السَّاعَةِ فَاجْتَرَزَ هَذِهِ الْغَنَمَ ، قَالَ: انزَلْ فَحُذْ مِنْهَا وَاحِدَةً وَرُدَّ الْبَقِيَّةَ» .

وقد ورد عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ورحمه الله تعالى أنه كان

جالساً في مسجده إذ جاءه صاحب له من قبل الخليفة المتوكل ، فقال: إن في بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع ، وقد أرسلني إليك ، لتدعو الله تعالى لها بالعافية ، فأعطاه الإمام نعلين من الخشب (أي قبابين) وقال: اذهب الى دار أمير المؤمنين واجلس عند رأس الجارية وقل للجني: يقول لك أحمد: أيما أحب إليك: تخرج من هذه الجارية أو أن تصفع بهذا النعل سبعين؟ فذهب الرجل ومعه النعل إلى الجارية وجلس عند رأسها ، وقال كما قال له الإمام أحمد ، فقال المارد على لسان الجارية: السمع والطاعة لأحمد ، لو أمرنا أن نخرج من العراق لخرجنا منه ، إنه أطاع الله تعالى ومن أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء . ثم خرج من الجارية فهدأت ، ورزقت أولاداً . فلما مات الإمام عاد لها المارد ، فاستدعى لها الأمير صاحباً من أصحاب أحمد ، فحضر ، ومعه ذلك النعل ، وقال للمارد: اخرج وإلا ضربتك بهذه النعل . فقال المارد: لا أطيعك ولا أخرج ، أما أحمد بن حنبل فقد أطاع الله تعالى فأمرنا بطاعته .

وقد يكون صرع الجن للإنس عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس . جاء في الصحيحين ، من حديث عطاء بن أبي رباح ، قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى ، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع وإني أتكشّف فادع الله لي ، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ، فقالت: أصبر فقالت: إني أتكشّف فادع الله لي أن لا أتكشّف فدعا لها» .

والصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية ، وصرع من الأخلاط الرديئة . والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه . وأما صرع

الأرواح: فأثمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ، ولا يدفعونه . ويعترفون: بأن علاجه مقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية ، لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدفع آثارها ، وتعارض أفعالها وتبطلها .

ولكن ليس كل الحالات التي يعالجها المعالجون هي تلبس وجن ، فما نسمعه هذه الأيام من لغط حول إرجاع كل مرض إلى الجن والمس والسحر والعين فما هو إلا سفه وقلة علم وجهل مركب . فكثير من هذه الحالات تعود إلى مشاكل وأمراض قد تكون عقلية وقد تكون عضوية وقد تكون نفسية سببها مشاكل اجتماعية والهروب من مواجهتها ، فيلجأ إلى المعالجين ظناً من هؤلاء أن الأمر قد يكون عيناً أو سحراً أو تلبساً بالجن ، وفي الواقع لا يوجد من هذا شيء البتة .

ونسأل الله تعالى العافية من كل سوء لنا ولإخواننا المؤمنين والمؤمنات .

آمين .

فائدة: قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: 27): قال بعض العلماء: في هذا دليل على أن الجن لا يرون ، لقوله تعالى: ﴿مَنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ قيل: جائز أن يروا لأن الله تعالى إذا أراد أن يريهم كشف أجسامهم حتى تُرى . قال النحاس: ﴿مَنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يدل على أن الجن لا يرون إلا في وقت نبي ليكون ذلك دلالة على نبوته ، لأن الله جل وعز خلقهم خلقاً لا يرون فيه ، وإنما يرون إذا نُقلوا عن صورهم ، وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلوات

الله وسلامه عليهم . قال القشيري: أجرى الله تعالى العادة بأن بني آدم لا يرون الشياطين اليوم . اهـ .

وَبَقِيَتْ مَسْأَلَةٌ تَبْغِي الْإِشَارَةَ إِلَيْهَا ، وَهُوَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ تَخَافُ مِنْ بَنِي آدَمَ خَاصَّةً إِذَا تَحَصَّنُوا بِالْأَذْكَارِ .

ولذا كان الشيطان يخاف من عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِعُمَرَ رضي الله عنه : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ . رواه البخاري ومسلم .

أي يسلك الشيطان طريقاً غير الطريق التي فيها عمر رضي الله عنه لقوته وشدته في الحق .

بل إن الإنسان يستطيع أن يصرع الشيطان! وبالذکر يصرع العبد الشيطان ، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان . قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسّه الإنسي .

وبهذا يتبين ضعف الشياطين بل ضعف الجن بعامة، وإن التحصن بالأنكار يقي منهم ، ويحفظ العبد فلا يتسلط عليه ساحر ولا شيطان . والله تعالى أعلم .

*** **

فصل في التوسل والتبرك والسنة والبدعة

السؤال رقم (70): ما حكم التوسل بالنبى ؟

جاء في الموسوعة الفقهية (152/16) ذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية ومتأخرو الحنيفة وهو المذهب عند الحنابلة إلى جواز هذا النوع من التوسل سواء في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته. قال القسطلاني: وقد روي أنّ مالكا رحمه الله تعالى قال للخليفة -لما سأله إذا دخل مسجد النبي ﷺ هل يتوجه إلى النبي ﷺ، أو إلى القبلة؟- فقال مالك رحمه الله تعالى: وكيف تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام إلى الله عز وجل يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله.

وقد روى هذه القصة أبو الحسن علي بن فهر في كتابه "فضائل مالك" بإسناد لا بأس به وأخرجها القاضي عياض في الشفاء من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه.

وقال النووي في بيان آداب زيارة قبر النبي ﷺ: ثم يرجع الزائر إلى موقف قبالة وجه رسول الله ﷺ فيتوسل به ويستشفع به إلى ربه، ومن أحسن ما يقول (الزائر) ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال: وإليك قصة الإمام العتبي التي ذكرها الإمام النووي في الأذكار وابن قدامة المقدسي: في المغني، وابن كثير في تفسيره: فقد قال عند تفسيره لهذه الآية: وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ

فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٠﴾ يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم؛ ولهذا قال: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

وقد جاء عن الإمام العتبي أنه قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك عند ربي. ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبي: ثم انصرف الأعرابي، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال " يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له".

وقال السبكي: ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه.

وفي إعانة الطالبين: يقول الزائر للنبي ﷺ: وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي.

وأما الحنابلة فقد قال ابن قدامة في المغني بعد أن نقل قصة العتبي مع الأعرابي: ويستحب لمن دخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى... إلى أن قال: ثم تأتي القبر فتقول... وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربي...

ومثله في الشرح الكبير .

وأما الحنفيّة فقد صرّح متأخروهم أيضاً بجواز التّوسّل بالنّبي ﷺ .

قال الكمال بن الهمام في فتح القدير: ثمّ يقول في موقفه: السّلام عليك يا رسول الله... ويسأل الله تعالى حاجته متوسّلاً إلى الله بحضرة نبيّه عليه الصلاة والسلام.

وقال صاحب الاختيار فيما يقال عند زيارة النّبي ﷺ... جنّك من بلاد شاسعة... والاستشفاع بك إلى ربّنا... ثمّ يقول: مستشفعين بنبيّك إليك.

ومثله في مراقي الفلاح والطحاويّ على الدرّ المختار والفتاوى الهنديّة.

ونصّ هؤلاء: عند زيارة قبر النّبي ﷺ... اللهمّ وقد جنّك سامعين قولك طائعين أمرك مستشفعين بنبيّك إليك. وقال الشّوكانيّ: ويتوسّل إلى الله بأنبيائه والصّالحين. وقد استدلّوا لما ذهبوا إليه بما يأتي:

أ - قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ .

ب - حديث الأعمى المتقدّم وفيه: «اللهمّ إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرّحمة». فقد توجه الأعمى في دعائه بالنّبيّ عليه الصلاة والسلام أي بذاته.

ج - وَمِنْهَا مَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي الدُّعَاءِ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) «اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، وَوَسَّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ». (الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن أنس).

د - توسّل آدم بنبيّنا محمّد عليهما الصلاة والسلام: روى البيهقيّ في "دلائل النّبوة" والحاكم وصحّحه عن عمر بن الخطّاب قال: قال رسول الله

«لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ كَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ إِنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتَ عَلَيَّ قَوَائِمَ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَضِفْ إِلَيَّ اسْمَكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: صَدَقْتَ يَا آدَمَ، إِنَّهُ لِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ».

هـ - حديث الرجل الذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفان رضي الله عنه: روى الطبراني والبيهقي وذكر في أوله قصة وهي أن رجلاً كان يختلِف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: أنت الميضاة فتوضأ ثم أتيت المسجد فصل في ركعتين ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي حاجتي» وتذكر حاجتك وروح إلي حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان فجاء الباب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال ما حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة. وقال ما كانت لك من حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه رجل ضريراً فشكا إليه ذهب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «أوتصبر؟» فقال: يا رسول الله إنه ليس

لِي قَائِدٌ وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتِ الْمِيضَاءَ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ ادْعُ بِهِدِهِ الدَّعَوَاتِ» فَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ فَوَاللَّهِ مَا تَقَرَّرْنَا وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ. قَالَ الطَّبْرَانِيُّ بَعْدَ ذِكْرِ طَرَفِهِ وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ كَذَا فِي التَّرْغِيبِ». إلى آخر حديث الأعمى المتقدم.

قال المباركفوري: قال الشيخ عبد الغنيّ في إنجاح الحاجة: ذكر شيخنا عابد السنديّ في رسالته والحديث - حديث الأعمى - يدلّ على جواز التوسّل والاستشفاع بذاته المكرّم في حياته، وأمّا بعد مماته فقد روى الطبرانيّ في الكبير عن عثمان بن حنيف أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان.. إلى آخر الحديث.

وقال الشوكانيّ في تحفة الدّاكرين: وفي الحديث دليل على جواز التوسّل برسول الله ﷺ إلى الله عزّ وجلّ مع اعتقاد أنّ الفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأنّه المعطي المانع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

السؤال رقم (71): هل التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين مشروع، ولا غبار عليه؟ وهل التوسل بهم يكون في حالة حياتهم فقط أم في حياتهم وبعد موتهم أيضاً؟ وما دليل ذلك؟ وهل توسل أحد من الصحابة أو التابعين؟

الجواب: نعم يجوز التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء والصالحين، وهو مشروع لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَيْكَ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ فالوسيلة هي القربة وقيل الدرجة وقوله:

﴿أَيْهِمْ أَقْرَبُ﴾ معناه: ينظرون أيهم أقرب إلى الله تعالى فيتوسلون به ، كما قال البغوي في تفسيره وغيره وأيضاً لما أخرجه الترمذي وابن ماجه في سننهما والنسائي في عمل اليوم والليلة والطبراني والحاكم والبيهقي وصححوه عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني قال: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبِرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قال: فادعه قال: (فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى ، اللهم فشفّعه فيّ) قال عثمان بن حنيف: والله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط . والأدلة في ذلك متضافرة من الكتاب والسنة الصحيحة .

ولا فرق في ذلك بين حياتهم ومماتهم ، ذلك لأن التوسل في الحقيقة ليس بذواتهم المجردة وإنما هو بما لهم من منزلة ومكانة وجاء عند الله سبحانه وهو باق بعد الممات كما كان في الحياة ، وأيضاً لعموم الآية السابقة وغيرها كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وكل من المجيء والاستغفار واقع في سياق الشرط ، والفعل في سياق الشرط يدل على العموم كما هي القاعدة الأصولية ، لا نعلم في ذلك خلافاً .

ومما يؤيد ذلك الحديث المتقدم أن النبي ، علم الضرير الدعاء ولم يقيده بزمن أو يخصصه بأحد وهذا ما صرحت به رواية ابن أبي خيثمة الصحيحة: أن النبي ﷺ لما علم الضرير الدعاء المذكور قال له: (وإن كانت

حاجة فافعل مثل ذلك) فهذا إذن صريح من المعصوم عليه السلام بالتوسل في سائر الأحوال، وهذا الذي فهمه عثمان بن حنيف راوي الحديث فقد علمه صاحب حاجة إلى سيدنا عثمان بن عفان في عصره كما روى الطبراني وصححه والبيهقي. ولو كان مقتصراً على حياته كما قال بعض من خالف لما جاز لعثمان بن حنيف أن يُعلمه إياه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا أيضاً ما فهمه الحفاظ والمحدثون فإنهم فيما اطلعنا عليه من مصنفاتهم الحديثية والفقهية يوردون هذه القصة تحت باب الدعوات والأذكار غالباً. وأما الأدلة من الآثار فهي كثيرة أيضاً، منها توسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه في الاستسقاء كما في صحيح البخاري، وقد قال الحافظ ابن حجر في الفتح عقب هذه القصة ما نصه: يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والخير وأهل بيت النبوة. اهـ.

ومنها ما رواه الخطيب (120/1) في تاريخ بغداد بسند صحيح إلى أحمد بن جعفر قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: (ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر - يعني الكاظم - فتوسلت به إلا سهل الله لي ما أحب) والخلال هذا (شيخ الحنابلة) وروى أيضاً عن إبراهيم الحربي أحد أئمة الحديث أنه قال: قبر معروف - يعني الكرخي - الترياق المجرب. وغير ذلك كثير. وقد قال النووي في أذكاره ص194-195 أثناء الكلام على زيارة القبر الشريف ما نصه: (ثم ليرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتوسل به في حق نفسه، وليشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى. اهـ. قال ابن علان في شرحه: (لأن التوسل به سيرة السلف الصالح، الأنبياء والأولياء

وغيرهم). اهـ.

وعلى كلِّ فإن المسلم إذا تصور أن التوسل بالأنبياء والأولياء وغيرهم من صالحى المؤمنين، سواء أحياء أو أمواتاً، إنما هو فى الحقيقة توسل بما لهم من عظيم المنزلة عند الله سبحانه كما سبقت الإشارة إليه، وأن هذا التوسل إنما هو من قبيل التوسل بالأعمال الصالحة التى لا خلاف فى جواز التوسل بها إلى الله: عندئذ يندفع الإشكال ويزول الريب بإذن الله سبحانه. فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره. والله تعالى أعلم.

السؤال رقم: (72) هل التبرك بآثار الصالحين من الأولياء وغيرهم يتنافى مع الدين؟

الجواب: من المعروف أن الإنسان إذا أحب إنساناً آخر أحب كل شيء يتصل به، وتلك الحقيقة الموجودة فى فطرة الإنسان لا يعارضها الدين، وإنما يرشدها إلى الخير، وذلك فى أمرين أساسيين، هما اختيار من يستحق الحب، وعدم تجاوز الحدود الشرعية فى مظاهر هذا الحب وآثاره فنحن - كمسلمين - مأمورون بحب الله تعالى وحب رسوله ﷺ، والنصوص فى ذلك كثيرة، ومن لوازم حبهما طاعتها وعدم عصيانهما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(١) وطاعة الله ورسوله محدودة بقواعد تصحح الفكر وتقوم السلوك، وهى فى نطاق الميسور لا المعسور،

(١) سورة آل عمران (31)

والتوسط والاعتدال، والإخلاص والصدق، والأولياء الصالحون أكرمهم الله بتوفيقهم إلى الطاعة وبإحسان مجازاتهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكُمْ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١). وبخصوص حب الصالحين والتبرك بآثارهم، يجب عدم المغالاة في هذا الحب حتى لا يرفع المحبوب فوق درجته، فقد أحب قوم أنبياءهم فأنزلوهم منزلة الله أو قريباً من ذلك، وقد حذر النبي ﷺ من الإفراط في حبه فقال: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢) وقد أذن ﷺ لأصحابه أن يتبركوا بآثاره، ومن الأخبار في ذلك:

1 - يروي البخاري في صحيحه في صلح الحديبية عن التفاف الصحابة حول الرسول ﷺ: «... ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَحَّمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلَكِ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ».

2- جاءت عدة روايات في أن بعض الصحابة شرب دم الحجامة من النبي، وبعضهم شرب بوله، جاء في المواهب اللدنية للقسطلاني (285/1) قوله: وفي هذه الأحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه ﷺ، قال النووي في شرح المذهب: واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين المعروفين

(١) يونس(62 - 64)

(٢) رواه البخاري.

أن أبا طيبة الحجام حجه ﷺ وشرب دمه ولم ينكر عليه ، وأن امرأة شربت بوله ﷺ فلم ينكر عليها ، وحديث أبي طيبة ضعيف ، وحديث شرب البول صحيح رواه الدارقطني وقال: هو حديث صحيح ، وقيل إنه ضعيف كما في الزرقاني شارح المواهب (223/4).

3- روى البخاري أن الناس جعلوا يأخذون يدي الرسول ﷺ - وهو في بطحاء مكة - فيمسحون بها وجوههم ، وقال الراوي أبو جحيفة: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك ، وفي رواية أحمد أن الناس تراحموا على الرسول ﷺ بعد صلاة الصبح في حجة الوداع ، وأن أبا يزيد بن الأسود استطاع بشبابه وقوته أن يصل إلى الرسول ﷺ ويأخذ بيده ليضعها على وجهه وصدرة فما وجد أطيب ولا أبرد منها . قال الشوكاني: فيه مشروعية التبرك بملامسة أهل الفضل لتقرير النبي ﷺ لذلك . نيل الأوطار (2/ 323 / 324).

4- أثر عن الإمام أحمد أنه كان يحتفظ بشعرات من شعر النبي ﷺ في كُم قميصه ، وبركتها لم يحرق المعتصم هذا القميص في فتنة القول بخلق القرآن ، وأن الإمام الشافعي تبرك بغسالة قميص أحمد لما ثبته الله تعالى على الحق "حياة الحيوان الكبرى للدميري" (100/1 / 101) والأخبار كثيرة في تبرك الصحابة بالصلاة في مصلى الرسول ﷺ ، وبوضع أيديهم على الموضع الذي كان يضع عليه يده من المنبر الشريف ، إلى غير ذلك من الأخبار ، وقد قال النووي في حديث تحنيك النبي ﷺ للمولود بمضغ تمره ومجها في فمه شرح صحيح مسلم (122/14): اتفق العلماء على استحباب التحنيك

بالتمر وما في معناه من كل حلو، وأن يكون المحنك من الصالحين وممن يتبرك به رجلاً كان أو امرأة.

إن التبرك بآثار الصالحين دليل على الحب، ولا مانع منه ما دام في الحد المعقول، ولا ننسى في هذا المقام قول المجنون:

أمر على الديار ديار ليلي أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

السؤال رقم (73): ما الفرق بين البدعة الشرعية والبدعة اللغوية؟

الجواب: جاء في كتاب «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير في مادة «بدع» وفي حديث عمر رضي الله عنه في قيام رمضان: نعمت البدعة هذه: البدعة بدعتان بدعة هُدَى وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله، فهو في حيزِ الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيزِ المدح وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل له في ذلك ثواباً فقال: «من سنَّ سنةً حسنةً كان له أجرها وأجر من عمل بها» وقال في ضده: «ومن سنَّ سنةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها» وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه «نعمت البدعة هذه» لما كانت من أفعال الخير وداخلت في حيزِ المدح سماها بدعة ومدحها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسئها

لهم ، وإنّما صلاها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها ، ولا جمع الناس لها ، ولا كانت في زمن أبي بكر ، وإنما عمر رضي الله عنه جمع الناس عليها وندبهم إليها . فلهذا سماها بدعة وهي على الحقيقة سنةٌ بقوله صلى الله عليه وسلم : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» وقوله : «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» وعلى هذا التأويل يُحمل الحديثُ الآخر : «كل محدثة بدعة» إنما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة . وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفاً في الذم ، انتهى ما قاله ابن الأثير .

ثم أقول : إن تحديد المفاهيم عنصر هام من عناصر البحث في أي موضوع ، وبدونه تختلف الأحكام وتتضارب الأقوال ، ويحدث التفرُّق .

وتحديد مفهوم البدعة التي هي ضلالة في النار فيه صعوبة ، ومن ركام التعريفات التي مُلئت بها الكتب أستطيع أن أقول : إن للعلماء في تعريف البدعة منهجين ، أولهما لغويّ عام ، والآخر اصطلاحى خاص .

1 - فأصحابُ المنهج الأول نظروا إلى مادة <البدعة> التي تدل

على اختراع على غير مثال سبق فعرفوها بأنها ما أحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد القرون المشهود لها بالخير .

وهذا التعريف يدخل فيه ما كان خيراً وما كان شراً ، وما كان عبادة وما كان غير عبادة ، والذي حملهم على هذا التعريف الشامل ورُود لفظ البدعة مرّةً محمولاً عليه الذم ، ومرّةً محمولاً عليه المدح ، وبهذا عُرف أن البدعة قد تكون ممدوحة وقد تكون مذمومة ، قال الشافعي رضي الله عنه : المحدثات من الأمور ضربان : أحدهما ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً ، فهذه البدعة

الضلالة ، والثاني ما أُحدِث من الخير وهذه محدثة غير مذمومة .

وعلى هذه الطريقة في تعريف البدعة وشمولها للممدوح والمذموم جرى عز الدين بن عبد السلام ، فقسم البدعة إلى واجبة كوضع العلوم العربية وتعليمها ، وإلى مندوبة كإقامة المدارس ، ومحرمة كتلحين القرآن بما يغير ألفاظه عن الوضع العربي ، ومكروهة كتزويق المساجد ، ومباحة كوضع الأظعمة ألواناً على المائدة .

2- وأصحاب المنهج الثاني عرفوا البدعة بأنها الطريقة المخترعة على أنها من الدين وليست من الدين في شيء ، أو بأنها طريقة في الدين مخترعة تضاهي الطريقة الشرعية ويقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية ، ويدخل فيها العبادات وغيرها وقصرها بعضهم على العبادات ، وعلى هذا التعريف تكون البدعة مذمومة على كل حال ولا يدخل في تقسيمها واجب ولا مندوب ولا مباح . وعلى هذا المعنى يحمل الحديث : «كل بدعة ضلالة» ويحمل قول مالك رضي الله عنه : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلوات الله عليه خان الرسالة ، لأن الله قال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] ، وأصحاب هذا المنهج يحملون قول عمر في صلاة التراويح على المعنى اللغوي .

وبعد ، فإن موضوع البدعة دقيق ، وفيه كلام طويل ، ويمكن للاستزادة الرجوع إلى كتابي «قضايا معاصرة» أو «محاضرات البحوث الاجتماعية» للقسم العالي للدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر ، ففيه أن اسم البدعة ظهر بوضوح في زحمة الخلافات الفكرية ، التي من أجلها ألف أبو

الحسن الأشعري المتوفى سنة 304 هـ كتابه «اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع» ثم ظهرت مؤلفات في البدع المتعلقة بالفروع وأن الإمام الغزالي في الإحياء «248/1» قال: كم من محدث حسن كما قيل في إقامة الجماعات في التراويح: إنها من محدثات عمر رضي الله عنه وإنها بدعة حسنة، وإنما البدعة المذمومة ما تُصادم السنة القديمة أو ما يكاد يفضي إلى تغييرها، وأن البدعة المذمومة ما كانت في الدين، أما أمور الدنيا فالناس أعلم بشؤونها، مع صعوبة الفصل بين أمور الدين وأمور الدنيا، لأن دين الإسلام نظام شامل، الأمر الذي جعل بعض العلماء يقصرون البدعة على العبادي دون العادي، وعممها البعض الآخر.

وفي المرجع المذكور نرى البدعة تكون في العقيدة وفي العبادة وفي المعاملات والأخلاق، وأن أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة الحسنة، هل تُعدُّ كلُّها سنةً تتبَع وجوباً وندباً، أو لا تُعدُّ كلُّها من هذا القبيل؟ وأن ما تركه هل نتأسى به فيه أو لا نتأسى؟ وضربت أمثلة يكثر الحديث عن البدعة فيها، كالأذان الأول لصلاة الجمعة، وزيادة درجات المنبر على ثلاث درجات، والركعتين قبل صلاة الجمعة، وقراءة سورة في المسجد قبل صلاة الجمعة بصوت مرتفع، ورفع المؤذن صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان، ومصافحة المصلين بعضهم بعضاً عقب الخروج من الصلاة، وقول سيدنا محمّد في الأذان والتشهد في الصلاة، وحلق اللحية. ولكل من هذه الأمور بحث في هذا الكتاب.

وأرى أن مفهوم البدعة يجب أن يقتصر على ما يتصل بالدين، وتترك

أمور الدنيا لمواكبة العصر في التطور، وعلى أن العبرة بالمسميات لا بالأسماء، كجواز الاحتفال بيوم المولد وعدم جوازه بعيد المولد، وعلى تغيير المنكر إن أجمع على أنه منكر يكون بالحكمة والموعظة الحسنة، وما يكون فيه اختلاف لا ينبغي أن يكون التخاصم والتنازع من أجله، وأن من انخدع برأيه وظن أو اعتقد أنه هو وحده الناجي وأن غيره هالك فهو أول الهالكين كما في حديث رواه مسلم.

السؤال رقم (74): يقول بعض الناس: إن الاحتفال بمولد النبي ' بدعة لم تكن في أيام النبي ' ولا في أيام الصحابة والسلف الصالح، ويقولون: إنها بدعة منكرة وضلالة تؤدّي إلى النار، فما هو الرأي الصحيح في ذلك؟

الجواب: لم يتعرض العلماء للمولد في القرون الأولى إلى أن أتى القرن التاسع وإذ الناس بين مجيز له ومانع، واستحسنه السيوطي وابن حجر العسقلاني، وابن حجر الهيتمي، مع إنكارهم لما لصق به من البدع، ورأيهم مستمد من آية ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: 5]. أخرج النسائي وعبد الله ابن أحمد في زوائد المسند، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه فسر الأيام بنعم الله وآلائه «روح المعاني للآلوسي» وولادة النبي ﷺ نعمة كبرى. اهـ.

وفي صحيح مسلم عن أبي قتادة الأنصاري قال: وسئل - النبي ﷺ - عن صوم يوم الاثنين فقال: «ذاك يوم وُلِدْتُ فيه، ويوم بعثت أو أنزل عليّ»

فيه». رُوي عن جابر وابن عباس: وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل يومَ الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه بُعث وفيه عُرِّجَ به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات أي في شهر ربيع الأول، فالرسول ﷺ نص على أن يوم ولادته له مزية على بقية الأيام، وللمؤمن أن يطمع في تعظيم أجره بموافقته ليوم فيه بركة، وتفضيل العمل بمصادفته لأوقات الامتنان الإلهي معلومٌ قطعاً من الشريعة، ولذا يكون الاحتفال بذلك اليوم، وشكرُ الله على نعمته علينا بولادة النبي وهدايتنا لشريعته مما تقره الأصول، لكن بشرط ألا يُتخذ له رسم مخصوص، بل ينشر المسلم البشْرَ فيما حوله، ويتقرب إلى الله بما شرعه، ويعرّف الناس بما فيه من فضل، ولا يخرج بذلك إلى ما هو محرّم شرعاً. أما عادات الأكل فهي مما يدخل تحت قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 172] انتهى.

ورأيي أنه لا بأس بذلك في هذا العصر الذي كاد الشباب ينسى فيه دينه وأمجاده، في غمرة الاحتفالات الأخرى التي كادت تطغى على المناسبات الدينية، على أن يكون ذلك بالتفقه في السيرة، وعمل آثار تخلد ذكرى المولد، كبناء مسجد أو معهد أو أي عمل خيري يربط من يشاهده برسول الله ﷺ وسيرته.

*** ** **

فصل في علم الغيب

السؤال رقم: (75) ما حكم الدين فيما ينشر في الصحف عن أبراج

المواليد وتوقعات الأحداث لهم؟

الجواب: إن هذا العمل يسمى في لسان الشرع تنجيماً وهو عمل محرم شرعاً لأنه ضرب من الكهانة المحرمة التي يتكلف الكاهن فيها الإخبار بالغيبات، وقد صح في حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» كما أخرجه أبو داود بإسناد صحيح من الحديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرج مسلم وغيره من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أمور كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان؟ قال: «فلا تأتوا الكهان».

وفي حديث آخر أخرجه الشيخان من حديث عائشة، قالت: سألت رسول الله، ناساً عن الكهان. فقال: «ليسوا بشيء» فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحياناً بشيء فيكون حقاً؟ فقال رسول الله: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مئة كذبة».

وهذه التوقعات ظنون تتخلف كثيراً، والله تعالى وحده له العلم الشامل الكامل والصادق الدقيق، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١).

(١) لقمان: 34

وقد حذر النبي ﷺ من التصديق والتشجيع لهذه الوسائل الكاذبة لمعرفة المستقبل. وفي الحديث الذي رواه مسلم: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» والعراف كما قال البغوي: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها، وقيل: هو الكاهن الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك، وقد جاء في الكاهن حديث «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»⁽¹⁾، والذي أنزل على محمد ﷺ هو حصر علم الغيب في الله تعالى.

وما ينشر في الصحف من الطوابع وحظوظ أصحابها يطلق عليه اسم التنجيم، وجاء فيه حديث أبي داود وابن ماجه وغيرهما «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ زَادَ مَا زَادَ» قال الحافظ: والمنهي عنه من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمن كمجيء المطر وهبوب الرياح وتغير الأسعار ونحو ذلك، ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب واقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان، وهذا علم استأثر الله تعالى به، لا يعلمه أحد غيره، فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم والذي يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى من الليل والنهار وكم بقي فإنه غير داخل في النهي.

قال العلماء: من صدق هذه الطوابع واعتقد أنها تضر وتنفع بدون إذن الله تعالى، أو أن غير الله تعالى يعلم الغيب فهو كافر، ومن آمن بأنها ظنية

(١) رواه البزار بإسناد جيد قوي.

ولم يعتقد أنها تضر وتنفع فهو مؤمن عاص ينقص ذلك من حسناته .
وفي ذلك يقول الحديث الذي رواه الطبراني: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ
بِمَا يَقُولُ فَقَدْ بَرِيءٌ مِمَّا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَنْ أَتَاهُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ لَهُ لَمْ تُقْبَلْ
صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا» والمداومة على قراءة هذه الطوالع قد تجر إلى اعتقاد أنها
اطلاع حقيقي على الغيب الخاص بالله تعالى ، وهو حرام .

لذلك لم يختلف أهل العلم في تحريم الكهانة وإتيان الكهّان ، ففي
كتاب مرجع المشكلات للتواني شرح نظم محمد العاقب بن سيدي عبد الله
العلوي الشنقيطي ص 113 بعد أن ذكر السحر والعرافة والطيّرة والتنجيم قال
ما نصه: (وكل ما ذكر حرام إجماعاً بل هو من الكبائر اتفاقاً يكفر في بعض
الأحوال) يعني فاعله .

ونحوه في رد المحتار لابن عابدين الشامي الحنفي 385/6 بل قال
في الأخير بعد أن عدّد ما ذكر: (والكل مذموم شرعاً محكوم عليهم وعلى
مصدقهم بالكفر) اهـ . وتقرّر بهذا كله أن هذا العمل محرم لا يجوز فعله ولا
السعي إليه ولا تصديقه ، وعلى المسلم أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه
الأجل .

وليقل ما علّم النبي ، أمته: <اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير
إلا طيرك ، ولا إله غيرك> . كما أخرجه أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن
عمرو رضي الله عنه .

وإذا أشكل عليه أمر من أمور دنياه فعليه أن يستخير الله تعالى كما ندب

إلى ذلك النبي ﷺ ، وما ينشرح له صدره بعد الاستخارة فهو الخير وليُفَعَلَهُ .
والله تعالى أعلم .

السؤال رقم: (76) هل أطلع الله أحداً على علم الغيب؟

الجواب: مما يتصل بالعقيدة الإيمان بالغيب ، كما قال تعالى في وصف
المتقين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾⁽¹⁾ وقد وردت نصوص تتحدث عن الغيب منها:
قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾⁽²⁾ ، وضح في الحديث
الذي رواه البخاري أنها خمس ، وهي التي جاءت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ
عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ
غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾⁽³⁾ ، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى
غَيْبِهِ أَحَدًا﴾⁽⁴⁾ ، ﴿إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا﴾⁽⁴⁾ ،
وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴾⁽⁵⁾ ، والغيب ما قابل الشفاعة ، أي ما يغيب على الإنسان العلم به ومنه ما

(١) البقرة: 3

(٢) الأنعام: 59

(٣) لقمان: 34

(٤) الجن: 26 ، 27

(٥) الأعراف: 188

يمكن التوصل إليه بالوسائل المختلفة، كالمسروق يعرف بالبحث عنه، والمجهول يعرف بالتعلم، كالكهرباء والفيروسات وما إليها، ومنه ما لا يمكن التوصل إلى معرفته بالوسائل العادية بل لا بد فيه من خبر صادق، كأحوال الآخرة التي يجب أن نؤمن بها لورودها في القرآن والسنة.

ومن الغيب قيام الساعة وما ذكر في مفاتيح الغيب، وقد يعرف شيء منها بإطلاع الله سبحانه وتعالى عليها من يرتضيه من الرسل، كما نصت على ذلك الآية.

والإيمان باختصاص الله تعالى بعلم مفاتيح الغيب واجب بدليل الحصر في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ ومن ادعى عدم اختصاصه بذلك كفر، لأنه كذب القرآن الكريم الصريح في الدلالة عليه، ومن حاول معرفة هذه المفاتيح ليشارك الله فيها كفر أيضاً، أما من يحوم حولها مؤمناً بأنه لن يصل إلى العلم اليقيني به فلا يكفر، ومعلوماته التي يصل إليها من وراء هذه المحاولة معلومات ظنية لا يقينية، والفرق بين علم الله تعالى ومعارف البشر يتركز في نقطتين أساسيتين:

أولاهما: أن علم الله تعالى عن أي شيء شامل لجميع ما يتصل بهذا الشيء.

والثانية: أن علمه سبحانه يقيني لا ظني، أما علم غيره من البشر فلن يجمع الأمرين معاً، لا في الكم ولا في الكيف، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ

أَلْعَلِمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾. وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ

لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢﴾، ولئن حصل علم بشيء عن شيء فهو علم قاصر .

وقد حاول الإنسان أن يبحث عن المجهول المستقبل منذ خلق وفيه غريزة حب الاستطلاع، وبذل في ذلك جهوداً كبيرة، واتخذ وسائل متعددة، وكان من هذه الوسائل ما عرف باسم الكهانة والتنجيم والعرافة والطيرة والطرق وضرب الرمل وقراءة الفنجان وقياس الأثر وما يبتكر غير ذلك .

وفيما يلي تعريف بكل منها:

1- الكهانة: هي ادعاء علم الغيب، بالإخبار عن المضمرات، أو عن المغيبات في مستقبل الزمان بأية وسيلة من الوسائل، وقد تختص بما كان فيه اتصال بالجن

2- التنجيم: وهو الاستدلال بالنجوم في مواقعها وتحركاتها على ما سيكون في المستقبل من مطر أو حر أو برد أو مرض أو موت وغير ذلك، وقيل هو الكهانة .

3- العرافة: هي ادعاء معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها كالمسروق من الذي سرقه، والضالة أين مكانها، وقيل هي السحر» .

4- الطيرة: بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن - وهي مصدر تطير، مثل تخير خيرة، ولم يجئ في المصادر هكذا غيرهما - ومعناها التشاؤم بالشيء،

(١) الإسراء: 85

(٢) النجم: 28

أو الاستدلال من طيران الطائر، أو من رؤية شيء أو سماع صوت على ما سيحصل للإنسان، وقد كان العرب يزجرون الطير من أماكنها، فإن طارت يميناً استبشرت، وإن طارت شمالاً تشاءمت، ويقال لها أيضاً "العيافة" من عاف عيفاً.

5- الطرق: وهو الضرب بالحصى أو الودع، وقيل: هو الطيرة وقيل: ضرب الرمل.

6- ضرب الرمل: وهو وضع خطوط وعلامات على الرمل لمعرفة ما يخبأ للإنسان ويعرف أيضاً بالخط، روى مسلم أن النبي ﷺ سئل عنه فقال: «كَانَ نَبِيٌّ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَكَ» وكذب بعض الحنابلة نسبة الخط إلى إدريس عليه السلام، وجاء في تفسيره: أن "الحازي" أي المحترف لذلك يأتيه الرجل ليعرف حظه، فيخط على أرض رخوة خطوطاً كثيرة بالعجلة، ومعه غلام، ثم يمحو منها على مهل خطين خطين والغلام يقول: ابني عيان، أسرع البيان، فإن بقي خطان فهما علامة النجاح، وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة، ويقول ابن الأثير في "النهاية": إنه علم معروف فيه تصانيف، ويعمل به الآن، ولهم فيه اصطلاحات، يستخرجون به الضمير وغيره.

7- قراءة الفنجان: وهي الاستدلال بأثار القهوة على الفنجان على ما يفكر فيه شاربه، ويزعم بعض المعاصرين أن أثر الزفير على القهوة يعطي مؤشرات صادقة، لكن إذا كان ذلك من الناحية الطبية أو العضوية فهل تمكن معرفة المستقبل؟ فيه كلام.

8- قياس الأثر: وهو أخذ قطعة من ثياب الإنسان أو متعلقاته وقياسها

بالشبر والأصابع ، والاستدلال بذلك على ما يكون لصاحبه .

وهذه الأشياء وأمثالها نهى الإسلام عنها، لأنها تتنافى مع اختصاص علم الله بالغيب يقول النبي ﷺ: «ليس مني من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له»⁽¹⁾. وقال ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً، فصداقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»⁽²⁾ ويقول ﷺ: «من أتى كاهناً فصداقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد، ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل صلاته أربعين يوماً»⁽³⁾، ويقول ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصداقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»⁽⁴⁾ ويقول ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصداقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»⁽⁵⁾ ويقول ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»⁽⁶⁾ ويقول ﷺ: «العيافة والطيرة والطرق من الحبت»⁽⁷⁾.

والحبت ما عبد من دون الله وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن الجن

لا يعلمون الغيب، فكيف يصدقها من يعتمد على أخبارها؟ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ

(١) رواه البزار بإسناد جيد والطبراني بإسناد حسن .

(٢) رواه أحمد والحاكم .

(٣) رواه الطبراني .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه أصحاب السنن الأربعة والحاكم وصححه .

(٦) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٧) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه .

أَلْجُنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١﴾، والاتصال بالجن ممكن، وكذلك استخدامهم في بعض الأغراض، فقد سخرهم الله لسليمان عليه السلام كمعجزة، فلا مانع من تسخيرهم لغيره، ولم يرد نص يمنع ذلك، وقد حدث لبعض الناس بطرق يعرفونها، ووضح ذلك المحدث الشبلي في كتابه «آكام المرجان».

يتبين من هذه النصوص أن من اعتقد بأن غير الله يعلم الغيب علماً يقينياً شاملاً فقد كفر بما جاء في القرآن الكريم، وكذلك من مارس هذه الأعمال، وينسحب الحكم على من يلجأ إليهم لمعرفة الغيب، فمن صدقهم فقد كفر، ومن لم يصدقهم فقد ارتكب إثماً عظيماً ونقص إيمانه، ولا يقبل الله صلاته أربعين يوماً.

روى الشيخان: سَأَلَ أَنَسٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقْرَئُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلُطُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ». وجاء في البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوجِّهِهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ».

هذا وقد أبدلنا بهذه الأمور وسيلة يمكن بها أن نطمئن لما نقدم عليه

(١) سبأ: 14.

من عمل، وهي صلاة الاستخارة مع دعائها المعروف الذي جاء به الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ولنسمع قول الله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁽¹⁾.

تنبيهات:

التنبيه الأول عن علم الساعة: سبق بيان أن علم الساعة من مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها، والآيات القرآنية كثيرة في ذلك، وكذلك الأحاديث النبوية الصحيحة، التي من أقواها حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبي ‘ عنها، فقال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ» ثم ذكر له بعض علاماتها.

ومع ذلك حاول بعض الناس قديماً وحديثاً معرفة موعدها وأثبت الواقع خطأهم، ثم جاءت أخيراً نحلة ضالة وزعمت أنها تعرف موعد قيام الساعة بناء على أمرين، أولهما سر العدد (19)، والثاني بعض آيات من القرآن الكريم، وفيما يلي تفصيل ذلك والرد عليه.

أولاً: العدد (19) المذكور في قوله تعالى في وصف جهنم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾⁽²⁾، زعموا أن له سرّاً حاولوا أن يثبتوه بحصر الحروف الموجودة في بعض السور، أو في فواتحها من الحروف المقطعة أو في بعض الكلمات، وبطريق التعويض عن الحروف بأرقام على النظام اليهودي في الأبجدية حددوا

(١) الإسراء: 36.

(٢) المدثر: 30

وقت قيام الساعة .

ويرد على هذا بأن القرآن فيه أعداد أخرى كالعشرة والمئة والألف وغيرها، فلماذا اختاروا هذا العدد بالذات؟ وبأنهم لم يتبعوا المنهج العلمي عند حصر الحروف، فأسقطوا بعضها ليطم لهم ما يريدون، كما كشف عن ذلك المتبعون للحصر الذي أعلنوه، وبأن أية مجموعة كبيرة من الأعداد يمكن التوصل منها إلى مجموعات تقبل القسمة على أي عدد من الأعداد، وليس شرطاً أن يكون العدد (19)، وذلك من البدايات عند علماء الرياضيات كما زعموا أن اليهود أخبروا النبي ﷺ بأن حروف ﴿آلر﴾ تدل على عدد السنوات التي تعيشها دعوته ولم ينكر عليهم ذلك، وهذا خبر مدسوس ليس له سند يعتمد عليه .

ثانياً: استدلوا من القرآن الكريم بآيتين، أولهما قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لَوْ قِنَهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، قالوا: إن قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يفيد أن بعضاً قليلاً من الناس يعلمون موعد الساعة، وهم من هذا القليل، ويرد عليهم بأن نفي العلم عن أكثر الناس منصب على الإيمان بما سبق في الآية، من اختصاص علم الله بها، وبأنها ثقيلة ولا تأتي إلا بغثة، فأكثر الناس وهم الكافرون يجهلون هذه الحقيقة المقررة في الآية، ولا معنى لما فهموه

(١) الأعراف: 187

من أن أكثر الناس جاهلون بموعد الساعة والقليل يعلمه، ففي فهمهم لأول الآية وآخرها تضارب، والقرآن الكريم منزّه عن ذلك.

ومع احتمال فهمهم هذا فالاستدلال به ساقط، لأنه ليس هو الفهم الوحيد المتعين لها، ومعلوم أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

والآية تدل بصراحة على نفي علم أحد بالساعة، أي بوقت حدوثها، فذلك من اختصاص الله وحده، وذلك واضح في قصر علمها عليه سبحانه بأكثر من أسلوب، وفي أنها تأتي بغتة، وفي عدم علم النبي ﷺ بذلك، فلا بد من توافق آخر الآية مع هذه المقررات الصريحة فيها، ونفي علم أحد بموعدها يستوي فيه القليل والكثير من الناس.

والآية الثانية التي استدلوا بها هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آئِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾^(١)، قالوا: إن فعل "كاد" إذا كان مثبتاً يدل على نفي ما بعده، فمن يقول: كدت أقع يدل على أنه لم يقع؟ وعلى هذا فمعنى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أنه لم يخفها، فتمكن معرفتها بطريق أو بآخر، وليس حتماً أن يكون ذلك عن طريق الوحي فقط كما قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(٢) إِلَّا مَنْ أَرَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿٢٦﴾ بل يمكن أن يكون بطريق الحساب أو بغيره.

(١) طه: ١٥

(٢) الجن: ٢٦، ٢٧،

ويرد على ذلك بأن الفعل "خفي" يستعمل في اللغة للستر وللإظهار، فهو من الأضداد، يقال: خفاه يخفيه خفياً، من باب رمى، وخفياً أيضاً-بضم الخاء وكسر الفاء- وفي بعض القراءات "أخفيها" بفتح الهمزة، وكما أن الخفي الثلاثي يفيد الستر والإظهار كذلك يفيدهما الإخفاء وهو مصدر الفعل الرباعي أخفاه، وعلى هذا فالآية ليست دليلاً قاطعاً على مدعاهم، فقد يكون معناها: أكاد أظهرها، بل يجب المصير إلى هذا المعنى لتوافق الآيات بعضها مع بعض، والمتشابه يرد إلى المحكم كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾، وهؤلاء في قلوبهم زيغ يبتغون الفتنة، حيث تمسكوا بالمتشابه ولم يأبهوا بالمحكم الذي يجب رده إليه، وليسوا من الراسخين في العلم على أي وجه يكون الوقف في الآية "مذهب السلف ومذهب الخلف" لأنهم في محاولتهم لتقديس العدد (19) خالفوا المنهج العلمي وزيفوا، وفي عدم رد المتشابه إلى المحكم ظهر جهلهم بأصول البحث، ولم يؤمنوا بما جاء في القرآن الكريم نصاً في عدم علم أحد بالساعة إلا الله سبحانه وتعالى.

وبهذا يظهر أن استدلال هؤلاء استدلال ضعيف أو فاسد لا يثبت مدعاهم، ولم يعتبروا بمن سبقهم ممن زعموا علم الساعة وحددوا موعدها

(١) آل عمران: 7

فافتضح أمرهم ، وليس المهم هو معرفة وقت قيامها بل المهم هو الاستعداد لها ، وقيامه كل إنسان موته أو عقب موته ، فمن مات فقد قامت قيامته ، لأنه لا عمل بعد الموت ، بل جزاء وحساب ، كما في القيامة الكبرى .

وقد نبه النبي ﷺ من سأله عنها إلى الاستعداد لها ، فكل من الموت والقيامة يأتي بغتة ، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه « أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» .

التنبية الثاني عن العلم بما في الأرحام:

مما اختص الله تعالى بعلمه: ما في الأرحام ، كما سبق في الآية ، وكما قال تعالى أيضاً: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(١) ، ولا ينافي ذلك ما يقال: إن بعض الناس توصلوا إلى معرفة نوع الجنين قبل أن يولد من بطن أمه ، وهو ما يزال في الرحم حتى أيامه الأولى ، ذلك أن علم الله تعالى بما في الأرحام علم شامل ، وفي الوقت نفسه علم يقيني لا ظني ، فالله تعالى يعلم المولود قبل أن يولد ، بل قبل أن يتكون أصلاً ، يعلمه علماً شاملاً ، ويخبر الملائكة ببعض ما يعلمه عنه ، وهم لا يعلمون عنه شيئاً قبل أن يخبرهم الله تعالى به ، كما قال سبحانه عنهم: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾^(٢) ، جاء في الحديث الصحيح

(١) الرعد: ٨

(٢) البقرة: ٣٢

قوله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِأَرْبَعٍ: اِكْتُبَ رِزْقَهُ وَعَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيًّا أَمْ سَعِيدًا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»⁽¹⁾، وفي بعض الروايات «ذكر أم أنثى» بدل «عمله».

فلو فرضنا أن الإنسان عرف نوع الجنين فهل يعرف ما بقي من رزقه وأجله وما تنتهي إليه حياته من سعادة أو شقاء؟ على أن معرفة نوع الجنين لا تيسر في كل الحالات، بل في فترة معينة، أما الله سبحانه وتعالى فيعلم ذلك كل وقت، بل قبل أن يتكون الجنين كما قلنا، وعلم الله تعالى بذلك علم يقيني لا يتطرق إليه الشك، وعلم الإنسان ظني وأحياناً يتخلف، ولبعض الناس شواهد لمعرفة نوع الجنين لا تعدو أن تكون ظنوناً.

التنبيه الثالث عن التنجيم:

ينبغي التفريق بين التنجيم وعلم النجوم أو الفلك، فالتنجيم حدس واستنباط لا يقوم على أسس علمية صحيحة، أما علم النجوم فهو علم يدعو إليه الدين لمعرفة أسرار الكون والإيمان بالله تعالى أو تعميق الإيمان به، وقد جاءت الآيات الكثيرة تدعو إلى التفكير في خلق السماوات والأرض، والإفادة من مسخرات الكون مادياً وأدبياً.

(١) رواه البخاري

يقول ابن حجر الهيتمي في الزواجر: (110/2): والمنهي عنه من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان، لمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الرياح وتغير الأسعار ونحو ذلك، يزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب لاقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان، وهذا علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه أحد غيره، فمن ادعى علمه بذلك فهو فاسق، بل ربما يؤدي به إلى الكفر.

أما من يقول: إن الاقتران والافتراق الذي هو كذا جعله الله تعالى علامة، بمقتضى ما اطردت به عاداته الإلهية، على وقوع كذا وقد يتخلف فإنه لا إثم عليه بذلك، وكذا الإخبار عما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة، وكم مضى وكم بقي من الوقت، فإنه لا إثم فيه، بل هو فرض كفاية، وفي حديث الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ - أَي مَطَرٍ - كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انصَرَفَ النَّبِيُّ ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

قال العلماء: من قال ذلك مريداً أن النوء هو المحدث والموجد فهو كافر، أو أنه علامة على نزول المطر، والذي ينزله هو الله تعالى وحده، لم يكفر، ويكره قول ذلك، لأنه من ألفاظ الكفرة، والمهم أن يكون الاعتقاد صحيحاً

في أن الله تعالى هو فاعل كل شيء، وأنه وراء الأسباب جميعاً، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، وما يصل إليه الباحثون ويستنتجونه هو ظن قد يصدق بعضه ويتخلف البعض الآخر.

التنبية الرابع عن الطيرة والفأل:

سبق القول بأن الطيرة أو التطير يقوم على الربط بين ما يحصل للإنسان في المستقبل وبين رؤية شيء أو سماع صوت والتشاؤم نوع من التطير إذا كان رد الفعل مكروهاً، ويقابله التفاؤل والفأل إذا كان رد الفعل مقبولاً، وقد تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان البعض الآخر.

والباعث عليه هو رغبة الإنسان في معرفة ما يغيب له، وهو قديم تحدث عنه القرآن الكريم، فقال عن ثمود قوم صالح عليه السلام ﴿قَالُوا أَطِيرَنَا بِكَ وَيَمِّنُ مَعَكَ قَالَ طِيرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾⁽¹⁾، وعن قوم موسى عليه السلام: ﴿وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾ وعن أصحاب القرية التي بعث إليها أصحاب عيسى عليه السلام: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

وكان معروفاً عند العرب في الجاهلية، وبخاصة في طيران الطير أو زجره أو زجر الوحوش وإثارتها، فما تيامن منها سموه "السانح" وما تياسر سموه "البارح" وما استقبلهم سموه "الناطح" وما جاءهم من الخلف

(١) النمل: 47

(٢) الأعراف: 131

(٣) يس: 19

سموه "القعيد أو القاعد". ومن اشتهر عندهم بمعرفة ذلك يسمونه "العائف أو العراف" ومنهم عراف اليمامة والأبلق الأسدي وعروة بن زيد، ومنهم من كان يقدر فيه ولا يعترف به، كالمرقش السدوسي وجهم الهذلي، وجاء في ذلك قول المرقش:

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحائم
 فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم
 وكذاك لا خير ولا شـ ر على أحد بدائم
 لا يمنعك من بغاء الـ خير تعقأد التمائم
 قد خط ذلك في الزبور ر الأوليات القدائم

والواقي هو الصرد - نوع من الطيور - والحائم هو الغراب .

ومن اهتم بذلك أسرع إليه التأثير، وكثرت وساوسه فيما يسمعه ويراه ويعطاه، فإذا أهدي إليه سفرجل أو سمع اسمه تشاءم وقال: سفر وجلاء، وهكذا، وذكر عدة حوادث في ذلك .

وقد ذم الله تعالى التطير وحكاه عن قوم هم أعداء الرسل، ومعنى طائرهم وطائرهم ما قضى وقدره عليهم بسبب كفرهم وتكذيبهم، وهو راجع عليهم، وذمه النبي ﷺ في حديث الصحيحين عن الذين يدخلون الجنة بغير حساب بقوله «وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» وفي غير ذلك من الأحاديث التي سبق ذكرها .

وجاء في مسلم أن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ، قَالَ: فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ،

قَالَ: قُلْتُ: كُنَّا نَطَيِّرُ، قَالَ ذَلِكَ شَيْءٌ يَحِدُّهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ»،
فبين أن تأثيرها ليس من ذاتها، بل من الإنسان نفسه الذي يعتقد فيها.

ومع نهي النبي ﷺ عن الطيرة كان يحب الفأل الحسن، ففي الصحيحين:
«لَا عَدْوَى وَلَا طِيرَةَ وَأَحَبُّ الْفَأَلِ الصَّالِحِ»⁽¹⁾. وفي لفظ: «وَأَخَيْرُهَا الْفَأَلُ»
وفي لفظ: «أَصْدَقُهَا الْفَأَلُ» ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إِذَا أَبْرَدْتُمْ إِلَيَّ
بَرِيداً فَأَبْرِدُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الْأَسْمِ» (رواه البزار عن بريدة وصححه، والديلمي).
وله في الفأل حوادث منها اختيار من اسمه «يعيش» ليحلب الناقة ورفض من
اسمه «حرب» وأخبر عمر رضي الله عنه عن سبب ذلك ونفى أنه تطير فقال كما في
الجامع في الحديث لعبد الله بن وهب بن مسلم القرشي: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: مَنْ يَحْلِبُ لَنَا؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ:
مَنْ هَذَا الْمَتَكَلِّمُ؟ فَقَالَ: أَنَا الْمَسَاوِرُ، قَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
مَنْ يَحْلِبُ لَنَا؟ فَقَامَ رَجُلٌ آخَرَ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: مَنْ
الْمَتَكَلِّمُ؟ فَقَالَ: أَنَا خَدَاشُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: اجْلِسْ، فَقَالَ عُمَرُ
بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَكَلِّمُ أَمْ أَصَمْتُ؟ فَقَالَ: بَلْ أَصَمْتُ، وَأَخْبِرْكَ بِمَا
أَرَدْتُ، فَقَالَ: فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ظَنَنْتُ يَا عُمَرُ أَنَّهَا طَيْرَةٌ، قَالَ: لَا طَيْرَ
إِلَّا طَيْرُهُ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ، وَلَكِنِّي أَحَبُّ الْفَأَلِ الْحَسَنِ». وكره المرور يوم بدر
بطريق فيه جبلان لم يعجبه اسمهما ولا اسم الساكنين فيه.

وفي الصحيحين أنه قال ، «الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ
وَالدَّارِ». وفي الموطأ أنه أمر امرأة بالتحول من دارها لما أصابهم فيها من
مكروه.

(١) رواه مسلم

والفأل ليس فيه شرك بل فيه تقرير لطبيعة الإنسان في حب الخير وكرهية الشر، كما يحب الصوت الحسن والرائحة الطيبة والأخبار السارة عن الخصب والصحة والانتصار، مع اعتقاد أن هذه الأمور لا تؤثر أبداً إلا بإذن الله تعالى كما في التشاؤم بالدار، والتشاؤم قد يؤدي إلى الشرك وترك التوكل على الله تعالى، أما الفأل فيفضي إلى الأمل والطاعة وتوحيد الله تعالى.

وقال بعضهم في الفرق بين التطير والفأل: إن الفأل فيه إبانة عن شيء حاصل في النفس وهو الارتياح الذي ظهر بسماع الاسم الحسن مثلاً، أما التطير ففيه استدلال على شيء غير حاصل.

وحديث الشؤم روي بوجهين، أحدهما بالجزم والثاني بالشرط، فالأول «الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالِدَّارِ» والثاني «إِنْ يَكُنْ مِنَ الشُّؤْمِ شَيْءٌ حَقًّا فَنَفِي الْفَرَسِ وَالْمَسْكَنِ وَالْمَرْأَةِ» فقالت طائفة: لم يجزم النبي ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة، بل علقه على الشرط ولا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من طرفيها.

وقالت طائفة أخرى: إضافة الشؤم إليها مجاز واتساع، أي قد يحصل مقارناً لها لأنها هي نفسها مما يوجب الشؤم، فقد تكون الدار قد قضى الله تعالى أن يميت فيها بعضاً من خلقه، فمن كتب الله تعالى عليه الموت في تلك الدار حسن إليه سكنها حتى يقبض فيها.

سئل مالك رحمته الله عن الشؤم في الدار فقال: إن ذلك كذب فيما نرى، كم من دار سكنها ناس فهلكوا، ثم سكنها آخرون فملكوا.

وقال آخرون: إنما يلحق الشؤم من تشاءم منها، أما من توكل على الله

تعالى فلا يلحقه ضرر منها، ولذلك نصح النبي ﷺ المرأة أن تتحول عن هذه الدار ما دامت تتشاءم منها، وهو من باب الرحمة واليسير، بدل أن يرغمها على سكنها ونفسها لم تنهياً بعد لترك الشؤم، والانتقال إلى مرحلة الاتكال على الله تعالى، واستمرارية السكن فيها أيضاً قد يزيدا ذلك اعتقاداً في التطير وهو شرك، أو يُسَلِّمَهَا إِلَى الْحَزْنِ بِكَرَاهَةِ الدَّارِ، هذا وقد روى البيهقي في الآداب عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي دَارٍ كَثِيرٍ فِيهَا عَدَدْنَا وَكَثِيرٍ فِيهَا أَمْوَالُنَا ثُمَّ تَحَوَّلْنَا إِلَى دَارٍ أُخْرَى فَقَلَّ فِيهَا عَدَدُنَا وَقَلَّتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهَا ذَمِيمَةً».

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: (يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ بِتَرْكِهَا إِبْطَالاً لِمَا وَقَعَ فِي نُفُوسِهِمْ، فَإِذَا تَحَوَّلُوا عَنْهَا انْقَطَعَتْ مَادَّةُ ذَلِكَ الْوَهْمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). ولو أرغم من ضاق رزقه في بلد على عدم مفارقتها لكان ذلك هو الحرج الذي لا يرضاه الله تعالى لعباده.

وإن بين الأسماء والمسميات ارتباطاً بقدرته الله تعالى، وألهمه الله تعالى للعباد، وليس ارتباط العلة بمعلولها، بل ارتباط تناسب وتشاكل، ولكل شيء من اسمه نصيب بقدر ما، ووقوع حوادث مرتبطة بأشياء أخرى هو مصادفة واتفاق وليس على سبيل التسبب والتأثير.

وتعطيل الأسباب تعطيل للشرع ومصالح الدنيا، والاعتماد عليها كلية شرك بالله تعالى، فالمقامات ثلاثة: أحدها تجريد التوحيد وإثبات الأسباب، وهو ما جاء به الشرع والثاني الشرك في الأسباب بالمعبود، والثالث إنكار

الأسباب بالكلية محافظة من منكرها على التوحيد .

فالمنحرفون طرفان مذمومان ، إما قادح في التوحيد بالأسباب ، وإما منكر للأسباب بالتوحيد ، والحق غير ذلك ، وهو إثبات التوحيد والأسباب وربط أحدهما بالآخر ، فالأسباب محل حكمه الديني والكوني ، والحكمان عليها يجريان بل عليها يترتب الأمر والنهي والثواب والعقاب ، والتوحيد تجريد الربوبية والإلهية عن كل شرك .

وذكر في التوفيق بين النهي عن الاقتراب من المجذوم وبين أكل النبي معه ، أن النبي ﷺ أثبت السبب وأمر بالفرار ، وأثبت المانع وهو التوكل فأجاز المؤكلة ، لكن لا يقدر كل أحد على المانع وهو التوكل ، فأرشد إلى مجانية المجذوم تشريعاً للفرار من أسباب الأذى ، ووضع يده معه تعليم للأمة بدفع الأسباب بما هو أقوى منها ، وإعلام بأن الضرر والنفع بيد الله ﷻ ، فالمؤمن إذا وثق بالله تعالى لا يضره السبب ، كما قيل عند الطيرة روى أبو داود بإسناد صحيح عن عروة بن عامر رضي الله عنه قال : ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « أَحْسَنُهَا الْفَأَلُ ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ثُمَّ يَمْضِ لِحَاجَتِهِ » . وروى ابن عبد البر في "التمهيد" عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَفَّارَةٌ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ »⁽¹⁾ . وأورد ابن عبد البر عن كعب الأخبار

(١) رواه الأمام أحمد .

مثل ذلك وعزاه للتوراة .

السؤال رقم: (77) ما موقف الإسلام من أقوال الفلكيين في أول كل سنة عن الأحداث التي ستحصل في الكون؟

الجواب: من المعروف في العقائد أن المستقبل غيب لا يعلمه إلا الله

تعالى ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾⁽¹⁾

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾⁽²⁾

وقال تعالى : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾^(١٦) إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ

فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾⁽³⁾ .

وعلم الله تعالى يتميز بأمرين: أولهما الصدق واليقين بحيث لا يعتره

شك ، والثاني الإحاطة والشمول فلا يغيب عن علمه شيء ، وكل ما ينشر عن

الفلكيين أو غيرهم أكثره استنتاج وفراسة وظن وتخمين وبراعة في الربط بين

حركات النجوم وتأثيرها على الجو حرارة وبرودة ورطوبة وجفافاً وعواصف

وأمطاراً، وما ينتج عن ذلك من رخاء أو قحط أو قلاقل وفتن نتيجة للحالة

الاقتصادية وما تؤثر فيه من الناحية السياسية والحربية والاجتماعية

وما إلى ذلك .

(١) الأنعام: 59

(٢) لقمان: 34

(٣) الجن: 26 ، 27

ولا شك أن الآثار والنتائج هي محصلة عدة عوامل يتفاعل بعضها مع بعض، وتنتج بشكل طبيعي نتائج مختلفة يمكن إدراكها قبل وقوعها لمن عندهم فراسة وحسن تقدير وربط بين الأسباب والمسببات.

ومع ذلك فكله من باب الظنون التي لا يقطع بها، فقدرة الله تعالى وإرادته في تصريف هذه الأسباب وفي إنتاجها للمسببات فوق كل تدبير وتقدير وحساب من البشر، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾⁽¹⁾. وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُفِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۗ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾⁽²⁾.

فالخلاصة: أن هذه التنبؤات ظنية وليست قطعية، ومن ادعى أنها قطعية فقد خالف قول الله تعالى في علمه للغيب، وتعيين أشخاص يموتون أو يتولون مناصب أو يعزلون، كل ذلك إفراط في التخمين يكذبه الواقع كثيراً، ويبقى الأمر كله لله وحده، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ⁽³⁾. قال الدميري وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال «إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ النُّجُومُ

(١) النور: 43.

(٢) الروم: 48، 49.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص 282-300

فَأْمَسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأْمَسِكُوا»^(١) وقال «أخاف على أمتي بعدي ثلاثاً،
حيف الأئمة، والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر»^(٢) وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه: تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في البحر والبر ثم أمسكوا.

ويبين الدميري سر النهي عن ذلك بعدم فتنة الناس بالنجوم، حتى لا
يربطوا بينها وبين الأحداث فينسوا ربهم الذي خلق كل شيء، وبأن نتائجها
ظنية لا يجوز الحكم بالظن، وبأن الاشتغال بالنجوم من هذه الناحية فضول
ليس فيه فائدة تذكر، وهناك ما هو أهم منه، وجاء في ذلك قول محمد بن
عبد الله بن محمود الحسيني:

لا شيء أجهل ممن يدعي ثقة بحدسه ويرى فيما يرى ريباً
قد يجهل المرء ما في بيته نظراً فكيف عنه بما في عينه احتجبا

ومما ينسب إلى سيدنا علي كرم الله وجهه، وقيل إنه ليوسف بن عبد البر:

أمنتحلي النجوم أحلتمونا على علم أرق من الهباء
علوم الأرض ما أحكمتموها فكيف بكم إلى علم السماء

وأنا أقول: إذا كان الاشتغال بعلم النجوم من أجل معرفة أسرار الكون
وحسن استخدامها كما يحصل الآن من الجهود في غزو الفضاء - كما يعبرون -
فلا بأس به، بل الدين يشجعه ما دام ذلك من أجل الخير، أما سوء استخدام
هذا العلم أو ادعاء معرفة الغيب على وجه اليقين فذلك ضلال لا يوافق عليه
الدين.

(١) رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية، وحسنه بعض أصحاب الأمالي عن ابن مسعود.

(٢) رواه ابن عبد البر وابن عساكر وهو ضعيف.

السؤال رقم: (78) ما الفرق بين الرؤيا والحلم؟

الجواب: الرؤى والأحلام ظاهرة موجودة منذ وجود الإنسان، ومن أشهرها ما حكاه القرآن الكريم من رؤيا إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام، ورؤيا يوسف عليه السلام لسجود الكواكب له، ورؤيا عزيز مصر البقر والسنابل، ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام.

والناس مختلفون في هذه الظاهرة كيف تحدث؟ فقال الماديون من قدامى الفلاسفة ومن بعض المعاصرين: إنها من الطبائع الأربعة الموجودة في الإنسان، فإن غلبت عليه "السوداء" رأى القبور والسواد والأهوال، وإن غلبت عليه "الصفراء" رأى النار والمصاييح والمصبوغات، وإن غلبت عليه "البلغم" رأى البياض والمياه والأمواج وإن غلبت عليه "الدم" رأى الشراب والرياحين والمزامير.

يقول النابلسي صاحب كتاب "تعطير الأنام في تعبیر المنام": هذا الذي قالوه نوع من أنواع الرؤى وليست محصورة فيها، فهناك ما يكون من حديث النفس، وما يكون من غير ذلك.

ويقول النووي في شرحه لصحيح مسلم (16/15) عند حديث: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ»: إن الحلم - بضم الحاء وسكون اللام - فعله الماضي حلم - بفتح اللام - والرؤيا مقصورة مهموزة ويجوز ترك همزها، ونقل عن الإمام المازري مذهب أهل السنة في حقيقتها، وهو أن الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، لا يمنعه نوم ولا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علماً - علامة - على أمور آخر يخلقها في ثاني الحال، أي في

وقت آخر-لاحق- أو كان قد خلقها، فإذا خلق في قلب النائم الطيران وليس بطائر، فأكثر ما فيه أنه اعتقد أمراً على خلاف ما هو، فيكون ذلك الاعتقاد علماً - علامة - على غيره، كما يكون خلق الله سبحانه وتعالى الغيم علماً على المطر، والجميع خلق الله تعالى، ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها علماً على ما يسر بغير حضور الشيطان ويخلق ما هو علم على ما يضر بحضرة الشيطان، فينسب إلى الشيطان مجازاً لحضوره عندها، وإن كان لا فعل له حقيقة، وهذا معنى قوله ﷺ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ» لا على أن الشيطان يفعل شيئاً، فالرؤيا اسم للمحبوب، والحلم اسم للمكروه، هذا كلام المازري، وقال غيره: أضاف الرؤيا المحبوبة إلى الله تعالى إضافة تشريف، بخلاف المكروهة، وإن كانت جميعاً من خلق الله تعالى وتدبيره وبإرادته ولا فعل للشيطان فيهما، لكنه يحضر المكروهة ويرتضيها ويسر بها. اهـ.

ويقول النابلسي: يقول بعضهم: الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله تعالى، وهي الرؤيا الصالحة، ورؤيا تحذير من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه، فرؤيا تحذير الشيطان هي الباطلة التي لا اعتبار لها، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ فَأَنَا أَتْبَعُهُ - أَي أَجْرِي وَرَاءَهُ - فَقَالَ: لَا تُخْبِرِ بِتَلَاُعِبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي الْمَنَامِ» وأما الرؤيا التي هي من همة النفس فمثل أن يرى الإنسان نفسه مع من يحب قلبه، أو خاف من شيء فيراه، أو يكون جائعاً فيرى أنه يأكل، أو ممتلئاً فيرى أنه يتقايأ، أو ينام في الشمس فيرى أنه في نار تحرقه.

ثم ذكر النابلسي الأقسام السبعة للرؤيا الباطلة، وهي: حديث النفس،

والهم ، والتمني ، والحلم الذي يوجب الغسل ، وما يكون من تخويف الشيطان ، وما يقوم به السحرة ، ورؤيا الشيطان ، ورؤيا الطبايع إذا اختلفت وتكدرت ، ورؤيا الوجد والألم لشيء مضى .

وكلام النابلسي يلتقي مع من يفسرون ظاهرة الرؤيا في هذه الأيام بأنها رغبات مكبوتة تطفو على السطح عند نوم الإنسان وما يتأثر به جسمه وتتطلبه طبيعته وحرمانه في حال يقظته كالجوع والعطش والحر والبرد .

ثم يذكر النابلسي الأقسام الخمسة للرؤيا الحق ، وهي :

1- رؤيا الأنبياء ، وهي : «جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ» ، قال

تعالى عن إبراهيم : ﴿يُبَيِّنُ لِي آيَاتِي فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَدَّبْتُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾⁽¹⁾ وقال عن الرسول ﷺ : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . .﴾⁽²⁾ ، وهذه الرؤيا صريحة لا يريها إلا الله دون وساطة ملك .

2- والرؤيا الصالحة التي يبشر الله بها الصالحين ، كما أن المكروهة زاجرة يزجرك بها .

3- ما يريها الملك على حسب ما علمه الله من أم الكتاب ، وألهمه من ضرب الأمثال الحكيمة لكل شيء من الأشياء مثلاً معلوماً .

4- الرؤيا المرموزة وهي من الأرواح ، كأن يرى الإنسان في نومه ملكاً من الملائكة فيخبره بخبر لا يدل بالصرحة بل بالرمز .

(١) الصفات: 102

(٢) الفتح: 27

5- والرؤيا التي تصح بالشاهد ويغلب الشاهد عليها، فيجعل الخير شراً والشر خيراً كالذي يرى أنه يقرأ القرآن في الحمام، فإنه يشتهر بأمر فاحش، لأن الحمام موضع كشف العورات ولا تدخله الملائكة، كما أن الشيطان لا يدخل المسجد.

وتحدث النابلسي عن العملية التي تتم بها الرؤيا والأحلام: الرؤيا يراها الإنسان بالروح ويفهمها بالعقل، ومستقر الروح نقاط دم في وسط القلب، ومستقر القلب في رسوم الدماغ والروح معلق بالنفس، فإذا نام الإنسان امتدت روحه مثل السراج أو الشمس فيرى بنور الله تعالى وضيائه ما يريه ملك الرؤيا، وذهابه ورجوعه إلى النفس مثل الشمس إذا غطاها السحاب وانكشف عنها، فإذا عادت الحواس باستيقاظها إلى أفعالها ذكر الروح ما أراه الملك وخيّل له. اهـ.

وهذه تفسيرات اجتهادية بتصويرات تقربها إلى الفهم، لكن لا يعلم حقيقة الموضوع إلا الله سبحانه وتعالى، فهو من عالم الغيب وأحوال النفوس والأرواح وعلاقتها بالعقل الواعي والباطن، من الأمور التي كثرت فيها الاجتهادات ولا يضرنا ذلك ما دمنا نعلم أن الرؤى والأحلام حقيقة واقعة في الوجود بصرف النظر عن الكيفية التي تتم بها.

وتعبير الرؤيا ليست له قواعد ثابتة، إنما هي ظنون تستخدم فيها وسائل كثيرة، وقد ألفت فيه كتب شتى، جمع أكثرها الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه "تعطير الأنام في تعبیر المنام" الذي طبع وبهامشه كتابان أحدهما لابن سيرين "منتخب الكلام في تفسير الأحلام" والثاني لابن شاهين، الإشارات في علم العبارات" وأشار في آخر مؤلفه إلى الكتب المؤلفة فيه، وإلى كتاب

"طبقات المعبرين" للحسن بن الحسين الجلال الذي ذكر أن هناك (7500) معبرٌ تخير منهم (600) سماهم في كتابه "تعبير الرؤيا" واقتصر على (105) من مشاهيرهم، وجعلهم 15 طبقة.

وتطرق النابلسي إلى الكلام على عدة نقاط، منها أن الحائض والجنب قد تكون رؤيتهما صحيحة، فقد عبّر يوسف رؤيا فرعون، كما تصح رؤيا الصبيان، كرؤية يوسف لسجود الكواكب له، وأن الإنسان قد يرى الرؤيا فتكون له وقد تكون لغيره من أقاربه وزملائه ومن تسموا باسمه، وذكر منها رؤيا أبي جهل أنه أسلم وباع النبي ﷺ فكانت لابنه عكرمة، وأن أم الفضل رأت أن قطعة من جسم النبي ﷺ وضعت في حجرها فأولها أن فاطمة ستلد ولداً من ابن عمها فولدت الحسن وأخذته أم الفضل في حجرها.

كما تحدث عن أحسن الأوقات التي تصدقه فيها الرؤيا واختلاف الناس فيها، هل هي السحر أو النهار أو القيلولة. ونبّه على أن من يريد أن تصدق رؤياه فليكن ملتزماً للصدق في حياته، وأن ينام على وضوء، وقال: إن المعبر للرؤيا لا بد أن يكون ذا فراسة ودراية وأن يبدأ بقوله لصاحب الرؤيا: خير إن شاء الله تعالى، وأن تعبیر الرؤيا يختلف من شخص إلى شخص، ومن بيئة إلى بيئة، ومن دين إلى دين، ومن فصل زمني إلى فصل آخر، فالسفرجل عند الفرس عزٌّ وجمال، وعند العرب سفر وجلاء، وأكل الميتة نكد عند من يحرمونها، ورزق عند من يستحلونها، والتدفئة بالنار والشمس خير في الشتاء، وشر في الصيف، والثلج والجليد غلاء وقحط في البلاد الحارة، وخصب وسعة في البلاد الباردة.

وذكر ما ينبغي أن يعمله الشخص إذا رأى شيئاً يفزعه، وبعضها مأخوذ من أحاديث نبوية سأذكر بعضها فيما يلي كما في صحيح مسلم (16/15) وما بعدها:

1- قال النبي ﷺ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ الْحُلْمَ يَكْرَهُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ فَلَنْ يَضُرَّهُ» وجاءت روايات تعبر عن النفث بالتفل وبالْبصق، وأكثرها تعبر بالنفث، ولعل المراد به النفخ اللطيف بلا ريق، ومعنى لا تضره أن الله جعل هذا سبباً لسلامته من مكروهه يترتب عليه، كما جعل الصدقة سبباً لدفع البلاء ووقاية للمال.

2- وقال النبي ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَّرَهُ مِنْهَا شَيْئاً فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ لَا تَضُرُّهُ وَلَا يُخْبِرُ بِهَا أَحَدًا فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبَشِّرْ وَلَا يُخْبِرْ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ» وذلك حتى لا تقع عن تفسيره المكروهة، وحتى لا يستغلها عدوك فيفسرها بالسوء حتى يحزنك.

3- وقال النبي ﷺ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ».

4- وقال النبي ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ وَرُؤْيَا تَخْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ».

جاءت روايات بأن الرؤيا الصالحة «جُزءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ» أو من سبعين، وفي روايات لغير "مسلم" من أربعين ومن تسعة وأربعين ومن خمسين، ومن ستة وعشرين، ومن أربعة وأربعين، واقتراب الزمان قيل المراد به اعتدال الليل والنهار، وقيل قرب قيام الساعة».

5- وقال النبي ﷺ «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي».

السؤال رقم (79): إنني بلغت من العمر (30) سنة وأخبرني عراف بأن هناك من عمل لي حجاباً عن الزواج. وأنه سيعمل لي حجاباً مضاداً حتى يفك العمل السابق، وإنني خائفة. فماذا أعمل؟

الجواب: السحر يندفع عن المسحور بالتعوذ بالله تعالى والتحصن به واللجوء إليه وتقواه وأداء حقوقه ومراقبته سبحانه، لأن الشيطان والجان ليس لهم سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. وقد أمر الله بالتعوذ به من الشيطان قال تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (١٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١﴾ قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ وجاء في زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري والمسلم في حديث السحر (فائدة لفك السحر) وهي: قراءة القلائق الخمس وهي: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ - إلى آخره، وسورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وسورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾،

وسورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وسورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، تقرأ على كوب ماء مع وضع السبابة اليمنى في الماء ويستشفى بها المسحور بالشرب والدهان للجسد من الماء.. وجاء في كتاب الفواكه الدواني 443/2: ولا بأس بالرقى بشيء من كتاب الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويرقى بالفاتحة وبآيات الشفاء الست وهي: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾.

كما يرقى بذلك لحلّ المربوط، ولتسكين المصروع، وإخراج الجان، وإزالة النزيف، ولكل داء يصيب المرء في بدنه أو روحه لأنه شفاء ورحمة، وقد استشفى به الصحابة رضي الله عنهم، ورقوا به غيرهم، ورقى به جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك وغيره ثابت في الصحاح والسنن. ولكن ينبغي أن يكون الرّاقى ممن عرف بالتقوى والصلاح، وإلا فإن التلاوة قد لا تنفع إذا خرجت من القلب غير السليم.

وعلى المسلم أن يفرع إلى كتاب الله تعالى بنفس راضية، واثقة بالله تعالى عز وجل، وليكن حسن الظن بربه، والله يتولانا بهداه والله تعالى أعلم.

السؤال رقم: (80) نظرت في القرآن والحديث فوجدت اهتماماً بذكر العدد سبعة ومضاعفاته فهل هناك سر في الاهتمام بهذا

الجواب: جاء في كتاب "زاد المعاد في هدي خير العباد" للعدد سبعة عند كلامه على حديث الصحيحين أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّْ وَلَا سِحْرٌ» فقال: وأما خاصية السبع فإنها وقعت قدراً وشرطاً، فخلق الله عَلَيْهِ السَّلَامُ السماوات سبعاً، والأرضين سبعاً، والأيام سبعاً، والإنسان كمل خلقه في سبعة أطوار، وشرع الله تعالى لعباده الطواف سبعاً، والسعي بين الصفا والمروة سبعاً، ورمي الجمار سبعاً سبعاً، وتكبيرات العيدين سبعاً في الأولى، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «مُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ» «فَإِذَا بَلَغَ الْغُلَامُ سَبْعَ سِنِينَ خَيْرٌ بَيْنَ أَبِيهِ» في رواية، وفي رواية أخرى «أَبُوهُ أَحَقُّ بِهِ مِنْ أُمِّهِ» وفي الثالثة «أُمُّهُ أَحَقُّ بِهِ» وأمر النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مرضه أن يصب عليه من سبع قرب، وسحَّر الله تعالى الريح على قوم عاد سبع ليال، ودعا النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يعينه الله تعالى على قومه بسبع كسبوع يوسف - أي سبع سنوات من الجذب - ومثل الله سبحانه وتعالى ما يضاعف به صدقة المتصدق بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة، والسنابل التي رآها صاحب يوسف سبعاً، والسنين التي زرعوها سبعاً وتضاعف الصدقة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ويدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب سبعون ألفاً، ثم علَّق ابن القيم على ذلك بكلام يحتاج إلى نظر فقال: فلا ريب أن لهذا العدد خاصية ليست لغيره، والسبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه، فإن العدد شفع ووتر، والشفع أول وثنان، والوتر كذلك، فهذه أربعة مراتب: شفع أول وثنان، ووتر أول وثنان، ولا تجتمع هذه المراتب في أقل من سبعة، وهي عدد كامل جامع لمراتب العدد الأربعة... إلى آخر ما قال: مُنَوِّهاً بأن الأطباء من قدم اعتنوا بهذا العدد ثم

انتهى إلى قوله: والله تعالى أعلم بحكمته وشرعه وقدره في تخصيص هذا العدد هل هو لهذا المعنى أو لغيره؟

وبعد، فإنه لا يعلم أحد بالضبط الاعتناء بهذا العدد، ولعل الأيام تكشف سره، مع التحذير بالألا تنتهز الفرصة للوصول إلى شيء يتنافى مع حقائق الدين، كما استغل عدد (19) استغلالاً سيئاً لترويج أباطيل قال بها بعض المارقين عن الدين.

السؤال رقم: (81) هل هناك فرق بين هذه العبارات: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين؟

الجواب: جاء في غذاء الألباب للسفاريني (30/1) أن العلم صفة يميز المتصف بها تميزاً جازماً مطابقاً للواقع، وله ثلاث مراتب: المرتبة الأولى: علم اليقين، وهو انكشاف المعلوم للقلب بحيث يشاهده ولا يشك فيه، كانكشاف المرئي للبصر.

المرتبة الثانية: وهي مرتبة عين اليقين، ونسبتها إلى اليقين كنسبة الأولى للقلب.

المرتبة الثالثة: وهي حق اليقين، وهي مباشرة المعلوم وإدراكه الإدراك التام، فالأولى كعلمك أن في هذا الوادي ماء، والثانية كرؤيته، والثالثة كالشرب منه، ومن هذا قول حارثة: «أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيْقَةً، فَمَا حَقِيْقَةُ إِيمَانِكَ؟ قَالَ: عَزَفْتُ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي

أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَنْزَاوِرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاعُونَ فِيهَا، فقال النبي ﷺ عَرَفْتُ فَالْزَمَ، عبد نور الله الإيمان في قلبه» ذكره ابن رجب في: استنشاق نسيم الأنس، وقال: ضعيف، والإمام ابن القيم في مفتاح دار السعادة محتجاً به. انتهى

يقول القشيري في رسالته في التصوف: اليقين هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف، ولا يطلق في وصف الحق سبحانه، لعدم التوقيف، فعلم اليقين هو اليقين، وكذلك عين اليقين نفس اليقين، وحق اليقين نفس اليقين.

فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان. وعين اليقين ما كان بحكم البيان - أي بطريق الكشف - وحق اليقين ما كان بنعت العيان، فعلم اليقين لأرباب العقول، وعين اليقين لأصحاب العلوم، وحق اليقين لأصحاب المعارف «ص 74».

والشيخ زكريا الأنصاري في شرحه للرسالة يقول: هذه الألفاظ عبارات عن علوم جليلة مع تفاوتها في القوة، بناء على أن اليقين مقول على أفراده بالتشكيك، والثلاثة مذكورة في القرآن، قال تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾^(١) وقال ﴿ثُمَّ لَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾^(٢) وقال ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾^(٣) وذكر القرطبي في تفسيره (234/17) لسورة الواقعة أن معنى حق اليقين محض

(١) سورة التكاثر (5).

(٢) سورة التكاثر (7).

(٣) سورة الواقعة (95).

اليقين وخالصه، وجاز إضافة الحق إلى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما، قال المبرد: هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين، وعند البصريين حق الأمر اليقين أو الخبر اليقين، وقيل: هو توكيد، وقيل: أصل اليقين أن يكون نعتاً للحق، فأضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز كقوله «ولدار الآخرة».

وذكر في تفسير سورة التكاثر (174/20) أن علم اليقين بالنار يكون في الدنيا عن طريق العقل والقلب، وعين اليقين يكون في الآخرة عند المعاينة بعين الرأس والمشاهدة فيراها يقيناً لا تغيب عن عينه.

فصل في الخليفة

السؤال رقم: (82) هل الأرضون سبع كما أن السموات سبع؟

الجواب: . مثلية الأرضين للسموات قد تكون مثلية كم أو كيف، أي مثلية في العدد، أو مثلية في إبداع الخلق ودقة الصنع والاحتواء على الآيات والدلائل الشاهدة على عظمة الخلق والخالق.

وندع العقل يجول في الكشف، وفي الاستنتاج، وإذا وصل إلى حقيقة مقررة ثابتة فإنها لا تتعارض أبداً مع كلام الله سبحانه وتعالى، وكلام الله تعالى هو الأصل، وغيره يقاس عليه ويحاكم إليه إذا اتضح معنى النص ولم يحتمل عدة معان وتأويلات. والاحتياط واجب في عدم حمل آيات القرآن على ما يقال من كشوف لم تتعد حدود النظريات والافتراضات، وقد تكون من الأراضي المريخ وزهرة وعطارد لتشابه العناصر المكونة لها مع عناصر الأرض. والله تعالى أعلم.

السؤال رقم: (83) ما هو الصلب والترائب التي خلق منها الإنسان؟

الجواب: هذه الآية من الآيات العلمية التي ما كان العرب يعرفون عنها شيئاً، وبالتالي لم يكن النبي ﷺ ليعلم عنها شيئاً لولا نزول القرآن عليه من الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216) وذلك من أدلة صدق النبي ﷺ في دعواه الرسالة، وقد ظل الناس قروناً طويلة يجهلون كيف يتخلق الجنين في بطن أمه حتى نزل القرآن فبين ذلك بدقة في سورة المؤمنون، ووضحه النبي ﷺ في حديثه وهو لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 4] وبين النبي ﷺ أن الإنسان «يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ...» والمفسرون للقرآن والشارحون للأحاديث كانوا يوضحون ذلك حسب المعلومات التي كانت عندهم مع استعانتهم بمعاني الألفاظ العربية التي نزل بها القرآن. والترائب هي عظام الصدر، وهل المراد صدر الرجل، أو صدر المرأة الذي يقابله الصلب في الرجل؟ رأيان.

وإليك نموذجاً من التفاسير:

(أ) جاء في تفسير القرطبي أن الإنسان يخلق من ماء الرجل الذي يخرج من صلبه العظم والعصب، ومن ماء المرأة الذي يخرج من ترائبها اللحم والدم، وقيل من صلب الرجل وترائبها، ومن صلب المرأة وترائبها، ولم يوضح كيف تم الخلق بهذه الصورة.

(ب) جاء في تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهرى معتمداً فيه على ما في تفسير الفخر الرازي: أن الدماغ مركز الإدراك وخليفته في الجسم النخاع

الشوكي المخزون في الصلب ، والنخاع له شعب كثيرة تصل إلى جميع أجزاء الجسم ، ولن يتم اجتماع الرجل بالمرأة إلا بقوة الحس عن طريق الدماغ والنخاع الذي في الصلب ، وكذلك بوجود زينة المرأة التي يغلب أن تكون على ترائبها ، أي على صدرها ، ولذا عبر عن الرجل بالصلب وعن المرأة بالترائب وهذا فحوى كلام الرازي وجوهري ، وهو تفسير سطحي لعملية تكوين الجنين .

(ج) وجاء في تفسير القاسمي: أن المني باعتبار أصله وهو الدم يخرج من شيء ممتد بين الصلب - فقرات الظهر في الرجل - والترائب أي عظام صدره ، وذلك الشيء الممتد بينهما هو الأبر " الأورطي " وهو أكبر شريان في الجسم يخرج من القلب خلف الترائب ويمتد إلى آخر الصلب تقريباً ، ومنه تخرج عدة شرايين عظيمة ، ومنها شريانان طويلان يخرجان منه بعد شرياني الكليتين وينزلان إلى أسفل البطن حتى يصلا إلى الخصيتين فيغذيانهما ، ومن دمهما يتكون المني في الخصيتين ويسميان بشرياني الخصيتين أو الشريانين المنويين ، فلذا قال تعالى عن المني: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (الطلاق: 7) لأنه يخرج من مكان بينهما وهو "الأورطي" أو الأبر .

(د) هذا بعض ما جاء في كتب التفسير ، وهي محاولات لتقريب المعنى المعهود الآن مما وصل إليه العلم ، ولا شك أن الكشوف العلمية تتقدم يوماً بعد يوم ، ثم قرأنا للمختصين أن الغدد التناسلية في الجنين تكون أصلاً في المنطقة الواقعة بين عظام الظهر "الصلب" وعظام الصدر "الترائب" وهذا ما

يدل عليه قول الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^(١) سواء منه الذكر والأنثى ، فهي تخلق في نفس المكان ، ولعل مما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٢) فكلمة: «بني آدم» تشمل الذكر والأنثى ، وتفصيل ذلك يرجع فيه إلى المختصين ، وبخاصة في علم الأجنة .
هذه صور من محاولات تفسير ما ورد في القرآن من الأمور العلمية ، ولعل في الكشوف المستقبلية ما يوضح ذلك أكثر وأكثر ، مصداقاً لقوله تعالى:
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣) .

السؤال رقم: (84) ما عدد الأطفال الذين تكلموا في المهد؟

الجواب: المتكلمون في المهد كثر ووردت عدة أحاديث في ذلك ، منها:
أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا عَيْسَى ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَابْنُ مَاشِطَةَ فِرْعَوْنَ»^(٤) .
ب- وصبي الأخدود كما ورد في مسلم عَنْ صُهَيْبِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبَرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي

(١) الطارق: 7

(٢) الأعراف: 172

(٣) فصلت: 53

(٤) أخرجه الحاكم وصححه .

طَرِيقَهُ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ
بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا
خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ
فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ
السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلَ فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ
أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَتَقَاتَلَهَا
وَمَضَى النَّاسُ فَاتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ أَيُّ بَنِيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ
مَنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ .

وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ
فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهِدَايَا كَثِيرَةً فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ
إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ
دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَاْمَنْ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَآتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ
يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ قَالَ رَبِّي قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي قَالَ
رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ
لَهُ الْمَلِكُ أَيُّ بَنِيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ
فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى
الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضَعَ
الْمِنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ
ارْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ .
ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ

فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرُوفٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَاَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ فَأَتَى الْمَلِكُ .

فَقِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ!! قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السَّكِّ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النَّيْرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ افْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ .

2- قال ابن حجر: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: فِي هَذَا الْحَصْرِ نَظْرٌ، إِلَّا أَنْ يُحْمَلَ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ الزِّيَادَةَ عَلَى ذَلِكَ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ

عِنْدَ أَحْمَدَ وَابْنِ جَبَانَ وَالْحَاكِمِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا أَرْبَعَةٌ» فَلَمْ يَذْكُرِ الثَّلَاثَ الَّذِي هُنَا وَذَكَرَ شَاهِدَ يُوسُفَ وَالصَّبِيَّ الرَّضِيعَ الَّذِي قَالَ لِأُمِّهِ وَهِيَ مَاشِطَةٌ بِنْتُ فِرْعَوْنَ لَمَّا أَرَادَ فِرْعَوْنَ إلقاءَ أُمِّهِ فِي النَّارِ «اصْبِرِي يَا أُمُّهُ فَإِنَّا عَلَى الْحَقِّ». وَأَخْرَجَ الْحَاكِمِ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فَيَجْتَمِعُ مِنْ هَذَا خَمْسَةٌ، وَوَفَعَ ذِكْرَ شَاهِدِ يُوسُفَ أَيْضًا فِي حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ لَكِنِّهِ مَوْقُوفٌ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ مُرْسَلٍ هَلَالُ بْنُ يَسَافٍ مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ ابْنَ الْمَاشِطَةِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ «أَنَّ امْرَأَةً جِيءَ بِهَا لَتَلْقَى فِي النَّارِ أَوْ لِتَكْفُرَ، وَمَعَهَا صَبِيٌّ يَرْضِعُ، فَتَقَاعَسَتْ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ» وَزَعَمَ الضَّحَّاكُ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ يَحْيَى تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ، فَإِنْ ثَبَتَ صَارُوا سَبْعَةً، وَذَكَرَ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ، وَفِي "سِيرِ الْوَاقِدِيِّ" أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَكَلَّمَ أَوَائِلَ مَا وُلِدَ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُبَارَكِ الْيَمَامَةِ وَقِصَّتِهِ فِي "دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ" مِنْ حَدِيثِ مُعْرِضٍ بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى عَلَمٌ.

3- وأما قصة مبارك اليمامة التي أشار إليها الحافظ ابن حجر، فهي عند البيهقي في دلائل النبوة وابن قانع، والخطيب وأبو نعيم في معرفة الصحابة، عن معرض بن عبد الله بن معرض بن معقيب اليماني، عن أبيه، عن جده، قال: حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة، فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه مثل دائرة القمر، وسمعت منه عجباً: جاءه رجل بغلام يوم ولد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا غلام من أنا؟ قال: أنت رسولُ الله، قال:

صَدَقَتْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ»، ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب، قال: قال أبي: فكنا نسميه: مبارك اليمامة.

السؤال رقم (85): هل صحيح أن النخلة خلقت من بقايا الطينة التي خلق منها آدم فتكون عمتنا؟

الجواب: شجرة النخل ورد فيها حديث في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ». قَالَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ قَالَ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتُ: هِيَ النَّخْلَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا».

وفي الحديث: إلقاء العالم المسائل على أصحابه وتمرينهم واختبار ما عندهم، وفيه ضرب الأمثال والتشبيه، وفيه ما كان عليه الصحابة من الحياء من أكابرهم وأجلائهم وإمساكهم عن الكلام بين أيديهم، وفيه فرح الرجل بإصابة ولده وتوفيقه للصواب، وفيه أنه لا يكره للولد أن يجيب بما عرف بحضرة أبيه وإن لم يعرفه الأب، وليس في ذلك إساءة أدب عليه.

وأما حديث «أَكْرَمُوا عَمَّتِكُمُ النَّخْلَةَ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الطِّينِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ» فقد رواه أبو يعلى وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو ضعيف.

السؤال رقم (86): سمعنا في قصة الإسراء والمعراج أن النيل والفرات ينبعان من سدرة المنتهى في السماء، فكيف يتفق ذلك مع ما هو

معروف عن منابع كل منهما في أفريقيا وآسيا؟

الجواب: جاء في حديث البخاري ومسلم عن الإسراء والمعراج قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثُمَّ رَفَعْتُ إِلَيَّ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبَقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ» وعند مسلم «يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ فَقُلْتُ يَا جَبْرِيلُ مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ قَالَ أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ» وعند مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فُجِّرَتْ أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ مِنَ الْجَنَّةِ الْفُرَاتُ وَالنَّيْلُ وَسَيْحَانُ وَجَيْحَانُ» ووقع في حديث الطبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال يا رسول الله فَعَلَامَ نَطَّلَعُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ مَا بَهَا مِنْ صُدَاعٍ وَلَا نَدَامَةٍ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنِ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَبِفَاكِهَةٍ لَعَمْرُ إِلَهَكِ مَا تَعْلَمُونَ وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ، وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنَّا فِيهَا أَزْوَاجٌ أَوْ مِنْهُنَّ مُصَلِحَاتٌ، قَالَ: الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ تَلْدُونَهُنَّ مِثْلَ لِدَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَلْدُذْنَ بِكُمْ غَيْرَ أَنْ لَا تَوَالِدَ».

هذه بعض الأحاديث بروايات مختلفة عن النيل والفرات وغيرهما من الأنهار المشهورة في الدنيا، وقد كثر الكلام عليها وبخاصة في تحديد المنابع، وهل النيل والفرات اللذان عند سدرة المنتهى هما النيل والفرات اللذان في الأرض أو غيرهما؟ وكلام الشراح للأحاديث كله اجتهادي، وفيه

تضارب ، ومن الصعب التوفيق بين ما قالوه وبين ما يقوله علماء الجغرافيا في تحديد منابع النيل والفرات ، وأبادر فأقول:

إن المسألة ليست من العقائد التي يتوقف عليها الإيمان ، وليست من الشريعة التي كلف بها المسلم ، فجهلها لا يضر الدين ، والقاعدة في مثل هذه الأخبار التي يناقض ظاهرها العقل في مسلماته الثابتة أن ينظر إلى الخبر فإن لم يكن ثبوته بوجه يقبل في العقائد ، وهو الصحة-على خلاف في مراتبها - فلا داعي لمحاولة فهم النص والتوفيق بينه وبين العقل الذي يقدم عليه . وإن ثبت أن الخبر صحيح فيجب التسليم به ولا يجوز إنكاره وهنا يجب صرفه عن ظاهره بالتأويل ليتفق مع العقل في قضايا المسلمة أو الواقع في مشاهدته المحسوسة ، ولا ينبغي تأويله لصعوبة فهمه فقد تكشف الأيام والمكتشفات عن صدقه ، وقد تسرع بعض الكُتَّاب فأنكر بعض هذه الأخبار أو أولها ثم ظهر بعد أنها صادقة في معانيها التي جاءت بها ، وإليك بعض النماذج من شرح هذا الحديث:

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (أصل النيل والفرات من الجنة ، وأنهما يخرجان من أصل السدرة ، ثم يسيران حيث شاء الله تعالى ، ثم ينزلان إلى الأرض ، ثم يسيران فيها ، ثم يخرجان منها) . وهذا لا يمنعه العقل ، وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد . ثم يتابع النووي قوله فيقول: وقول عياض: الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض ، لقوله ﷺ: «إن النيل والفرات يخرجان من أصلها» ، وهما يخرجان من الأرض فيلزم منه أن أصل السدرة في الأرض ، وتعقب أن خروجهما من أصلها غير خروجهما بالنبع من

الأرض ، والحاصل أن أصلهما من الجنة ويخرجان أولاً من أصلها ثم يسيران إلى أن يستقرا في الأرض ثم ينبعان . هذا كلام النووي الذي يقول: إن العقل لا يمنعه وما دام الخبر قد ثبت به فلنعمده ، صحيح أن العقل لا يمنعه فالله تعالى قادر على كل شيء ، ولكنه صعب التصور ، ولا نسلم به إلا لصحة الخبر به .

لكن الألفاظ الواردة في الخبر قد تدل على معان يسهل على العقل تصورها ، فقد قال القرطبي: وقيل: إنما أطلق على هذه الأنهار من الجنة تشبيهاً لها بأنهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة . وهذا هو الذي تميل إليه النفس إذا كان المراد بالنيل والفرات نهري مصر والعراق ، أما إذا أريد بهما وبغيرهما أنهار الجنة حملت أسماء أنهار الدنيا حقيقة أو تشبيهاً كما يدل عليه حديث الطبري عن أبي هريرة ، وما جاء عن كعب الأبحار عند البيهقي فلا صعوبة في فهم الأحاديث ، ومن أراد الزيادة في الاطلاع فليراجع شرح الزرقاني للمواهب اللدنية للقسطلاني في حديثه عن الإسراء والمعراج .

السؤال رقم (87): هل كل إنسان معه شيطان يغويه ويوسوس له؟

وهل يستطيع أن يتشكل في هيئة صاحبه؟

الجواب: كل إنسان له قرين كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد ومسلم عن رسول الله ﷺ قال: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا: وإيّاك يا رسول الله؟ قال: وإيّاي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير) والقرين مسلط على العبد إذا غفل عن ذكر الله . لقوله

تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ وروى أبو يعلى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: (إن الشيطان واضع خَطْمه - أي فمه - على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس ، وإن نسي التقم قلبه ، وذلك الوسواس الخناس). فيض القدير 2/354. وابن كثير في تفسير سورة الناس .

وأما كون القرين يتشكل بشكل صاحبه فهذا لم يرد فيه نص بخصوصه . أما كون الشياطين والجن يتشكلون بأشكال متنوعة فذلك وارد وهو مما يجب الإيمان به ، كما يجب الإيمان بأن الشيطان لا يتشبه برسول الله ﷺ لحديث: (من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي) رواه أحمد والبخاري والترمذي . فيض القدير 6/131. والله تعالى أعلم .

السؤال رقم: (88) إذا كانت الحشرات والوحوش ضارة للإنسان فلماذا خلقها الله سبحانه؟

الجواب: من صفات الله تعالى أنه حكيم عليم خبير ، فهو سبحانه وتعالى منزه عن العبث في جميع تصرفاته ، والعقل الإنساني مهما كانت قوته فهو محدود ، يجهل كثيراً من أسرار الخلق ، بل وفيما كلف به من أعمال ، قال تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) وقال ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) وقد أمرنا بالبحث والنظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله تعالى من شيء وشجع العلم في كل مجالاته ، وكرم العلماء ورفعهم درجات ، وقد

(١) سورة الإسراء (85)

(٢) سورة البقرة (216)

أدرك السابقون بعضاً من حكم الخلق وما يزال العلم الحديث يكشف عن حكم وأسرار .

إن وجود الحشرات والحيوانات المتوحشة فيه حفظ للتوازن بين المخلوقات ، وقد ذكر الجاحظ في كتابه " حياة الحيوان " أن من العجيب في قسمة الأرزاق أن الثعلب يصيد القنفذ فيأكله ، والقنفذ يصيد الأفعى ليأكلها ، والأفعى تصيد العصفور لتأكله ، والعصفور يصيد الجراد فيأكله . . . إلى غير ذلك مما ذكره ، كما أن وجودها فيه منافع تغيب عن أذهان الكثيرين ، فإلى جانب منافعها الاقتصادية من جلود وعظام وشعر ، وما تقوم به الحشرات من حمل اللقاح للنبات هي جنود يسلط الله بعضها على بعض للقضاء عليها أو الحد من تكاثرها لفسح المجال للإنسان كما أنها جنود يعذب الله تعالى بها أقواماً لم يعبدوه ولم يشكروا نعمته ، ألم يقل الله تعالى في عذاب قوم فرعون ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾^(١) .

وَألم نعلم أنه لولا السوس مثلاً لادخرنا الحبوب ومنعناها عن غيرنا ممن يحتاجونها؟ جاء في حياة الحيوان الكبرى للدميري "مادة ذباب" أن أبا جعفر المنصور كان جالساً فألح على وجهه ذباب حتى أضجره فاستدعى عالماً فجيء له بمقاتل بن سليمان "توفي سنة (155) هـ" فسأله: لماذا خلق الله تعالى الذباب؟ فقال: ليذل به الجبابة فسكت المنصور، وقال الدميري في

(١) الأعراف (133).

مناقب الشافعي "توفي سنة (204) هـ" إن المأمون سأله مثل هذا السؤال . فقال: مذلة للملوك ، فضحك المأمون وقال: رأيتك وقد وقع على جسدي؟ فقال: نعم ولقد سألتني عنه وما عندي جواب ، فلما رأيتك قد سقط منك بموضع لا يناله منك أحد فتح الله تعالى لي فيه الجواب ، فقال: لله درك .

السؤال رقم: (89) في القرآن أوصاف متعددة للنفس، فهل هي نفس واحدة أو عدة أنفس؟

الجواب: للنفس إطلاقات كثيرة ، فقد تطلق على الذات وعلى الدم كما يقول الفقهاء "وما لا نفس له سائلة إذا وقع في الإناء ومات فيه فإنه لا ينجسه" وتطلق على غير ذلك ، والذي يهمنا هو إطلاقها على اللطيفة الربانية التي هي الأصل الجامع لقوتي الغضب والشهوة في الإنسان كما يقول أهل التصوف: لا بد من مجاهدة النفس وكسرها ، وكما يعبر عنه القول المشهور - وهو ليس بحديث - أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك وقد يراد بالنفس ذات الإنسان وحقيقته ، وهي على كل حال من أعظم الدلائل على قدرة الله تعالى في خلقها وأسرارها قال تعالى في قسمه بها ، وهو لا يقسم إلا بالعظيم الخطير ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ (١) ، أي من دنسها بالمعاصي .

إن هذه النفس توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها ، فإذا

(١) الشمس (7-10)

سكنت لأمر الله تعالى ولم تعارضها الشهوات سميت النفس المطمئنة، قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾^(١).

وإذا قبلت أمر الله تعالى ومع ذلك قامت بمدافعة الشهوات واعترضت عليها سميت النفس اللوامة، لأنها تلوم صاحبها عند التقصير في الطاعة، قال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾^(٢)، فإن أذعنت للشهوات ولم تعترض عليها وأطاعت الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتُ﴾^(٣).

فأحسن أنواعها هي النفس المطمئنة، ثم النفس اللوامة التي يعبر عنها أحياناً بالضمير حين يحاسب الإنسان بعد الفعل وعندما يتربى يرشده إلى الخير قبل الفعل، ويحرسه في أثناءه ويرضى عنه بعد انتهائه.

ومهما يكن من شيء فهي ليست نفوساً منفصلة، ولكنها نفس واحدة لها عدة أحوال، ويمكن بالتربية الدينية أن يتغلب الإنسان على شهواته التي تدفعه إلى السوء وأن يجعل ضميره حياً يقظاً يأمره بالخير وينهاه عن الشر، وأن يتصاعد في التربية العملية حتى يصل إلى حالة أو مقام تكون نفسه فيه راضية مطمئنة، وللمزيد من المعلومات يرجع إلى "إحياء علوم الدين للغزالي" وإلى كتب الأخلاق والتصوف.

(١) الفجر (27-28).

(٢) القيامة (2).

(٣) يوسف (53).

فصل في أعمال الإنسان

السؤال رقم: (90) من هو الذي يطلق عليه اسم الولي، وهل لابد أن تكون له كرامة؟

الجواب: الولي هو الذي تولى أوامر الله تعالى بالتنفيذ، وتولاه الله تعالى بالرعاية، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ ففي هذه الآيات مواصفات الأولياء: ﴿ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ حيث تولوا أوامره بالتنفيذ عقيدة وعملاً، فالتقوى هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، في كل قطاعات النشاط البشري، في العبادات والمعاملات والأخلاق وفي كل شيء، وفيها جزاؤهم: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا يخافون من المستقبل ولا يحزنون على الماضي: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ حيث تولاهم الله برعايته رعاية شاملة في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة.

والكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد شخص صالح، أما ما يظهر على يد فاسق أو كافر فهو استدراج قال فيه رب العزة ﴿فَدَرْنِي وَمَنْ يُكَدِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٤) وَأُمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٢﴾.

والكرامة للولي غير لازمة أن تكون في الدنيا، فهي ليست للدعاية

(١) يونس: 62-64.

(٢) القلم: (44-45).

والكسب والتحدي، وقد يدخرها الله تعالى في الآخرة، والأولياء الصالحون لا يطلبون كرامة ولا يحبون أن يعلنوها لو حدثت، هذا وإن الحديث في هذا الموضوع طويل ومن الكتب التي استوفته: الرسالة القشيرية.

السؤال رقم: (91) هل الإنسان مُسَيَّرٌ أم مُخَيَّرٌ؟

الجواب: الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وعلم ما سيكون عليه من خير وشر، وجعله قابلاً للطاعة والمعصية، وكلفه بأمور ينفذها وترك له الحرية في اختيار التنفيذ وعدم التنفيذ، ليكون محاسباً أمام الله تعالى على ما فعله بحريته واختياره من طاعة أو معصية، والإنسان لا يعلم ما قدّر له في علم الله تعالى إلا بعد وقوع المُقَدَّر، ولو أقدم على فعل محرم متعللاً بأنه مُقَدَّرٌ عليه فهو مخطئ في هذا التعلل، لأنه ربما يحول بينه وبين فعل المحرم حائل يمنعه، وهنا يعلم أنه لم يُقَدَّر عليه.

فالإنسان مخيّر في الأمور التكليفية التي يستطيع فعلها أو تركها بحريته واختياره، أما الأمور التي لا تقع تحت حريته واختياره، كالكوارث العامة من الزلازل والبراكين والعواصف والسيول وغيرها فهو فيها مسير.

وهناك من يقول: إن المعاصي مقدره علينا فلماذا نعاقب عليها ونحن مرغمون لا مفر لنا من القضاء والقدر؟ إن الله سبحانه وتعالى علم أن أبا لهب لن يؤمن بسيدنا محمد ﷺ، ومع ذلك أمر الله تعالى نبيه أن يطلب منه الإيمان، ليكون إيمانه وعدم إيمانه بحريته واختياره، فاختار أبو لهب الكفر، واستمر على ذلك حتى مات كافراً، وهنا علم تماماً أن الله سبحانه وتعالى قضى في علمه أن أبا لهب سيختار الكفر ويموت عليه.

وكثير من الناس يسأل عن تقدير المعاصي لتبرير فعلها على أنها قضاء الله تعالى حتى لا يعاقب عليها، ولا يسأل عن تقدير الطاعات، ويطلب بالثواب عليها، مع أن المعاصي والطاعات مقدره في علم الله تعالى؟ إن الإنسان هنا في الطاعات حريص على أن ينال الثواب على طاعته لأنها عمله، وفي المعاصي حريص على أن يفر من العقاب على معصيته لأنها ليست عمله - في ادعائه - بل مقدره عليه.

لا ينبغي أن يغالط الإنسان نفسه، فهو مسؤول عن كل شيء فعله بحريته واختياره من خير أو شر، قال تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾⁽²⁾، إن الأمر لو كان كما يريد هؤلاء من تقدير كل الأمور علينا وعدم الحساب عليها ما كانت هناك حاجة إلى إرسال الرسل ولا إلى البعث ولا إلى الحساب ولا إلى الجنة والنار.

السؤال رقم: (92) ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾⁽³⁾؟

الجواب: أبسط تفسير لهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قادرٌ مريدٌ لو شاء أن يجعل كل الأنفس الحية من إنس وجن وغيرهما مؤمنة مطيعة لفعل، وذلك بأن يخلقهم من مادة أو عنصر لا يكون منه الكفر والعصيان،

(١) الطور: 21

(٢) المدثر: 38

(٣) السجدة: 13

كالملائكة الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽¹⁾ لأنهم خلقوا من نور، ولكنه سبحانه وتعالى قدر أن تكون هناك مخلوقات قابلة للإيمان والكفر، يصدر منها الطاعة والعصيان وذلك بمحض إرادتها واختيارها، دون تدخل من الله سبحانه، إلا بمجرد الأمر والنهي وبيان الخير والشر، فمن آمن وأطاع أدخله الجنة، ومن كفر وعصى أدخله النار، وذلك بعد الحساب الدقيق على ما قدموا في دنياهم، وهذه المخلوقات الحرة المختارة لما تفعل هي الإنس والجن.

ولا يجوز أن نفهم من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى هو الذي تحكم فينا فجعل منا المؤمن والكافر وقد أراد لنا ذلك فكيف يعذبنا على ما اقترفنا؟

نعم إن الله هو الذي خلقنا على هذا الطراز وبلا استعداد للإيمان والكفر، ولكن بمحض إرادتنا نحن واختيارنا لما وقع منا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾⁽²⁾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾⁽³⁾ ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾⁽⁴⁾.

ولو فرض أن الله تعالى هدى كل نفس للإيمان ما كان هناك معنى

(١) التحريم: 6

(٢) التغابن: 2

(٣) الإنسان: 2

(٤) الكهف: 29

لاستحقاق الجنة حيث لا يكون عمل من هذه النفس بل هو عمل الله تعالى وما كان هناك معنى لإرسال الرسل لهداية الناس إلى الخير، فنظام الحياة الدنيا لا يصلح له إلا من يتأتى منه أن يقول: نعم وأن يقول: لا، وذلك هو الإنس والجن بما منحوا من عقل وحرية واختيار، وبما جاءهم من وحي يرشد إلى الصواب.

السؤال رقم: (93) هل الإيمان كسبي، وللإنسان دخل فيه أم وهبي ولا دخل للإنسان فيه؟

الجواب: الإيمان هو التصديق بالقلب بما جاء به النبي ، وهذا التصديق أو الاعتقاد إن صدق دفع الإنسان إلى العمل واستقام سلوكه، وكل عمل بدون إيمان لا قيمة له عند الله تعالى، كعمل المنافقين الذين: ﴿يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾⁽¹⁾ ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽²⁾.

والإيمان المجرد من العمل إيمان ناقص، كجذر الشجرة التي ليس لها فروع ولا ثمار، أما الإيمان الذي يتبعه عمل فهو إيمان كامل مع التفاوت في الكمال، كالشجرة المورقة المثمرة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢) الَّذِينَ

(١) الفتح: 11

(٢) النساء: 142

يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾.

والإسلام يحب من المؤمن أن يكون إيمانه كاملاً بالطاعات ليسعد في دنياه وأخراه ولا يحب منه أن يكون ناقص الإيمان لتعرضه لعقاب الله تعالى على المعاصي إن لم يتب عليه ويغفر له .

والهداية إلى الإيمان التصديقي والإيمان العملي القائم عليه هي توفيق من الله سبحانه وتعالى ، لكن لكل شيء سبب ، فعلى الإنسان أن يسعى إليه ويجتهد في تحصيله ، والله تعالى يهديه إلى ما يريد ، أما بدون سعي ورغبة فلا يستحق من الله تعالى هداية ، فإذا قال الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) فالمعنى أن التوفيق للإيمان والطاعة لا يملكه إلا الله تعالى ، يعطيه لمن سلك السبيل إليه ، والرسول ﷺ لا يعطي هذا التوفيق ، فما عليه إلا الدلالة عليه ، وهي المرادة بالهدى إذا نسب إليه في مثل قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٣) والله تعالى يهدي الناس السبيل ببيان طريق الخير وطريق الشر ، ومن أخذ الأسباب لسلوك طريق الخير هداه الله تعالى أي وفقه ، ومن أخذ الأسباب لسلوك طريق الشر أضله الله تعالى ، كما

(١) الأنفال: 2-4

(٢) القصص: 56

(٣) الرعد: 7

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

فالإيمان كسبي ووهبي، كسبي بسلوك السبيل إليه، ووهبي بتوفيق الله تعالى له، إن صدقت نيته، وقانون الحياة قائم على الأسباب والمسببات، تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) ﴿قُلْ يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٣).

السؤال رقم: (94) هل صحيح أن أعمال الناس ترفع إلى السماء يوم الاثنين والخميس؟

الجواب: روى أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس. فقيل له: -أي سئل عن الباعث على صومها- فقال: (إن الأعمال تعرض على الله كل اثنين وخميس، فيغفر لكل مسلم أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين فيقول: أخرهما) أما الرفع للأعمال ففي كل يوم مرتين لحديث: (يرفع عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل) كما أخرجه أبو عوانة في مسنده من حديث أبي موسى رضي الله عنه 146/1.

وروى الترمذي حديثاً قال: إنه حسن، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْأِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» وفي هذا

(١) البقرة: 26

(٢) التكويد: 29

(٣) يونس: 108

دليل على ندب الصوم في هذين اليومين ، وكان ﷺ يصومهما ، كما جاء التصريح بذلك في رواية ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وعرض الملائكة أعمال العباد على الله في هذين اليومين أمر تنظيمي وضعه الله سبحانه لحكمة يعلمها هو ، وإن كان هو يعلم كل ما في الكون دون حاجة إلى كتابة الملائكة ورفع ذلك إليه سبحانه ، وهناك حديث رواه النسائي يدل على أن الأعمال ترفع في شهر شعبان ومما ورد في ذلك « أن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال للنبي ﷺ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنْ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ؟ قَالَ : « ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأَحَبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » .

فما هي الصلة بين رفع الأعمال في شعبان ورفعها في كل أسبوع مرتين في يومي الاثنين والخميس ؟ إن رفع الأعمال مرتين كل أسبوع ربما لا يقصد به إخبار الله بها فهو كما قلت غني عن هذه الوسائل ولعل القصد منه حث العباد على الطاعة وتحذيرهم من المعصية ، فالمتابعة مستمرة حاضرة غير غائبة ، وقد يوضح ذلك عمل امتحانات للمتعلمين في أثناء السنة الدراسية ، حتى لا يتكاسلوا عن المذاكرة إلى أن يقرب امتحان آخر العام فهناك يكون الجهد والتعب ، لأن نتيجته هي المهمة .

وعلى هذا الضوء يمكن فهم المقصود من عرض الأعمال في الأسبوع مرتين ، تمهيداً للعرض العام في كل سنة في شهر شعبان ، ثم العرض الأكبر يوم القيامة ليقراً كل إنسان ما كتب عليه ، ويعرف النتيجة النهائية للنشاط الذي باشره طول حياته في الدنيا .

قال الزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية، عن الصيام في شهر شعبان ورفع الأعمال: أشار إلى أن هذا الرفع هو رفع خاص ولم يوضح الخصوصية التي فيه، فلنترك الأمر لله تعالى ولنقبل على الطاعة ولنبادر بالتوبة من المعصية، حتى تبيض وجوهنا يوم العرض على الله سبحانه وتعالى.

السؤال رقم: (95) ما معنى قوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾⁽¹⁾
وهل كان العرض تخييراً أو إلزاماً وكيف كان الإنسان ظلوماً جهولاً؟

الجواب: في تفسير الأمانة في هذه الآية أقوال كثيرة، وأرجح منها أنها هي التكاليف الإلهية التي لا تؤدي إلا عن إيمان بالله تعالى، الذي أمر بها ويجازي عليها ثواباً وعقاباً، ويقرب من هذا أنها هي الإيمان الذي يدفع إلى أداء التكاليف الإلهية. ولعل مما يؤيد هذا القول حديث حذيفة بن اليمان رضي عنه، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر... حدثنا «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، ثُمَّ حَدَّثْنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ»⁽²⁾ وكما يؤيده حديث «الصَّلَاةُ أَمَانَةٌ وَالْوُضُوءُ أَمَانَةٌ وَالْوِزْنُ أَمَانَةٌ»⁽³⁾.

(١) الأحزاب (72)

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد والبيهقي موقوفاً على ابن مسعود.

وعرض الله تعالى الأمانة على السماوات والأرض والجبال: إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيماً لدين الله ﷻ ألا يقوموا به، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، قال النحاس: وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير.

ولعل إباء السماوات والأرض والجبال للأمانة أساسه - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما - خشية التقصير فيها، لأنها مفطورة على الطاعة، راضية بما هيئت له من رسالة في الحياة ويوضحه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾⁽¹⁾، وهذا يلتقي مع الرأي القائل بأن العرض معناه مقايسة التكاليف بجهد السماوات والأرض والجبال وطبيعتها، فلم يكن هناك تناسب، أما الإنسان ففي طبيعته تناسب لحمل الأمانة مع ما يلزمها من ثواب على الطاعة وعتاب على المعصية.

وقد قبل الإنسان هذه الأمانة دون أن تعرض عليه، فلم يصرح القرآن بذلك كما قاله بعض المفسرين، ولعل مبادرته للقبول كانت تفاعلاً بالتوفيق لأدائها وأملاً في عدم التقصير فيها، ولأن طبيعته التي خلقه الله عليها تتناسب مع قبول هذه التكاليف.

ثم قال العلماء: إن عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال كان عرض تخيير أما عرضها على الإنسان فكان عرض إلزام، وعبرت الآية عن الإنسان الذي حمل الأمانة بأنه ظلوم جهول، لأنه كان ظلوماً لنفسه بالتقصير والتفريط الذي آل إليه أمر الكثيرين، وكان ظلوماً لأنه تخلى عن التكريم

(١) فصلت: 11

الإلهي لابن آدم الذي قوامه ودعائمه العمل بالمنهج الرباني ، وجهول حين خاطر بحمل الأمانة ولم يدر ما سيكون عليه مستقبل حاله من التقصير الذي يعرض له كل إنسان بدافع من الغرائز التي فطر عليها .

السؤال رقم (96) كيف تكفر الفتاة عن ذنوب تتعلق بجوانب أخلاقية ارتكبتها قبل زواجها، وهل لها أن تصارح من تقدم لخطبتها بتلك الذنوب أم ماذا تفعل؟

الجواب: التوبة من المعصية واجبة لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: 31) وهي تكفر الذنوب إذا كانت نصوحا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التحريم: 8).

والتوبة النصوح تقوم على الإقلاع عن المعصية والندم على العصيان والعزم الأكيد على عدم العود إليه، مع رد الحقوق إلى أصحابها أو تنازلهم عنها، والذنب مهما كبر فالتوبة إن شاء الله تعالى تغفره ما عدا الشرك كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48] وينبغي ألا يدخل اليأس قلب العاصي ويظن أن الله تعالى لا يغفر له، فهو القائل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ

وإذا لم تشتهر الفتاة العاصية بانحرافها ولم يعلم به إلا هي أو خاصة أهلها فلا حاجة إلى إخبار من يتقدم لخطبتها بماضيها، وقد نهى عمر رضي الله عنه رجلاً أن يفضح بنته بما حدث منها عندما أراد أن يزوجها، وذلك في الانحراف الذي لا غش فيه، فإن كان انحرافاً ضاعت به بكراتها وقامت بعملية ترقيع أو إبدال فهو غش سينكشف أمره، وهنا يكون للخاطب الخيار بعد العقد في إتمام الزواج أو فسخ العقد، كما في قول عند الحنابلة، وجاء في فتاوى الأزهر (498/9): ولو تزوج المرأة على أنها بكر فبانت ثيباً فالنكاح صحيح، وهو بالخيار إن شاء أمسك وإن شاء طلق، مع العلم بأن كتمانها ذلك حرام، لأنه غش والغش حرام.

وجاء في فتاوى الشبكة الإسلامية (1630/8): (اشترط الزوج بكراتها فبانت ثيباً فالنكاح صحيح، وللزوج الخيار عند الشافعية مطلقاً وإن كان زوال البكارة بوثة أو خلقت بلا بكارة، وأما المالكية فقالوا: كما في "بلغة السالك": من تزوج امرأة يظنها بكرًا فوجدها ثيباً فإن لم يكن شرط فلا رد مطلقاً، علم الولي بثيوبتها أم لا، وإن شرط العذارة فله الرد مطلقاً، أو البكارة وكان زوالها بنكاح، وإن شرط البكارة وكان زوالها بوثة أو زنا، فإن علم الولي وكنتم على الزوج كان له الرد، وإن لم يعلم الولي ففيه تردد، قال الدسوقي: في حاشيته مبيناً لقول خليل وفي بكر تردد: محله ما لم يجر عرف بمساواة البكر للعذراء، كما هو عندنا بمصر، وما لم يعلم وليها بثيوبتها عند

شرط الزوج أو وكيله، وإلا فله الرد قطعاً.

وهذا كله إذا لم يعلم الزوج بحال الزوجة، أما لو علم فليس له الرد،
وأما إن لم يشترط الزوج بكارتها فالنكاح صحيح وليس له الرد).

ولو سألتها الخاطب عن ماضيها أو عيوبها، فلا بد أن تخبره بها، ولعله
إن عرف صدقها في التوبة أنس إلى صراحتها وتزوجها.

وأحذر ثم أحذر من يساعدون على تغطية الانحراف في الشرف بالعمليات
المعروفة وبخاصة إذا لم يكن هناك عذر لمن حدث لها ذلك، أحذرهم من
القيام بهذه العمليات مهما كان الإغراء المادي، ففي ذلك تشجيع على
الانحراف بضياع أعز ما يحرص عليه كل إنسان كريم.

السؤال رقم (97) ما حكم أطفال المشركين الذين يموتون قبل البلوغ،

هل سيكونون في النار؟

الجواب: إن أحوال الآخرة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى،
ومن أطلعه عليه عن طريق إرسال الرسل ليخبروا الناس به، والأطفال الذين
يموتون قبل البلوغ، وهو حد التكليف يتبعون أشرف دين يدين به آبائهم
وأمهاتهم، وبهذا يكون مصير أولاد المسلمين هو الجنة، وقد جاءت بذلك
أحاديث صحيحة، منها ما رواه النسائي أن الأطفال يشفعون لأبائهم يوم القيامة،
فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة
أولاد، لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة». وقال
النبي صلى الله عليه وسلم: «يقال لهم: ادخلوا الجنة فيقولون: حتى يدخل آباؤنا، فيقال: ادخلوا

الجنة أنتم وآباؤكم». وأنهم يسرحون في الجنة لا يمنعون من بيت .

أطلقت عليهم بعض الأحاديث "الدعاميص" وعليه حمل بعض المفسرين

قول الله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۗ

وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۗ﴾ (الرد: 23)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَاتَّبَعُوا ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ لِحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ

بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ (الطور: 21)، أما أطفال المشركين فلا يلحقون بآبائهم في النار،

لأنهم لم يكلفوا حتى يعاقبوا، فهم ماتوا على الفطرة لهم الجنة إن شاء الله

تعالى، ويدل عليه حديث البخاري عن سمرة بن جندب في رؤيا رآها النبي

ﷺ حيث جاء فيها: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّؤُوسَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ

وَأَمَّا الْوَلِدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فِكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ

يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ». وأما

ما رواه الطبراني من أنهم سيكونون خدماً لأهل الجنة فهو حديث ضعيف النسبة

إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وموقوف على سلمان بسند حسن أو

صحيح، وقد قال المفسرون بذلك عند قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾

(الواقعة: 17)، وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُوهُمْ مَكْنُونٌ﴾ (الطور:

24)، والقلب يطمئن إلى دخولهم الجنة كما في حديث البخاري .

يقول النووي في شرح صحيح مسلم (55/12): إن أولاد الكفار حكمهم

في الدنيا حكم آبائهم، وأما في الآخرة ففيهم إذا ماتوا قبل البلوغ ثلاثة مذاهب:

الصحيح أنهم في الجنة، والثاني في النار، والثالث لا يجزم فيهم بشيء. انظر:
الخطيب على متن أبي شجاع (256/2).

السؤال رقم (98): توفي والدي منذ عشرين سنة في حادث، وكان
شبه مخمور، ومنذ وفاته والحزن يملأ قلبي عليه، كيف يقابل الله
بهذا الطريق، ولكن أدعو الله له بالرحمة فهل يستجيب الله دعائي
ويخفف عنه العذاب؟

الجواب: المرجو من فضل الله أن يستجيب دعاء عبده المؤمن كما وعد
بذلك في محكم كتابه بمثل قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.

وفي الأثر عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إني لا أحمل هم الإجابة،
ولكن أحمل هم الدعاء) يعني أن الله تعالى قد تكفل بالإجابة فما على العبد
إلا أن يدعو.

ولذلك ورد في حديث بإسناد ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب
دعاءً من قلب غافل لاه) أخرجه الطبراني.

أخرج الطبراني بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
(لا يقولنَّ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، وليعزم
في الدعاء فإن الله عز وجل لا مُكرهَ له). وصح عنه صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم

من حديثه أيضاً أنه قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

فبناءً على ذلك ينبغي أن تجتهد في الدعاء لوالدك، فإنه ممن ترجى له مغفرة الله، لأن غاية أمره أنه مسلم عاص ومات على ذنب.

ومن يمت ولم يتب من ذنبه فأمره مفوض لربه

وقد قال الله جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ونسأل الله لنا وله المغفرة والرحمة كما نسأله لنا ولك التوفيق والهداية. والله تعالى أعلم.

السؤال رقم (99): هل يؤاخذ المسلم بما لا يعلم؟

الجواب: إن كان المرء ممن يعذر بجهله بأن كان نشأ ببلدة بعيدة عن العلماء، أو كان حديث عهد بإسلام فإنه لا يؤاخذ بما عمله بناءً على جهله ذلك، إذا كان ذلك في حقوق الله تعالى من صلاة وصيام ونحوها، ولكن يجب عليه قضاء ما فاته منها، ولا إثم عليه في ذلك التقصير الذي كان بسبب جهله الذي يعذر به شرعاً كما تقدم.

وإذا كان في حقوق العباد فإنه يضمن ما أتلفه أو فرط فيه.

أما إذا كان ممن لا يعذر بجهله بأن كان في بلدة فيها علماء فقصر عن التفقه في أمر دينه، وفعل أشياء مخالفة لشرع الله تعالى، فإنه يآثم بذلك إذ الواجب عليه شرعاً أن يتفقه بما تصح به عقيدته وعبادته ومعاملته، كما قالوا:

من لم يكن يعلم ذا فليسأل من لم يجد معلماً فليرحل

وإذا لم يفعل ذلك وعبد الله عن جهل وهو قادر على التعلم فإن عبادته لا تقبل، لقول الله تعالى ﴿لِيَلُوكُمُ أَيُّكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي أخلصه وأصوبه، وخالصه أن يكون لوجه الله تعالى، وصوابه أن يكون على وفق شرعه .
ولأجل هذا لم يعتد النبي ﷺ بصلاة المسيء صلاته - خلاد بن رافع - حينما لم يؤدها على وفق شرع الله تعالى وقال له: ارجع فصل فإنك لم تصل .
كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
ولذلك يقول ابن رسلان:

وكلُّ من بغير علم يعملُ أعماله مردودة لا تُقبلُ
والله تعالى أعلم .

السؤال رقم (100): ما مصير المؤمن العاصي وهل سيكون مصيره الجنة؟

الجواب: روى البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله . ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر» فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر .

وفي رواية للبخاري أن الرسول ﷺ قال: «أتاني جبريل فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق» .

يؤخذ من هذا أن الإنسان ما دام مؤمناً ومات على إيمانه سيدخل الجنة، فإن كانت عليه ذنوب ومات ولم يتب منها فقد يغفر الله له إن شاء، وقد يغفر له بشفاعة من تقبل شفاعته وقد يعذبه في النار بمقدار عصيانه، وفي النهاية يخرج منها ولا يخلد فيها، أي ينتهي مصيره إلى الجنة، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 148].

وروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله. يتبغي بذلك وجه الله» أي حرم خلوده فيها.

أما الأحاديث التي تنفي الإيمان عن الزاني والسارق ومرتكبي المعاصي فيراد بها نفي الإيمان الكامل، وليس نفي الإيمان أصلاً، مثل: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» فالمعصية لا تنفي الإيمان، ولا تخرج العاصي إلى الكفر كما يقول الخوارج، اللهم إلا إذا اعتقد أن المعصية حلال، أي ارتكب الزنى مثلاً على أنه حلال غير حرام فهنا يكون كافراً، وينطبق عليه ظاهر الحديث وإطلاقه دون تقييد.

السؤال رقم: (101) السؤال إذا عاقب الله تعالى قوماً ظالمين بعقاب عام كالزلازل والسيول والأوبئة، فما ذنب الصالحين أن يعاقبهم الله تعالى أيضاً معهم؟

الجواب: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(١). ويقول النبي ﷺ: «إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ

(١) سورة الأنفال (25)

مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ»^(١).

يقول العلماء: إذا أوقع الله تعالى عقاباً في الدنيا على من يرتكبون المعاصي كان ذلك عدلاً حيث لم يظلمهم الله سبحانه وتعالى، ومن كان يعيش مع العصاة ولم يرتكب ما ارتكبه إن قصر في تغيير المنكر ورضي بما فعلوا كان عاصياً مثلهم ولم يكن شمول العقاب له ظلماً، أما إن قام بواجبه في تغيير المنكر بكل ما يمكن فإن ما يلحقه من الضرر في الدنيا لا يسمى عقوبة وسيحشره الله تعالى يوم القيامة مع الطائعين، كما يدل عليه الحديث المذكور والأحاديث الأخرى التي منها ما رواه ابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ «إِذَا أَنْزَلَ سَطْوَتَهُ بِأَهْلِ نِقْمَتِهِ وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ قُبُضُوا مَعَهُمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ»، وما رواه مسلم عن النبي ﷺ «الْعَجَبُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُؤْمِنُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ قَالَ نَعَمْ فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ يَهْلِكُونَ مَهْلِكًا وَاحِدًا وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ».

السؤال رقم: (102) ماهي أحب الأعمال وأفضلها عند الله تعالى؟

الجواب: جاءت عدة أحاديث في بيان الأحب إلى الله تعالى من الأعمال

وهذه بعضها:

أ- جاء في المسند عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ ﷻ؟ قَالَ قَائِلٌ: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ، وَقَالَ

(١) أخرجه البخاري ومسلم

قَائِلٌ: الْجِهَادُ، قَالَ: إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ ﷻ الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ.

ب- وفي مسند أبي يعلى عن قتادة عن رجل من خثعم ورجاله ثقات أن رسول الله ﷺ قال: «أحبُّ الأعمالِ إلى الله إيمانٌ بالله، ثم صلوةُ الرحم، ثم الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، وأبغضُ الأعمالِ إلى الله تعالى: الإشرأكُ بالله ثم قطيعةُ الرحم».

ج- وفي الطبراني في الكبير عن الحكم بن عمير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الأعمال إلى الله ﷻ من أطعم مسكيناً من جوع، أو دفع عنه مغرمًا، أو كشف عنه كرباً».

د- وفي الطبراني في الأوسط، عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض، إدخال السرور على المسلم».

هـ- وفي الطبراني في الكبير والأوسط، عن أم أنس رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: جَعَلَكَ اللَّهُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَنَا مَعَكَ، قَالَ: آمِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي عَمَلًا صَالِحًا أَعْمَلُهُ؟ قَالَ ﷺ: أَقِيمِي الصَّلَاةَ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْجِهَادِ، اهْجُرِي الْمَعَاصِيَ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْهَجْرَةِ، وَادْكُرِي اللَّهَ كَثِيرًا فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَلْقِيَهُ بِهِ».

و- وفي المسند والبيهقي عن أبي جعفر أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ إِيْمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَعَزْوٌ لَا غُلُوفَ فِيهِ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه حَجٌّ مَبْرُورٌ يُكْفَرُ خَطَايَا تِلْكَ السَّنَةِ.

ز- وفي شعب الإيمان عن أبي جحيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: حِفْظُ اللِّسَانِ» .

ح- وروى ابن النجار عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحب الأعمال إلى الله ثلاث مواساة الأخ في المال، وإنصاف الناس من نفسك، وذكر الله على كل حال» .

ط- وعند البخاري عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ آخِرَ كَلِمَةٍ، فَارَقْتُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، أَوْ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» .

ي- وفي الطبراني في الكبير وابن أبي الدنيا قال رسول الله ﷺ «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُورُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكَفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ -وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِيَهُ أَمْضَاهُ- مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رِضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُلُّ الْأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ» .

ك- وفي المستدرک للحاکم وقال هذا حديث صحيح قال حدثنا محمد ابن كعب القرظي، قال: شهدت عمر بن عبد العزيز، وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك وهو شاب غليظ ممتلئ الجسم، فلما استخلف أتيته بخصاصة فدخلت عليه وقد قاسى ما قاسى، فإذا هو قد تغيرت حالته عما كان، ثم ذكر الحديث: وسئل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال إلى الله

تعالى؟ فقال: «من أدخل على مؤمن سروراً إما أن أطعمه من جوع، وإما قضى عنه ديناً، وإما ينفس عنه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كرب الآخرة، ومن أنظر موسراً أو تجاوز عن معسر أظله الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله، ومن مشى مع أخيه في ناحية القرية لتثبت حاجته ثبت الله عَلَيْكَ قدمه يوم تزول الأقدام، ولأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين - وأشار بإصبعه ألا أُبَشِّرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ قالوا بلى إن شئت يا رسول الله، قال: شِرَارِكُمُ الَّذِي يَنْزِلُ وَحْدَهُ، وَيَجِلِدُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، أَفَلَا أُبَشِّرُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟ قالوا بلى إن شئت يا رسول الله، قال: مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ. قال: أَفَلَا أُبَشِّرُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟ قالوا بلى إن شئت يا رسول الله، قال: الَّذِينَ لَا يُقْبِلُونَ عَثْرَةَ، وَلَا يَقْبَلُونَ مَعْدِرَةَ، وَلَا يَغْفِرُونَ ذَنْبًا. قال: أَفَلَا أُبَشِّرُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ».

وزاد في رواية أخرى فيه: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا، وَإِنَّ شَرَفَ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةَ، وَإِنَّمَا الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ، وَلَا تُصَلُّوا خَلْفَ النَّائِمِ وَلَا الْمُتَحَدِّثِ، وَاقْتُلُوا الْحَيَّةَ وَالْعُقْرَبَ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَلَا تَسْتُرُوا الْجُدْرَ بِالشِّيَابِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَعْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ، وَمَنْعَ رِفْدَهُ، وَجَلَدَ عَبْدَهُ، قال: أَفَأُبَشِّرُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ قالوا: بلى يا رسول الله،

قَالَ: مَنْ يَبْغُضُ النَّاسَ أَوْ يَبْغُضُونَهُ، قَالَ: أَفَأَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: مَنْ لَمْ يُقِلْ عَثْرَةَ، وَلَمْ يَقْبَلْ مَعْدِرَةً، وَلَمْ يَغْفِرْ ذَنْبًا، قَالَ: أَفَأَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ، إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَامَ فِي قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَتَكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجَاهِلِ فَتَظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ، وَلَا تَظْلِمُوا، وَلَا تُكَافِرُوا ظَالِمًا بِظَلْمٍ، فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَمْرُ ثَلَاثَةٌ: أَمْرٌ بَيْنَ رُشْدِهِ فَاتَّبِعُوهُ، وَأَمْرٌ بَيْنَ غَيْهِ فَاجْتَنِبُوهُ، وَأَمْرٌ أُخْتَلَفَ فِيهِ فَكَلِّمُوهُ إِلَى عَالِمِهِ». قال الحاكم: هذا حديث صحيح.

ل- وفي الطبراني في الكبير قال رسول الله ﷺ «أفضل الأعمال إيمان بالله وُحْدَهُ ثُمَّ الْجِهَادُ ثُمَّ حَجَّةُ بَرَّةٍ تَفْضُلُ سَائِرَ الْعَمَلِ كَمَا بَيْنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا».

م- وفي المسند عن عمرو بن عبسَةَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْ يُسَلَّمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ ﷻ وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ، قَالَ: فَأَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ قَالَ وَمَا الْإِيمَانُ قَالَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ قَالَ: فَأَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْهِجْرَةُ قَالَ فَمَا الْهِجْرَةُ؟ قَالَ: تَهْجُرُ الشُّوْءَ قَالَ: فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْجِهَادُ قَالَ: وَمَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: أَنْ تُقَاتِلَ الْكُفَّارَ إِذَا لَقَيْتَهُمْ " قَالَ: فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ عَفَرَ جَوَادِهِ وَأَهْرِيقَ دَمَهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ عَمَلَانِ هُمَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا حَجَّةً مَبْرُورَةً أَوْ عُمْرَةً».

ن- وفي مسند الربيع بن حبيب: عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ كَلِمَةٌ حَتَّى يُقْتَلَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا عِنْدَ سُلْطَانِ جَائِرٍ» .

س- وفي جامع الحديث للدليمي عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أُرِيتُ حَمْرَةَ وَجَعْفَرًا وَكَانَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا طَبَقٌ فِيهِ نَبَقٌ كَالزَّبْرِجِدِ فَأَكَلَا مِنْهُ نَبَقًا ثُمَّ صَارَ عِنَبًا فَأَكَلَا مِنْهُ ثُمَّ صَارَ رُطْبًا فَأَكَلَا مِنْهُ» فقلتُ لهما: «ما وجدتمَا أفضلَ الأعمالِ؟ قالَا: قولَ لا إلهَ إلا اللهُ، قلتُ: ثم ماذا؟ قالَا: الصلاةُ عليك يا رسولَ اللهِ قلتُ: «ثم ماذا؟» قالَا: ثم حبُّ أبي بكرٍ وعمرٍ» .

ع- وعند الطبراني في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أفضلُ الأعمالِ بعد الإيمان بالله تعالى التودد للناس»

ف- وللدليمي عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أفضلُ الأعمالِ عند الله صلاةُ الصبحِ يوم الجمعة في جماعة» .

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ النَّاسَ فَذَكَرَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَا صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ كَفَّرَ اللَّهُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ فَكَيْفَ قُتِلْتُ؟ قَالَ فَرَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ، قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَكَيْفَ قُتِلْتُ؟ قَالَ فَرَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْلَ أَيْضًا، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ كَفَّرَ اللَّهُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» إِلَّا الدَّيْنَ فَإِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَارَنِي بِذَلِكَ» .

ص- وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنده فسأله فقال: «يا نبي الله أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله، قال: فأبي الرقاب أعظم أجراً؟ قال: أعلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها، قال: فإن لم أستطع؟ قال: فتعين ضائعاً أو تصنع لأخرق، قال: فإن لم أستطع ذلك؟ قال: فاحس نفسك عن الشر فإنها صدقة حسنة تصدقت بها على نفسك».

السؤال رقم: (103) ما معنى أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى؟

الجواب: «أي العمل أحب إلى الله» قال ابن حجر: وفي رواية «أي العمل أفضل» ومحصّل ما أجاب به العلماء عن هذا الحديث وغيره ممّا اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال:

أ- أنّ الجواب اختلف باختلاف أحوال السائلين، بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه.

ب- أو بما لهم فيه رغبة.

ج- أو بما هو لائق بهم.

د- أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره، فقد كان الجهاد في ابتداء الإسلام أفضل الأعمال؛ لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتّمكّن من أدائها، وقد تصافرت النصوص على أنّ الصلاة أفضل من الصدقة، ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطرّ تكون الصدقة أفضل.

هـ- أو أنّ «أفضل» ليست على بابها بل المراد بها الفضل المطلق.

و- أَوْ الْمُرَادِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَحُذِفَتْ (مِنْ) وَهِيَ مُرَادَةٌ .

قال المناوي: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» أي أكثرها ثواباً وأكثرها تتابعاً ومواظبة (وَإِنْ قَلَّ) ذلك العمل المداوم عليه لأنَّ تارك العمل بعد الشروع كالمعرض بعد الوصل والقليل الدائم خير من الكثير المنقطع والمراد المواظبة العرفية وإلا فحقيقة الدوام شمول جميع الأزمنة وهو غير مقدور .

قلت: سئل النبي ﷺ عن المفاضلة في الأعمال عدة مرات، وكان ﷺ يجيب على ذلك بما يناسب المقام، ويصلح لحال السائل ولذا فإنه تارة يقول: الصلاة في أول وقتها، وتارة يقول: الجهاد في سبيل الله. وتارة الصدقة، وذلك على حسب حال المخاطب وما يليق به .

ولا شك أن هذه أجوبة الحكمة والسداد، وفتاوى من يريد العمل والصالح العام، فإن الدين الإسلامي دين الواقع في أحكامه وأعماله .
لذا ينبغي أن تكون المفاضلة بين الأعمال، مبنية على هذا الأساس، فإن لكل إنسان عملاً يصلح له ولا ينجح إلا به، فينبغي توجيهه إليه .

كذلك الوقت يختلف، فحيناً تكون الصدقة أفضل من غيرها، كوقت المجاعات والحاجة، وتارة يكون طلب العلم الشرعي أنفع للحاجة إليه، والانصراف عنه، وكذلك وظائف اليوم والليلة، فساعة يكون الاستغفار والدعاء أولى من القراءة، وساعة أخرى تكون الصلاة، وهكذا .

وقال العيني: إن قلت: في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أي العمل أفضل قال الصلاة على وقتها ثم ذكر بر الوالدين ثم الجهاد، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما

«أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه: «أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: سألت رسول الله: «أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ، قُلْتُ فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَغْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا». الحديث ولم يذكر فيه الحج وكلها في الصحيح قلت: قد ذكر الإمام الحلبي الشافعي عن القفال الكبير الشافعي الشاشي في كيفية الجمع وجهين: أحدهما أنه جرى على اختلاف الأحوال والأشخاص كما أورد السيوطي في الديباج على شرح مسلم أنه رضي الله عنه قال: «حجة لمن لم يحج أفضل من أربعين غزوة، وغزوة لمن حج أفضل من أربعين حجة». والآخر أن لفظة "مَنْ" مرادة والمراد من أفضل الأعمال كذا، كما يقال: فلان أعقل الناس أي من أعقلهم ومنه ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» ومعلوم أنه لا يصير بذلك خير الناس.

قلت: وبالجواب الأول أجاب القاضي عياض، فقال: أعلم كل قوم بما لهم إليه حاجة وترك ما لم تدعهم إليه حاجة، أو ترك ما تقدم علم السائل إليه أو علمه بما لم يكمله من دعائم الإسلام ولا بلغه عمله، وقد يكون للمتأهل للجهاد الجهاد في حقه أولى من الصلاة وغيرها، وقد يكون له أبوان لو تركهما لضاعا فيكون برهما أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ».

وقد يكون الجهاد أفضل من سائر الأعمال عند استيلاء الكفار على

بلاد المسلمين .

قلت: الحاصل أن اختلاف الأجوبة في هذه الأحاديث لاختلاف الأحوال ، ولهذا سقط ذكر الصلاة والزكاة والصيام في هذا الحديث المذكور في هذا الباب ، ولا شك أن الثلاث مقدمات على الحج والجهاد ، ويقال: إنه قد يقال خير الأثنياء كذا ولا يراد أنه خير من جميع الوجوه في جميع الأحوال والأشخاص ، بل في حال دون حال .

فإن قيل: كيف قدم الجهاد على الحج ، مع أن الحج من أركان الإسلام والجهاد فرض كفاية؟

يقال: إنما قدمه للاحتياج إليه أول الإسلام ومحاربة الأعداء .

ويقال: إن الجهاد قد يتعين كسائر فروض الكفاية وإذا لم يتعين لم يقع إلا فرض كفاية ، وأما الحج فالواجب منه حجة واحدة وما زاد نفل ، فإن قابلت واجب الحج بمتعين الجهاد كان الجهاد أفضل لهذا الحديث ، ولأنه شارك الحج في الفرضية وزاد بكونه نفعاً متعدياً إلى سائر الأمة وبه ذباً عن بيضة الإسلام .

فإن قلت: ورد أن إطعام الطعام خير أعمال الإسلام ، وورد أن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومه ، وغير ذلك فما وجه التوفيق بينهما؟

قلت: أجاب النبي لكل من سأل بما يوافق غرضه ، أو بما يليق به ، أو بحسب الوقت ، فإن الجهاد كان في ابتداء الإسلام أفضل الأعمال ، لأنه كان كالوسيلة إلى القيام بها والتمكن من أدائها ، أو بحسب الحال فإن النصوص

تعاضدت على فضل الصلاة على الصدقة ، وربما تجدد حال يقتضي مواساة مضطر فتكون الصدقة حينئذ أفضل .

ويقال: إن أفعل في أفضل الأعمال ليس على بابه بل المراد به الفضل المطلق ويقال التقدير أن من أفضل الأعمال فحذفت كلمة (من) وهي مرادة .

السؤال رقم: (104) هل يؤاخذ الله سبحانه وتعالى الأبناء بذنوب فعلها الآباء؟

الجواب: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَزِرُّ وَزَرَ أُخْرَى﴾ (الإسراء: 15)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: 38)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: 21)، هذه الآيات وأمثالها التي تدل على أن الله لا يظلم أحداً فيعاقبه بما جناه غيره، ومتفق على أنها في يوم القيامة عند الحساب والجزاء، لكن في عقاب الدنيا قد يؤخذ البريء بسبب معصية غيره عندما يجيء عقاب عام كالخسف والزلازل بسبب شيوع المعاصي، كما في حديث البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَغْرُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَأَخْرِهِمْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَأَخْرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ قَالَ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَأَخْرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَاتِهِمْ» ومنه ما جاء في بعض الأدعية، (لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا) فالأبناء وغيرهم يؤخذون بذنوب آبائهم ومجرميهم إذا كثر الفساد، وذلك في عقاب الدنيا، وسيعوض الله الأبرياء

خيراً في الآخرة، والآباء إذا كانوا مجرمين سرت العدوى إلى أولادهم بالتقليد والمحاكاة، وكرههم الناس لكرهتهم لآبائهم، فشؤم معصية آباءهم يلحقهم في معاملات الدنيا طوعاً أو كرهاً، أما الأعمال، فكل واحد مسؤول عن عمله يوم القيامة أمام الله تعالى، وعلى ضوء هذا الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم في تفسيره قال: أخبرني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهباً، يقول: «إن في الألواح التي كتب الله عز وجل لموسى التي قال الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفٰنْسِقِينَ ﴾ (الأعراف: 145)، قال له: يا موسى اعبدني ولا تشرك معي شيئاً من أهل السماء، ولا من أهل الأرض فإنهم خلقي كلهم، فإذا أشرك بي غضبت وإذا غضبت لعنت، وإن لعنتي تدرك الرابع من الولد، وإني إذا أطعت رضيت، فإذا رضيت باركت والبركة مني تدرك الأمة بعد الأمة يا موسى لا تحلف باسمي كاذباً، فإني لا أزكي من حلف باسمي كاذباً، يا موسى وقرّ والديك، فإنه من وقر والديه مددت له في عمره، ووهبت له ولداً يبره، ومن عق والديه قصرت له من عمره، ووهبت له ولداً يعقه يا موسى، احفظ السبت، فإنه آخر يوم فرغت فيه من خلقي، يا موسى لا تزني ولا تسرق، يا موسى لا تولّ وجهك، عن عدوي، يا موسى ولا تزني بامرأة جارك الذي يأمنك يا موسى لا تغلب جارك على ماله ولا تخلفه على امرأته».

وعلى شاكلة هذا لو اختار الرجل زوجة صالحة كان هناك أمل في صلاح

الأولاد، وبالعكس لو اختار الرجل زوجة غير سالحة نشأ الأولاد وقد نزعهم عرق من الأم، ومن هنا كانت الوصية من النبي ﷺ كما ورد في سنن ابن ماجه (تزوجوا في الحُجْز الصالح، فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ)، وقال أبو الأسود الدؤلي لأولاده: قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا، حيث اخترت لكم أما لا تسبون بها، فجنابة الآباء تصيب الأبناء في مثل هذه الأمور الدنيوية.

فصل في المعتقدات والأفكار

السؤال رقم: (105) ما الفرق بين التوكل والتواكل؟

الجواب: حقيقة التوكل من الصعب تعريفها كما تُعرّف الأمور الأخرى بماهياتها، وإنما يعرف التوكل بآثاره، وقد قال الإمام الغزالي: إنه غامض من حيث العلم، ثم هو شاهد من حيث العمل، ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد، والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسباب تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل، وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق مع مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية الغموض والعسر، ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء إلا سمسرة العلماء.

وقد أطل الغزالي في توضيح ذلك، ولكن بعبارة بسيطة يمكن أن أقول: إن التوكل هو الإيمان بأن الله سبحانه هو الواحد المتفرد بالخلق، ومنه كل النعم، وإليه المرجع والمصير، مع إظهار مساحة هذا الإيمان على السلوك في القول والعمل، وامثال أمر الله والسير على منهجه الذي أوحى به إلى الرسل.

ولو طبقنا هذا المعنى في طلب الرزق مثلاً فلا بد في التوكل من الإيمان بأن السعي والجد في العمل وحده لا يمكن أن يوصل إلى النتيجة إلا بإرادة الله سبحانه، فقد يكون هناك سعي وجد وعمل ولا يكون من وراء ذلك تحقيق ما يريده الإنسان، فلا بد من الأمرين:

الأخذ في الأسباب ثم تفويض الأمر إلى الله سبحانه، وانفراد واحد منهما عن الآخر خطأ، فالأخذ بالأسباب دون التفويض لله تعالى يناقض الإيمان، وربما لا يوصل إلى المطلوب، والتفويض لله تعالى فقط دون الأخذ بالأسباب تعطيل لقانون الله تعالى وعدم امتثال لأمره بالسعي والعمل، وهذا ما يعرف بالتواكل.

وعلى ضوء ذلك من يقتصر على الإيمان بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾⁽¹⁾ دون تنفيذ لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾⁽²⁾، يكون مخطئاً ويطلق عليه اسم المتواكل، يوضح ذلك ما روي عن عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه أنه قال «يا رسول الله أرسل راحلتي وأتوكل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعقلها وتوكل»⁽³⁾.

وقد يوضح هذا أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»⁽⁴⁾ فالطير تبارح الأعشاش لتطلب رزقها ولا تنتظر وتفتح أفواهها لينزل لها الرزق من السماء وهي راقدة في الأعشاش.

يقول أبو الفتوح الرازي الواعظ المفسر الفارسي المولود بالري في أواخر

(١) هود: 6

(٢) الملك: 15

(٣) رواه ابن خزيمة والطبراني بإسناد جيد.

(٤) رواه ابن ماجه والحاكم وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

القرن الخامس الهجري:

توكل على الرحمن في كل حاجة ولا تترك الجد في شدة الطلب
لم تر أن الله قال لمريم وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزة جنته ولكن كل شيء له سبب

السؤال رقم: (106) إنسان توكل على الله تعالى في أمر ما ولم يأخذ بما يكفي من الأسباب لكنه دعا الله تعالى بكل ما يعرف من أدعية مستجابة ليقضي الله تعالى له أمره، لكن الله تعالى لم يوفقه في ذلك على الرغم من دعائه فلماذا؟

الجواب: التوكل على الله لا يفيد إلا بعد اتخاذ الأسباب، وبدون ذلك يكون توكلاً وهو مذموم، ويشير إليه قول عمر رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضةً.

والذي لا يتخذ الأسباب لا يقبل دعاؤه، والرسول صلى الله عليه وسلم نفسه نبه بعض الصحابة إلى ذلك حيث طلب واحد منهم مرافقته في الجنة، كما جاء في صحيح مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاتَيْتُهُ بِوُضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: «أَوْغَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

مع العلم بأن الدعاء لا يقبل إلا بشروط، منها طاعة الداعي لله تعالى وعدم عصيانه، والتعفف عن أكل الحرام، وكون الدعاء بخشوع وحضور الذهن والقلب، على نسق ما جاء في قبول الله تعالى دعاء أيوب وذو النون وزكريا

عليهم الصلاة والسلام، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾⁽¹⁾ وعدم الاستعجال
حيث يقول: دعوت فلم يستجب لي .

وعلى فرض أن الداعي فيه هذه المواصفات، فإن الاستجابة تكون
بصور مختلفة: إعطاء الداعي ما سأل، أو صرف سوء عنه يكون أحسن من
نيل المطلوب، أو ادخار الإجابة إلى الآخرة فهي أفضل من الدنيا، والله يختار
ما هو خير للداعي المؤمن المطيع الخاشع، فقد يكون منع الإجابة أفضل،
قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾
(الشورى: 27) وفي المأثور عند الطبراني: «إن من عبادي من لا يصلحه إلا
الفقر» .

وقد يكون عدم الاستجابة امتحاناً لإيمان الإنسان، هل يرضى بقضاء
الله تعالى ويصبر على البلاء الذي يشكو منه، أو يجزع ويعترض، قال تعالى:
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
الضَّالِّينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾⁽²⁾ .

السؤال رقم: (107) هل يجوز أخذ الفأل من المصحف؟

(١) الأنبياء: 90

(٢) البقرة: 155 - 157

الجواب: الفأل - كما يقول الماوردي في كتابه "أدب الدنيا والدين" - فيه تقوية للعزم وباعث على الخير، ومعونة على الظفر، وقد جاء في السنن والآثار أن النبي ﷺ كان يحب الفأل الحسن، ويسأل عن اسم الرجل والبلد، فإن كان حسناً استبشر وفرح، وإلا رؤيت الكراهة في وجهه، وحوادثه في ذلك كثيرة، فقد تفاعل عندما جاءه سهيل بن عمرو في الحديبية وقال "سهل لكم من أمركم" وتفاعل يوم خيبر لما رأى مكاتلهم في مساحيهم، وإذا كان النبي ﷺ يرتاح للاسم الحسن فليس معنى ذلك أنه يربط هذا السبب بنتيجة محققة دون تدخل لإرادة الله سبحانه وتعالى، فقد نهى عن ذلك فيما كان عليه العرب من التطير والرقى والتمائم والعدوى وغيرها ولهذا روي عنه أن الذي يتطير أو يتشأم يُسَنُّ له أن يقول: «اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ثُمَّ يَذْهَبُ لِحَاجَتِهِ فَلَنْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ».

وذلك تذكير للإنسان بوحدانية الله سبحانه وتعالى، وأنه هو وحده الذي يملك الخير والشر، ولا تأثير لهذه الأمور بذاتها، ومن هنا حرّم الإسلام محاولة معرفة المستقبل عن طريق الكهانة والعرافة والتنجيم وضرب الرمل والورق وغيرها، ووردت في ذلك أحاديث كثيرة.

وقال العلماء: لا يجوز أخذ الفأل من المصحف مع هذا الاعتقاد، وجاء في كتاب "أدب الدنيا والدين" للماوردي أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاعل يوماً في المصحف، فخرج قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ

جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١﴾.

فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعدني بجبار عنيد فهذا أنذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل: يا رب مزقني الوليد
فلم يلبث أياماً حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره ثم على سور
بلده.

هذا، وقد يحدث أن بعض الناس يعملون استخارة بالمصحف، بأن يربطوه على مسمار، ثم يحمله المسمار على إحدى الأصابع، ويقولوا كلاماً فيتحرك المصحف ويدور يميناً أو يساراً، ومن هنا يعرفون إن كان الموضوع الذي عملت له الاستخارة خيراً أو شراً.

وهذا كله لم يأت خبر صحيح بجوازه، والاستخارة الشرعية معروفة وهي صلاة ركعتين، ثم الدعاء بعدهما بالدعاء المعروف الوارد، أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَأَقْدِرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ

(١) إبراهيم: 51

لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي». قَالَ وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ

السؤال رقم: (108) ما حكم التشاؤم في الإسلام؟

الجواب: كان التطير والتشاؤم في الجاهلية سائداً وبقوة، فجاء الإسلام وهدم ذلك فقد قال ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ» ومنه قوله ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ الصَّالِحُ» وفيه أيضاً قوله ﷺ: «مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ رَدَّهُ عَنْ سَفَرٍ تَطَيَّرَ فَلَيْسَ مِنَّا» ونحو ذلك من الأحاديث.

وذلك إذا اعتقد أن شيئاً مما تشاءم منه من عدد أو وقت أو طير أو غيره موجب لما ظنه ولم يصف التدبير إلى الله سبحانه وتعالى، فأما إذا علم أن الله تعالى هو المدبر ولكنه أشفق من الشر، لأن التجارب قضت بأن يوماً من الأيام أو وقتاً من الأوقات يرد فيه مكروه، فإن وطن نفسه على ذلك أساء، وإن سأل الله تعالى الخير واستعاذ به من الشر ومضى متوكلاً ولم يتشاءم لم يضره ما وجد في نفسه من ذلك وإلا فيؤاخذ به، لأن التشاؤم سوء ظن بالله سبحانه وتعالى بغير سبب محقق وربما وقع به ذلك المكروه الذي اعتقده بعينه عقوبة له على اعتقاده الفاسد، وَيَجُوزُ لِلْقَائِلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِثْلَ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ بِأَنْ يُمَطَّرُوا بِالرِّيْحِ الْغَرْبِيَّةِ، وَفِي بِلَادِ بِالرِّيْحِ الشَّرْقِيَّةِ، فَيَسْتَبْشِرُ مُنْتَظِرُ الْمَطَرِ إِذَا رَأَى الرِّيْحَ الَّتِي جَرَتْ عَادَةُ ذَلِكَ الْبَلَدِ أَنْ يُمَطَّرُوا بِهَا، مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّ الرِّيْحَ لَا تَأْثِيرَ لَهَا فِي ذَلِكَ، وَلَا فِعْلَ، وَلَا سَبَبَ، وَإِنَّمَا اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُنَزِّلُ لِلْعَيْثِ، وَقَدْ أَجْرَى الْعَادَاتِ

بِإِنزَالِهِ عِنْدَ أَحْوَالٍ يُرِيهَا عِبَادَهُ وَلَوْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِنُزُولِ الْمَطَرِ عِنْدَ نَوْءٍ مِنْ
الْأَنْوَاءِ فَاسْتَبَشَرَ أَحَدٌ لِنُزُولِهِ عِنْدَ ذَلِكَ النَّوءِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةٌ بِهِ،
وَأَنَّ ذَلِكَ النَّوءَ لَا تَأْثِيرَ لَهُ فِي نُزُولِ الْمَطَرِ، وَلَا هُوَ فَاعِلٌ لَهُ، وَلَا أَثَرٌ لَهُ فِيهِ،
وَأَنَّ الْمُنْفَرِدَ بِإِنزَالِهِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، لَمَا كَفَرَ بِذَلِكَ بَلْ يَعْتَقِدُ الْحَقَّ.

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَإِنَّمَا كَانَ يُعْجِبُهُ الْقَوْلُ لِأَنَّ التَّشَاوُمَ سُوءٌ ظَنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى
بِغَيْرِ سَبَبٍ مُحَقَّقٍ، وَالتَّقَاوُلُ حُسْنٌ ظَنَّ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ
تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَقَالَ الطَّيْبِيُّ: مَعْنَى التَّرْخُصِ فِي الْقَوْلِ وَالْمَنْعِ مِنَ الطَّيْرَةِ
هُوَ أَنَّ الشَّخْصَ لَوْ رَأَى شَيْئًا فَظَنَّهُ حَسَنًا مُحَرِّضًا عَلَى طَلَبِ حَاجَتِهِ فَلْيَفْعَلْ
ذَلِكَ. وَإِنْ رَأَهُ بِضِدِّ ذَلِكَ فَلَا يَقْبَلُهُ بَلْ يَمْضِي لِسَبِيلِهِ. فَلَوْ قَبَلَ وَانْتَهَى عَنِ
الْمُضِيِّ فَهُوَ الطَّيْرَةُ الَّتِي اخْتَصَّتْ بِأَنَّ تُسْتَعْمَلَ فِي الشُّؤْمِ.

ولا تنافي بين ما ذكر وبين ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: «الشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالِدَارِ وَالْفَرَسِ» وفي رواية عنه أيضاً قال:
«ذَكَرُوا الشُّؤْمَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي
الِدَارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ» لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يشير بهذا إلى
تخصيص الشؤم بمن تحصل منه العداوة والفتنة، لا كما يفهم بعض الناس من
التشاؤم بهذه الأشياء، أو أن لها تأثيراً وهو ما لا يقول به أحد من العلماء،
ويؤيد هذا ما رواه الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ مِنْ شَقَاءِ الْمَرْءِ فِي
الدُّنْيَا سُوءَ الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالِدَابَّةِ» سوء الدار ضيق ساحتها وخبث جيرانها،
وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها، وسوء المرأة عقم رحمها وسوء خلقها،
ومما سبق بيانه يعلم أن التشاؤم بالأرقام والأيام وغيرها منهي عنه شرعاً، لأن

الأمر تجري بأسبابها وبقدرة الله تعالى ولا ارتباط لهذه الأشياء بخير يناله الإنسان أو شر يصيبه .

يلحق بهؤلاء من يعتمد على الأبراج التي تبثها قنوات فضائية عدة ، وفيها من كان برجه كذا فسيحصل له كذا، وسيرزق بكذا، ويلحق بهؤلاء الذين يذهبون إلى الدجالين الذين يدعون معرفة الضائع ونحوه ويُعرفون في زمننا اليوم بالضاريين بالمندل، فهذا كله نوع من الكفر والعيادُ بالله تعالى، وضرب من الباطل، جاء في رواية لأحمد والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا». والكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار، وقد كان في العرب كهنة كَشِقُّ وسُطِيحٌ وغيرهما، فمنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن يُلقِي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما.

أما ما رواه أبو داود وصححه الحاكم من طريق إسحاق بن طلحة عن أنس قال رجل: يا رسول الله إنا كنا في دارٍ كثير فيها عددنا وأموالنا فتحولنا إلى أخرى فقل فيها ذلك، فقال: «ذروها فإنها ذميمة» قال: وإنما أمرهم بالخروج منها لا اعتقادهم أن ذلك منها وليس كما ظنوا لكن الخالق جل وعلا جعل ذلك وفقا لظهور قصائده وأمرهم بالخروج منها لئلا يقع لهم بعد ذلك شيء فيستمر اعتقادهم.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَأَفَادَ وَصَفَهَا بِكَوْنِهَا ذَمِيمَةٌ جَوَازَ ذَلِكَ وَأَنَّ ذِكْرَهَا بِقَبِيحٍ مَا وَقَعَ فِيهَا سَائِعٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهَا وَلَا يَمْتَنِعُ ذَمُّ مَحَلِّ الْمَكْرُوهِ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ مِنْهُ شَرْعًا كَمَا يُذَمُّ الْعَاصِي عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ وَمَعْنَاهُ إِبْطَالُ مَذْهَبِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي التَّطْيِيرِ فَكَانَهُ قَالَ: إِنْ كَانَتْ لِأَحَدِكُمْ دَارٌ يَكْرَهُ سُكْنَهَا أَوْ امْرَأَةً يَكْرَهُ صُحْبَتَهَا أَوْ فَرَسًا يَكْرَهُ سَيْرَهُ فَلْيَفَارِقْهُ . قَالَ وَقِيلَ إِنَّ شُؤْمَ الدَّارِ ضَيْقُهَا وَسُوءُ جَوَارِهَا وَشُؤْمَ الْمَرْأَةِ أَلَّا تَلِدَ وَشُؤْمَ الْفَرَسِ أَلَّا يُعْزَى عَلَيْهِ .

السؤال رقم: (109): الشقة التي نستأجرها من سنوات حدث لنا فيها كثير من الأشياء التي تدعو للتفاؤل والبشرى والخير. كما أنه في الوقت ذاته حدثت أشياء لا تخلو من الأحزان، فهل لهذا الموضوع أصل في الشريعة؟ وما حكم الركون إلى ذلك؟

الجواب: التشاؤم ممنوع، والتفاؤل حسن، والتفاؤل بسعادة البيت أو شقائه دلت عليه أحاديث كثيرة عامة وخاصة، كحديث نافع بن عبد الحارث رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من سعادة المرء المسلم في الدنيا: الجار الصالح، والمنزل الواسع، والمركب الهنيء). كما أخرجه الحاكم في المستدرک 166/4 وصححه ووافقه الذهبي .

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا عدوى ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة). كما أخرجه البخاري رحمه الله تعالى .

وفي رواية عنده (إنما الشؤم في ثلاث في الفرس، والمرأة، والدار).

وقد قال أهل العلم: إن من شؤم الدار ضيق مرافقها وسوء جيرانها. ونحو ذلك مما يرهق سكانها. كما في فتح الباري 138/9.

وقال الإمام النووي في شرح مسلم (481/7) عند شرحه لهذا الحديث: (اختلف العلماء في هذا الحديث، فقال مالك وطائفة: هو على ظاهره وإن الدار قد يجعل الله تعالى سكانها سبباً للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى، ومعناه قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة كما صرح به في رواية «إن يكن الشؤم في شيء» ثم نقل عن الخطابي قوله: هو في معنى الاستثناء من الطيرة، أي الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكانها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم، فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة)، ثم ذكر كلاماً نفسياً ينبغي أن ينظر.

فإذا علم أن الدار مما جرت عادة الناس بالتفاؤل بها أو ضده، فإن ما تريده المرأة من الحرص على تغيير الشقة، لا ينكر إذا كان ذلك موافقاً لرغبة الزوج، ولا يكلفه ما لا يرضيه، وإلا فإن عليها أن تتبع رأي زوجها فيما يريده، ولا تفرض عليه رأياً لا يريده.

أما سؤالها عن حكم الركون إلى ذلك؟ فنقول: لا ينبغي الركون إلى ذلك، لأن السعادة والشقاء إنما هي بقضاء الله وقدره، وليس للبيت ولا غيره فعل ولا تأثير، إلا أنها - أي الدار - لما كانت أعمّ الأشياء التي يقتنيها الإنسان،

وكان في الغالب لا يستغني عنها، أضيف اليمن والشؤم إليها إضافة مكان، وهما صادران عن مشيئة الله تعالى، كما أفاد ذلك العلامة الخطابي. والله تعالى أعلم.

السؤال رقم (110): أنا فتاة تلازمني بعض الشكوك والوساوس الشيطانية (وساوس قهرية) أثناء حياتي اليومية، مع أنني أتعوذ بالله من الشيطان اللعين مرات عديدة وأخاف الله كثيراً وأداوم على صلواتي وفروصي وسنني إلا أن تلك الوساوس الإبليسية بأنواعها المختلفة والتي تمس الجانب الرياني تلازمني فلا أدري هل أكون مذنبة في ذلك وهل أحاسب عليها وما كفارة ذلك؟

الجواب: على المرء ألا يعبأ بالوسوسة التي ترد إليه إذا كان طائعاً لله تعالى يؤدي واجباته ويقف عند حدوده، لأن ذلك من لعب الشيطان به. وقد أرشد النبي ﷺ المرء المسلم إذا هو أصيب بذلك أن يستعذ بالله تعالى وليكف عن الوسوسة كما أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من ابتلي بالوسوسة فليستعذ بالله ولينته) أو ليقل: (آمنت بالله ورسله). وفي حديث آخر عنه رضي الله عنه عند أبي داود والنسائي: (فقولوا: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق

ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته).

فدلت هذه الأحاديث على أن الإنسان إذا بلغت به الوسوسة الشيطانية إلى هذا الحد يجب عليه أن ينتهي عن ذلك ويترك ما هو فيه ويشغل بغيره مما يلهيه ويصرفه عنه. ويقول: آمنت بالله، ويتلو سورة الإخلاص ويتفل ثلاثاً عن يساره دفعاً للشيطان الذي قد أتى بهذه الوسوسة ويستعيز بالله منه ومن فتنته، وبذلك ينأى بنفسه عن هذه الوسواس ويصلح حاله ومآله.

والمرء غير مؤاخذ بما يجري معه من الوسواس، ولا إثم عليه في ذلك، لأن الله تعالى رفع عن هذه الأمة ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. بل ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لمن سأله عن الوسوسة فقال: (تلك محض الإيمان) كما أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفي رواية: (ذاك صريح الإيمان).

ولكن على الإنسان أن يكف ويستعيز بالله تعالى كما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم بما علم أنفاً، ويحسن في هذه الحال أن تناقش أهل العلم والمعرفة بالله تعالى، لتأخذ منهم الإقناع العقلي على ما يجب على العبد لربه، وما ينبغي أن يكون حاله معه، وليُرشدوا العالم إلى مثل هذه الأذكار النبوية النافعة المجربة. والله تعالى أعلم.

السؤال رقم: (111) كثيراً ما تحدثني نفسي بارتكاب ذنب معين، ولكن عندما أنظر في عواقب هذا الذنب أنصرف عن التفكير فيه خوفاً من الله سبحانه وتعالى، فهل يعاقبني الله تعالى على هذا

الجواب: يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١) وبعيداً عما قال المفسرون في الآية من إحكام أو نسخ بما جاء بعدها من أن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، في الحديث الشريف عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لَأَمْتِي عَمَّا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ»^(٢)، إن للنفس عدة حركات، منها الهاجس والخاطر وحديث النفس والههم والعزم، وكل إنسان معرض لها بحكم طبيعته التي خلقه الله تعالى عليها، ولو حاسبنا عليها وآخذنا بها لكان ذلك تكليفاً بما لا يطاق، وهو سبحانه حكم عدل رؤوف رحيم، ولذلك لا يحاسب إلا على نتيجة هذه الحركات النفسية من القول أو العمل، أما ما دامت في المرحلة الداخلية فلا يكلفنا إلا بأقواها وأقربها إلى التنفيذ، وذلك يكون عند الههم والعزم، وقد جاء فيما حدث به الرسول ﷺ عن رب العزة كما رواه البخاري ومسلم «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً

(١) سورة البقرة (284).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وَاحِدَةً». وذلك هو حكم الهم بالسيئة دون عملها، لا عقاب عليها بل نص هذا الحديث على أنه يثاب بحسنة، أما العزم وهو درجة أقوى من الهم ففيه المؤاخذة، بناء على حديث البخاري ومسلم عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيِّئِيهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَيَّ قَتَلَ صَاحِبِي» والحرص هو العزم المصمم وهو كالفعل في المؤاخذة عليه.

ثم إن العلماء قالوا: العدول عن فعل المعصية التي همَّ بها له سببان: الأول عجز عن التنفيذ أو خوف من رقيب دنيوي، وهذا لا مؤاخذة فيه، فلا تكتب سيئة، بل ولا يعطى حسنة، وكفى أنه لا عقاب عليه، والسبب الثاني في العدول عن فعل المعصية هو الخوف من الله سبحانه وتعالى، وهنا لا يكتفى بعدم العقاب، بل يكافأ بثواب حسنة، فالخوف من الله تعالى عمل خير، لا يضيع أجره عند الله تعالى، ويوضح هذا ما جاء في روايات أخرى للحديث، منها ما رواه الشيخان أيضاً عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا فَإِنْ عَمَلَهَا فَكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً» وفي رواية لمسلم «وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلَهَا فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّاي» أي من أجلي.

وبمجموع هذه الروايات نقول للسائل: لا عقاب عليك في حديث النفس بارتكاب المعصية حتى لو وصل إلى درجة الهم وما دمت تركتها خوفاً من

الله تعالى فلك حسنة إن شاء الله تعالى .

السؤال رقم: (112) هل صحيح أن النبي ' قال: <فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ> وما هو الحكم فيما يراه كثير من المسلمين الآن مما يخالف الدين؟

الجواب: هذا الحديث ليس من كلام النبي ﷺ ، وإنما هو من قول عبد الله بن مسعود ، أي حديث موقوف غير مرفوع ، رواه أحمد في مسنده ، وقال العلائي عنه: لم أجده مرفوعاً في كتب الحديث أصلاً ولا بسند ضعيف بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال ، وإنما هو موقوف على ابن مسعود ، وقد حسنه أحمد بن حنبل ، كما أخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم في ترجمة ابن مسعود من الحلية ، وراجع "المقاصد الحسنة " ص 367 طبعة دار الأدب العربي .

وهذا الأثر استدل به جمهور العلماء على أن العرف حجة في التشريع ، ولكن بشرط عدم تعارضه مع النصوص الصريحة والأصول المقررة .

كالتقاليد العربية القديمة التي أبطلها الإسلام ، يقول السرخسي في كتابه "المبسوط" (45/12) إن هذا الأصل معروف ، وهو أن ما تعارفه الناس وليس في عينه نص يبطله جائز .

قال العلماء: إن العرف لا يؤخذ به إلا بشروط ، منها أن يكون مطرداً أو غالباً أي شائعاً بين الكثيرين ، مع مراعاة أن لكل جماعة عرفها ، ومنها ألا يكون مخالفاً لنص شرعي كشرب الخمر ولعب الميسر والتعامل بالربا ، ومنها

أن يكون العرف قائماً وموجوداً عند التصرف ، وليس عرفاً بالياً قديماً متروكاً ، ومنها ألا يعارضه اتفاق أو تصريح يناقضه ، كما إذا تم التعاقد بين شخصين على شيء مع سكوتهما عن العرف القائم في مثل هذه المعاملة فإن العرف يطبق ، فالمعروف عرفاً كالمشروط شرطاً ، فإذا صرح المتعاقدان بما يخالف العرف وجب الالتزام بما تعاقدوا عليه ، لأنه لا عبرة بالدلالة له في مواجهة النص الصريح .

السؤال رقم: (113) ما حكم الدين في تمني المحرمات وتخيلها، حيث يوسوس الشيطان للإنسان ويجعله يتخيل أشياء محرمة؟

الجواب: للنفس حركات منها الخاطر والهاجس وحديث النفس والهم والعزم ، وقد صح الحديث بأن «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ» .

والعزم هو الهم المصمم المقارب للتنفيذ وقد صح الحديث بالمؤاخذة عليه إذا كان في سيئة ، وورد أن النبي ﷺ قال: «إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيِّئِيهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» . والحركات النفسية التي قبل مرحلتي الهم والعزم لا مؤاخذة عليها ، لأنها تعرض لكل الناس تقريباً ، والمؤاخذة عليها تكليف بما لا يطاق ، وقد صح في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلِّمْ بِهِ» .

وبناء عليه أقول للسائل: إن تمني المحرمات وتخيّلها إن لم يصل إلى
درجة الهم والعزم فلا مؤاخذه عليه، وأضع أمامه قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ
مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١)، وعليك أن
تقطع التفكير في السوء الذي تتشوف إليه نفسك وتتمناه، فقد يجر ذلك إلى
أخذ خطوة لتنفيذه بالهم أو العزم.

(١) فصلت (36)

فصل في الإيمان والإسلام والنفاق

السؤال رقم: (114) حديث عن عبادة ~ عن النبي ' قال: <مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ وَأَوْجَبَ لَهُ الْجَنَّةَ>. فهل هذا يعني أن النار محرمة علينا جميعاً؟

الجواب: هذا الحديث صحيح وهناك أمران:

الأول: أن الدخول في الإسلام إنما يكون بالشهادتين، وإذا اقتصر في بعض الأحاديث على شهادة التوحيد، فهو إما من باب الاكتفاء أو الاختصار من بعض الرواة. وإما لأن مشركي العرب المقصودين بكلمة "الناس" في الحديث، لم يكونوا ليقروا بشهادة التوحيد إلا إذا شهدوا لمن جاء بها، ودعا إليها، وهو محمد رسول الله ﷺ .

ولهذا جاء عن بعض السلف: الإسلام كلمة. يعني: كلمة الشهادة.

وأما الصلاة والصيام وسائر شرائع الإسلام وفرائضه فإنما يطالب بها بعد أن يصبح مسلماً إذ هي لا تصح ولا تقبل إلا من مسلم. أما الكافر فلا صلاة له ولا صيام ولا حج الخ لفقدانه شرط القبول وهو الإسلام.

والثاني: ما دلت عليه الأحاديث الأخيرة التي ذكرها ابن رجب، والتي رواها إمام السنة أحمد بن حنبل من المرونة وسعة الأفق، التي كان يعالج بها النبي ﷺ الأمور، ويواجه بها المواقف. وخصوصاً مع الداخلين في الإسلام.

فقد قبل من بعضهم ما رفضه من غيرهم، فقد جاء في الطبراني في الأوسط عن بشير بن الخصاصية، قال: أتيت رسول الله ﷺ لأبأيعه،

فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن أصلي
 الخمس، وأصوم رمضان، وأحج البيت، وأؤدي الزكاة، وأجاهد في سبيل
 الله، قال: فقلت يا رسول الله، أما اثنتان فما أطيقهما: الجهاد في سبيل الله،
 فإنهم زعموا أنه من وليّ الدبر فقد باء بغضب من الله، وأخشى إن حضرت
 ذلك خشعت نفسي، وكرهت الموت، والصدقة، فما لي إلا غنيمة وعشر ذود
 هن رسل أهلي وحمولتهن، قال: فقبض رسول الله ﷺ يده فقال: «لا جهاد
 ولا صدقة، فبم تدخل الجنة إذن؟» قلت: يا رسول الله، أنا أبايعك، فبايعته
 عليهن كلهن؟!!

ولكنه قبل هذا من ثقيف، لعلمه بأنهم لن يجمدوا على هذا الموقف،
 وأنهم إذا حسن إسلامهم سيصنعون ما يصنع سائر المسلمين، ولهذا قال في
 ثقة عنهم: سيتصدقون ويجاهدون.

من مات على التوحيد استوجب الجنة:

أفاد الحديث أن من مات على التوحيد (أي على: لا إله إلا الله) استحق
 عند الله أمرين:

الأول: النجاة من الخلود في النار، وإن اقترف من المعاصي ما اقترف،
 سواء منها ما يتعلق بحقوق الله كالزنا، أو بحقوق العباد كالسرقة. وإن دخل
 بذنوبه النار فسيخرج منها لا محالة، مادام في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.

الثاني: دخول الجنة لا محالة، وإن تأخر دخوله، فلم يدخلها مع
 السابقين: بسبب عذابه في النار لمعاص لم يتب منها، ولم تكفر عنه بسبب من
 الأسباب.

والدليل على ذلك أحاديث صحاح مشهورة في الصحيحين وغيرهما من دواوين السنة منها: قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ).

وفي البخاري أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه حَدَّثَهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضٌ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ؛ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟، قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟، قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رِغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ. وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رِغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غُفِرَ لَهُ.

وفي البخاري: قَالَ أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ وَزَعَمَ مَحْمُودٌ أَنَّهُ عَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ وَعَقَلَ مَجَّةً مَجَّةً مِنْ دَلْوٍ كَانَتْ فِي دَارِهِمْ قَالَ سَمِعْتُ عَتَبَانَ بْنَ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيَّ ثُمَّ أَحَدَ بَنِي سَالِمٍ قَالَ: غَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَنْ يُؤَافِيَنَّ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ». أَي لَمْ يَقْلُهَا لِمَجْرَدِ أَنْ يَعْصَمَ بِهَا دَمَهُ وَمَالَهُ كَالْمُنَافِقِينَ فِي عَهْدِ النُّبُوَّةِ.

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه: قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ

مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ
مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً.

وفي الصحيحين أيضاً قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي حَرَّةِ
الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَنَا أَحَدٌ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا
يَسُرُّنِي أَنْ عِنْدِي مِثْلَ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا
شَيْئًا أَرْضُدُهُ لِدَيْنٍ إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ
وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ثُمَّ مَشَى فَقَالَ إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا
مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ثُمَّ
قَالَ لِي مَكَانَكَ لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى
فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدْ ارْتَفَعَ فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَرَدْتُ أَنْ
آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي: لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى آتَانِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ،
قَالَ: ذَاكَ جَبْرِيلُ آتَانِي فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ
الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ).

وفي صحيح مسلم من حديث الصنابحي عن عبادة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ:
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّهُ مَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، وَأَوْجَبَ
لَهُ الْجَنَّةَ.

وغير هذه الأحاديث كثير، ودلائلها صريحة على أن كلمة الشهادة
موجبة لدخول الجنة والنجاة من النار. والمراد بدخول الجنة: دخولها ولو في
النهاية، بعد استحقاق العذاب في النار زمناً ما. وكذلك المراد بالنجاة من النار:

النجاة من الخلود فيها. وإنما قلنا هذا، جمعاً بين هذه الأحاديث وأحاديث أخرى حرمت الجنة، وأوجبت النار على من ارتكب بعض المعاصي.. فلا يجوز أن نضرب النصوص بعضها ببعض.

قاعدة مهمة: إن الإنسان بعد أن يدخل في الإسلام بالإقرار بالشهادتين، يصبح -بمقتضى إسلامه- ملتزماً بجميع أحكام الإسلام، والالتزام يعني الإيمان بعادتها وقدسيتها، ووجوب الخضوع والتسليم لها، والعمل بموجبها. أعني الأحكام النصية الصريحة الثابتة بالكتاب والسنة.

فليس له خيار تجاهها بحيث يقبل أو يرفض، ويأخذ أو يدع، بل لابد أن ينقاد لها مسلماً راضياً محلاً لحلالها، محرماً حرامها، معتقداً بوجوب ما أوجبت، واستحباب ما أحبت.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: 36) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: 51)، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: 65).

ومن المهم أن نعرف هنا، أن من أحكام الإسلام من الواجبات والمحرمات والعقوبات وغيرها من التشريعات، ما ثبت ثبوتاً قطعياً، وأصبح من الأحكام اليقينية، التي لا يتطرق إليها ريب ولا شبهة، أنها من دين الله وشرعه، وهي التي يطلق عليها علماء الإسلام اسم "المعلوم من

الدين بالضرورة" وهي التي يعرفها العامة جميعهم ، ولا يعذر بالجهل بها أحد ، كأركان الإسلام وأركان الإيمان جملة لا تفصيلاً ، فإنكار واحد منها كفر مخرج من الملة .

السؤال رقم: (115) هَلْ صَحِيحُ أَنَّ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ مُتَغَايِرَانِ حَتَّى يَكُونَ كُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمًا وَلَا عَكْسَ أَمْ لَا؟ وأرجو بيان معنى الآية في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: 14) وَكَذَا الْآيَةُ فِي الذَّارِيَاتِ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات: 35-36)؟

الجواب: إِنَّ الْإِسْلَامَ إِعْمَالُ الْجَوَارِحِ وَلَا يُعْتَبَرُ إِلَّا مَعَ الْإِيمَانِ وَلِذَلِكَ فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا سَأَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الْإِسْلَامِ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتُحْجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» وَلَكِنْ لَا يُعْتَبَرُ وَيَقَعُ مُعْتَدًّا بِهِ إِلَّا مَعَ الْإِيمَانِ وَهُوَ التَّصَدِيقُ، وَالْإِيمَانُ: هُوَ تَصَدِيقُ الْقَلْبِ بِمَا عَلِمَ ضَرُورَةَ مَجِيءِ الرَّسُولِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِهِ وَلَا يُعْتَبَرُ إِلَّا مَعَ التَّلَفُّظِ بِالشَّهَادَتَيْنِ مِنَ الْقَادِرِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مُؤْمِنٌ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا، وَلَا مُسْلِمٌ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا وَهَذَا مُرَادُ الْجُمْهُورِ بِقَوْلِهِمْ إِنَّهُمَا مُتَرَادِفَانِ لَا الْإِتِّحَادُ فِي مَفْهُومِ الْإِسْمَيْنِ كَمَا هُوَ شَأْنُ التَّرَادُفِ لُغَةً وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا

وَحَدَّثَنَا فِيهَا غَيْرَ بَيِّنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ (الذاريات: 35-36)؛ لَأَنَّهُ يَقْتَضِي صِدْقَ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُسْلِمِ لِاتِّحَادِ مَفْهُومِهِمَا، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ فَوَارِدٌ فِي قَوْمٍ مُنَافِقِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُخْفُونَ الْكُفْرَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

السؤال رقم (116): نريد توضيح معنى القول المأثور: ليس الإيمان بالتمني. وهل هو حديث صحيح؟

الجواب: أثير عن الحسن البصري أنه قال: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وإن قوماً خرجوا من الدنيا ولا عمل لهم وقالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

إن هذا الأثر ليس حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ كما قال المحققون، وإنما هو من كلام الحسن البصري، ومعناه صحيح، وهو أن الإيمان الذي يكرم الله به المؤمن وينجيه من النار ليس مجرد كلمة يقولها بلسانه دون عمل، وليس أمنية يتمناها تُرفع بها درجته عند ربه، فما أهون الكلام المجرد عن عمل يصدقه! وما أكثر الأمانى عند المفلسين من كنز العمل الصالح! وهذا يلتقي مع الحديث: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» رواه الطبراني وأحمد والترمذي وقال: حسن. «الجامع الصغير للسيوطي».

لو أحسن هؤلاء الظن بالله لاستعدوا للقاءه بالعمل الصالح الذي أمرهم

به ، فهو القائل: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّرِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: 105] ، وقد حدث أن بعض أهل الكتاب تناقشوا مع بعض المؤمنين ، كلٌّ يدَّعي أن الفضل له دون الآخر ، فنزل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَىٰ بِهِ ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنِ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: 123 ، 124] .

فالمدار كله على العمل المبني على الإيمان وحسن الظن بالله ، ولا يغترَّ أحد بما يقول بعض الشعراء:

قدمتُ على الكريم بغير زادٍ سوى الإخلاص والقلب السليمِ
فحملُ الزاد أقبح ما يكونُ إذا كان القُدومُ على كريمِ

فالإفراط في الرجاء الذي ينفي الخوف يسلم إلى الكسل ويعود الحيلة ، وعلماء التوحيد يقولون:

وغلبِ الخوف على الرجاء وسر لمولاك بلا تنائي
انظر: فيض القدير على الجامع الصغير للمناوي رقم
7570 وتفسير القرطبي 600/10.

السؤال رقم (117): ما هو مسجد الضرار، وهل ينطبق على بعض مساجدنا في هذا العصر؟

الجواب: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَٰى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 107].

نزلت في جماعة من المدينة أرادوا أن يبنوا مسجداً يُصَلِّي فيه الرسول ﷺ ويباركه كما صلى في مسجد قباء وباركه، فلما بنوه دعوا الرسول للصلاة فيه، وكان خارجاً لغزوة تبوك فوعدهم إن عاد، فأخبره الله بأن المسجد ليس خالصاً لله، بل بني للضرار والانصراف عن الصلاة في مسجد الرسول واستقبال أبي عامر الراهب الذي فرَّ إلى الروم وتنصر وطلبوا عودته، فأمر الرسول بإحراق المسجد وهدمه.

يقول القرطبي في تفسيره: قال علماؤنا -أي المالكية-: لا يجوز أن يُبنى مسجد إلى جنب مسجد، ويجب هدمه والمنع من بنائه لئلا يصرف أهل المسجد الأول فيبقى شاغراً، إلا أن تكون المحلة كبيرة فلا يكفي أهلها مسجدٌ واحد، فيُبنى حينئذٍ إذا لم يتيسر له مكان بعيد عنه يبنى فيه.

وقالوا: كل مسجد بني على ضرار أو رياء وسُمِعَ فهو في حكم مسجد الضرار لا يجوز الصلاة فيه. ثم ذكر القرطبي أن من فعل أي شيء بقصد الإضرار بالغير وجب منعه.

وهدم مسجد الضرار له حيثيات، وهي الإضرار والكفر والتفريق وإيواء المحاربين لله ورسوله، ومن هنا إذا بُني مسجدٌ في منطقة - وبخاصة إذا كانت مساجدها كافية - يراد بذلك تفريق كلمة المسلمين والإضرار بالناس بأي لون من ألوان الضرر عقيدة أو سلوكاً، وتجتمع فيه جماعةٌ خارجة عن حدود

الدين، لأنهم يكفرون غيرهم مثلاً أو يستحلون حرمتهم، أو يريدون بذلك رياء وسمعة، فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه على ما رآه علماء المالكية كما ذكره القرطبي...

وبهذا لا بد من اعتبار النية والنظر إلى الأثر المترتب على بناء هذه المساجد. والأمر يحتاج إلى دقة وحكمة في المعالجة. والتوعية لها دخل كبير في هذا الموضوع.

فصل في آخر الزمان

السؤال رقم (118): يوجد تضارب كبير في ظهور المهدي المنتظر
فما رأي الدين في ذلك؟

الجواب: سنذكر كلمة موجزة عن المهدي المنتظر ملخصة من عدة كتب ومقالات قديمة وحديثة. فنقول: ظهور المهدي فيه أربعة أقوال:
القول الأول: أن المهدي هو المسيح ابن مريم عليهما السلام، ودليله حديث ابن ماجه: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» وهو حديث ضعيف، لتفرد محمد بن خالد به، ولورود أحاديث بوجود المهدي وصلاته مع عيسى بن مريم تمنع الحصر الوارد في هذا الحديث في عدم وجود مهدي إلا عيسى.
على أن هذا الحديث لو صح لم تكن فيه حجة، لأن سيدنا عيسى عليه السلام أعظم مهدي بين يدي رسول الله ﷺ والساعة، فيكون الحصر إضافياً، والمراد لا مهدي كاملاً إلا عيسى عليه السلام.

القول الثاني: أن المهدي رجل من آل البيت من ولد الحسين بن علي، يخرج آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأكثر الأحاديث تدل على هذا، وهي وإن كانت ضعيفة يقوي بعضها بعضاً، وقد صحح بعضهم بعضها، منها حديث أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله فيه رجلاً من أهل البيت يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً» ورواية أبي داود هذه وثقها الهيثمي في مجمع الزوائد.

القول الثالث: أنه المهدي الذي تولى الخلافة في الدولة العباسية في

القرن الثاني الهجري، والأحاديث التي رويت في هذا ضعيفة، وعلى فرض صحتها فالمهدي هذا أحد المهديين، وهناك غيره، ويصح أن يقال: إن عمر ابن عبد العزيز كان مهدياً، بل هو أولى بهذه التسمية من مهدي بني العباس.

القول الرابع - الأقوال السابقة هي لأهل السنة، وهذا القول هو للشيعة الإمامية، حيث يقولون:- إنه محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن عليّ، ويقولون في صفته: الحاضر في الأمصار، الغائب عن الأبصار، وأنه دخل سرداباً في «سامراء» وقيل في مدينة تدعى «جابلقا» وهي مدينة وهمية ليس لها وجود. وزعم أحمد الأحسائي الممهد للبهائية أنه في السماء وليس في الأرض..

دخلها وكان طفلاً صغيراً منذ أكثر من خمسمائة عام، فلم تره بعد ذلك عين ولم يحس فيه بخبر، وهم ينتظرونه كل يوم، يقفون بالخيل على باب السرداب، ويصيحون بأن يخرج إليهم ثم يرجعون، وقال في ذلك بعض الشعراء:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كلمتموه بجهلكم ما أنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

هذا، وهناك مهديون كثيرون ظهوروا في التاريخ، في الشرق وفي الغرب، واليهود ينتظرون الذي يخرج آخر الزمان، لتعلو كلمتهم وينصروا به على سائر الأمم، ويعتقد هذا سبعون ألفاً من يهود أصفهان، وكذلك النصارى ينتظرون المسيح يوم القيامة، وبهذا تكون الملة الثلاثة منتظرة للمهدي.

إن المهدي وردت فيه أحاديث كثيرة صُحِّح بعضها وُضِعَّ الكثير

منها، ويؤخذ من مجموعها أنه من آل البيت، وسيخرج آخر الزمان، ويلتقي مع سيدنا عيسى عليه السلام.

فقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً من عترتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً».

ويؤخذ من الأحاديث أن اسمه «محمد» وأن اسم والده «عبد الله» كاسم والد النبي ﷺ وتقول الشيعة: إنه اختفى بعد موت والده، وذكر محيي الدين ابن العربي في «فتوحاته» أن والده هو الإمام حسن العسكري، وساق نسبه إلى النبي ﷺ وذكر ابن حجر في «الصواعق» أن ظهوره يكون بعد أن يخسف القمر في أول ليلة من رمضان، وتكسف الشمس في النصف منه، وذلك لم يوجد منذ أن خلق الله السماوات والأرض كما قرره علماء الفلك، فهل سيكون ذلك من باب الإعجاز؟.

بل ذكر الشعراني في «اليواقيت والجواهر» أنه يولد في ليلة النصف من شعبان سنة 1255 هـ قائلاً: إنه تلقى ذلك من الشيخ حسن العراقي ووافق عليه الخواص.

هذه صور من أفكار المسلمين عن المهدي، وفي بعضها بُعد يصعب تعقله، ولا يجوز أن نبني العقائد على مثل هذه القواعد غير الثابتة.

لقد استغل كثير من الناس قضية المهدي فتكونت دول وظهرت شخصيات على مسرح التاريخ، وقامت دعوات تتمسح بها، وكل يدعي أن

آخر الزمان المقصود في الكلام عنه هو زمانه الذي كثر فيه الظلم، وكل زمان لا يخلو من ذلك كما يتصوره بعض الناس .

لقد استغلها الفاطميون وأقاموا دولتهم أولاً بالمغرب، ثم انتقلت إلى مصر واتسع نطاقها، استغلها «ابن تومرت» فأسس دولة الموحدين بني عبد المؤمن، وفي أيام الدولة المرينية بفاس قام رجل اسمه «التوبرزي» مدعياً أنه المهدي أيضاً، كما ادعاها مغربي من طرابلس قابل نابليون بين دمنهور ورشيد، وقيل إن المهدي صاحب ثورة السودان كان أتباعه يطلقون عليه المهدي المنتظر...

يقول القلقشندي في ادعاء الشيعة الإمامية لوجود المهدي: إنهم يقفون عند باب السرداب بغلة ملجمة من الغروب إلى مغيب الشفق، وينادونه ليخرج حتى يقضي على الظلم الذي عم البلاد.

ويروي ياقوت أنهم كانوا في «كاشان» من بلاد الفرس يركبون كل صباح للقاءه وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري، ويروي مثل ذلك ابن بطوطة، والكيسانية يدعون أنه «محمد ابن الحنفية» وكان من العادات في زمن ملوك الصفوية في فارس إعداد فرسين مسرجين دائماً في القصر لاستقبال المهدي وعيسى..

وهذا يشبه عمل المتهوسين من الإفرنج في القدس الذين ينتظرون مجيء المسيح يوم الدينونة. يقول <هوارت> الفرنسي في <تاريخ العرب>: إن إنكليزياً ذهب إلى بيت المقدس وأقام بالوادي الذي ستكون فيه الدينونة، وفي كل صباح يقرع الطبل منتظراً للحشر.

وجاءت امرأة إنكليزية إلى القدس ، وكانت تعد الشاي كل يوم لتحيي به المسيح عند ظهوره . ويقول «لامرتين» عند زيارته لجبل لبنان: إنه رأى في قرية «جفن» السيدة «استير ستاتهورب» بنت أخي «بيت» الوزير الإنكليزي الشهير ، رأى عندها فرساً مسرجاً ، زعمت أنها تعده ليركبه المسيح .

إن ظهور المهدي ليس له دليل صريح في القرآن الكريم ، وقد رأى ابن خلدون عدم ظهوره كما جاء في الفصل الذي عقده في مقدمته خاصاً بذلك والشوكاني ألف كتاباً سماه «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال المسيح» جاء فيه أن الأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها ، منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة .

ومهما يكن من شيء فإن ظهوره ليس ممنوعاً عقلاً ، ولم تثبت استحالته بدليل قاطع كما أن أدلة ظهوره لم تسلم من المناقشة ، والعقائد لا تثبت بمثل هذه الأدلة على ما رآه المحققون . فمن أثبت فهو حر فيما يرى ، لكن لا يجوز أن يفرض رأيه على غيره ، ومن نفى لم يخرج من الإيمان إلى الكفر . .
والأولى لنا أن نتناقش في أمر عملي يعيد لنا قوتنا الأولى ، أو على الأقل يخلص المسلمين من الوضع الذي هم فيه الآن والعقائد الأساسية واضحة ، وأدلتها موفورة .

يمكن الرجوع للاستزادة إلى :

1- المنار لابن القيم .

2- صبح الأعشى للقلقشندي .

3- التوضيح للشوكاني .

4- مقالات الصديق الغماري في مجلة الإسلام في السنوات

الأولى.

5- سيد البشر يتحدث عن المهدي المنتظر ، جمع حامد ليمود .

6- القطرة من بحار مناقب النبي والعترة لرضي الدين الموسوي التبريزي .

7- القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر

الهيتمي.

8- المشرب الورد في أخبار المهدي لملا علي القاري .

فصل في عالم الأرواح والأموات

السؤال رقم: (119) إذا قُتِلَ الإنسانُ فهل يعتبر موته قبل استيفاء العمر

الذي قدره الله تعالى له ؟.

الجواب: في كتب التوحيد هذه العبارة "والمقتول ميت بأجله" فالله سبحانه وتعالى قدّر له هذا الأجل وعلم أن سبب موته هو القتل ، فالعمر محدود غير متغير في علم الله تعالى ، وما يظهر للملائكة هو أن الإنسان لو وصل رحمه مثلاً طال عمره كما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ولا يعلمون إن كان سيصل رحمه أو لا ، والذي يعلم ذلك يقيناً هو الله وحده .

السؤال رقم: (120) ما الفرق بين القلب والروح والنفس والعقل؟

الجواب: من أحسن من تكلم عن القلب والروح والنفس والعقل الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" في شرح عجائب القلب، وقال: اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب، ويقال في فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة، ثم أخذ يتحدث عن كل منها بما موجه:

1- القلب يطلق لمعنيين:

أحدهما: اللحم المعروف الذي يضح الدم.

والثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بهذا القلب الجسماني وهذه اللطيفة هي حقيقة الإنسان والمدرک العام العارف منه والمخاطب بالتكليف، والمجازى عليه، ولم يستطع أن يدرك العلاقة بين هذين المعنيين للقلب لأن ذلك من علوم المكاشفة التي لا تفيد معها الحواس المعروفة، ولأنه يؤدي إلى إفشاء سر الروح الذي لم يتكلم فيه الرسول ﷺ فغيره أولى.

وقال: إذا استعملنا لفظ القلب في الكتابة والشرح فالمراد به اللطيفة

الربانية لا القلب العضوي.

1- الروح لها معنيان:

أحدهما: جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني يسري في جميع أجزاء البدن سريان نور السراج إلى كل أجزاء البيت، فالحياة مثل النور الواصل للجدران والروح مثل السراج، وسريان الروح وحركته في الباطن مثل حركة السراج في جوانب البيت، وهذا المعنى يهتم به الأطباء.

والمعنى الثاني للروح: هو لطيفة عالمة مدركة من الإنسان، وهو المعنى الثاني للقلب، وما أَرَادَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾⁽¹⁾، وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته.

2- النفس: لفظ مشترك بين عدة معان، يهمنها منها اثنان:

أحدهما: أن يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، ويهتم أهل التصوف بهذا المعنى، لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فلا بد من مجاهدتها.

والمعنى الثاني: هي اللطيفة التي ذكرناها، التي هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان ذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها، فإذا سكنت تحت الأمر وفارقها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٢٧) أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً⁽²⁾، والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فهي مبعثرة عنه وهي من حزب الشيطان.

وإذ لم يتم سكونها ودافعت الشهوات واعترضت عليها سميت النفس اللوامة، وإن تركت المدافعة والاعتراض وأطاعت الشهوة والشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء.

4 - العقل: وهو أيضاً مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم،

(١) الإسراء: 85

(٢) الفجر: 27-28

ويهمنا هنا معنيان .

أحدهما: أنه يراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون العقل عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب .

والثاني: أنه المدرك للعلوم، فيكون هو القلب بمعنى اللطيفة الربانية المدركة العالمة .

ثم يقول الغزالي بعد ذلك: إن معاني هذه الأسماء موجودة، وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم "كذا" فهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة، ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان، والألفاظ الأربعة بجملتها تتوارد عليها، فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين، وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها، فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون: هذا خاطر العقل، وهذا خاطر الروح، وهذا خاطر القلب، وهذا خاطر النفس، وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء .

ثم يقول: وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء، وقد يكنى عنه بالقلب الجسماني الذي هو في الصدر لأن بينهما علاقة، هذا ملخص ما قاله الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" .

السؤال رقم (121): هل الروح هي النفس؟ وهل الروح هي التي تعذب أم النفس؟

الجواب: إن كلمتي الروح والنفس تردتا في آيات كثيرة في القرآن الكريم

وكثر ورود الكلمة الأخيرة منفردة ومجموعة قرابة الثلاثمئة مرة أو تزيد .

وقد اختلف العلماء في الروح والنفس: هل هما شيء واحد أو هما شيان متغايران؟ فقال فريق أنهما يطلقان على شيء واحد، وقد صح في الأخبار إطلاق كل منهما على الآخر، من هذا ما أخرجه البزار بسند صحيح عن أبي هريرة ~ عن النبي ، أنه قال: «إن المؤمن ينزل به الموت، ويعاين ما يعاين، يود لو خرجت نفسه والله تعالى يحب لقاءه، وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الدنيا» .

فهذا الحديث يؤيد إطلاق الروح على النفس، والنفس على الروح . وقال الفريق الآخر إنهما شيان، فالروح ما به الحياة، والنفس: هذا الجسد مع الروح، فللنفس يدان وعينان ورجلان ورأس يديرها، وهي تتلذذ، وتفرح وتتألم وتحزن .

فالروح: جسم نوراني علوي حي يسري في الجسد المحسوس بإذن الله تعالى وأمره سريان الماء في الورد، لا يقبل التحلل، ولا التبدل ولا التمزق ولا التفرق، يعطي للجسم المحسوس الحياة وتوابعها ويرقى الإنسان باعتباره نفس النواميس التي سنها الله تعالى وأمر بها، فهو حين يولد يكون كباقي جنسه الحيواني، لا يعرف إلا الأكل والشرب، ثم تظهر له باقي الصفات النفسية من الشهوة والغضب، والمرض والحسد والحلم والشجاعة، فإذا غلبت عليه إنابته إلى الله تعالى وإخلاصه في العبادة تغلبت روحه على نفسه فأحب الله تعالى وامتثل أوامره وابتعد عما نهى عنه، وإذا تغلبت نفسه على روحه

كانت شقوته .

وقد جاءت الروح في القرآن الكريم وفي السنة بمعان ، فهي تارة الوحي كما في قوله تعالى ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١) ، ويسمى القرآن روحاً باعتباره أحياء الناس من الكفر الشبيه بالموت ، وأطلق الروح على جبريل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٢) وقوله ﴿عَلَيْكَ وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(٣) وفي الحديث الشريف «تحابوا بذكر الله وروحه» قيل المراد بالروح هنا أمر النبوة أو القرآن ، وهو المعنى عند أكثر العلماء في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^(٤) ولكن الروح المسؤول عنها هي ما سأل عنها اليهود رسول الله ﷺ فأجابهم الله تعالى في القرآن بقوله سبحانه ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥) ، فهذه الروح التي يحيا بها الإنسان ، قد استأثر الله تعالى في علمه بكنهها وحقيقتها ، لم يخبر بذلك أحداً من خلقه ، ولم يعط علمه بالعباد ، وهي التي نفخها في آدم وفي بنيه من بعده ، وهي من خلق الله تعالى سر أودعه في المخلوقات ، وكلمة النفس تجري على لسان العرب في معان فيقولون خرجت نفسه أي روحه ، وفي نفس فلان أن يفعل كذا أي في روعه وفكره .

(١) غافر: ١٥

(٢) الشعراء: ١٩٣-١٩٤

(٣) البقرة: ٢٥٣

(٤) الشورى: ٥٢

(٥) الإسراء: ٨٥

كما يقولون قتل فلان نفسه أو أهلك نفسه أي أوقع الإهلاك بذاته كلها وحقيقته، فمعنى النفس في هذا جملة الإنسان وحقيقته، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾⁽¹⁾، وتطلق كلمة النفس على الدم فيقال سألت نفسه، ذلك لأن النفس تخرج بخروجه وقد أطلق القرآن هذه الكلمة على الله تعالى في قوله ﴿عَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ والمعنى - والله تعالى أعلم - تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك أو كما قال ابن الأنباري إن النفس في هذه الآية الغيب، ويؤكد ما انتهت به الآية ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾⁽²⁾، أي تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم.

فلفظ الروح والنفس من الألفاظ التي تؤدي أكثر من معنى، يحدده السياق والسياق واللحاق، وهما في الواقع متغايرتان في الدلالة حسبما تقدم وإن حلت إحداهما محل الأخرى في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ولكن على سبيل المجاز لا الحقيقة، وقد اختلف أهل العلم في الروح، هل تموت؟ أو لا تموت؟ فذهبت طائفة إلى أنها تموت لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾⁽³⁾، وقالت طائفة أخرى إنها لا تموت للأحاديث الدالة على نعيمها وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله تعالى إلى الجسد.

(١) النساء: 29

(٢) المائدة 116

(٣) القصص: 88

قال الآلوسي في تفسيره⁽¹⁾: والصواب أن يقال موت الروح هو مفارقتها للجسد، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تنعدم وتضمحل فهي لا تموت، بل تبقى مفارقة ما شاء الله تعالى ثم تعود إلى الجسد وتبقى معه في نعيم أو عذاب أبد الأبدين وهي مستثناة ممن يصعق عند النفخ في الصور على أن الصعق لا يلزم منه الموت، والهلاك ليس مختصاً بالعدم، بل يتحقق بخروج الشيء عن حد الانتفاع به ونحو ذلك.

وأما عن السؤال الثاني: هل العذاب للروح أم للجسد؟ فجوابه: قد تقدم اختيار تغاير النفس والروح، بمعنى ما يصدق عليه كل من هذين اللفظين إذ النفس هي مجموع الجسد والروح، أما هذه فذاتية نورانية يقذفها الله تعالى من فضله في الإنسان عند خلقه إياه.

ومتى فارقت الروح البدن بموته كان مستقرها مختلفاً، فأرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أعلى عليين، فقد صح أن آخر ما قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى» ومستقر أرواح الشهداء في الجنة وأرواح أطفال المؤمنين ما هو قريب من ذلك وأرواح غير المسلمين وغير المؤمنين في سجين وفي كل هذا تروى أخبار وآثار تطالع في محلها من كتب الحديث، وإذا كان هذا المعنى هو المردد في المنقول، والثواب والعقاب أمر غيبي مفوض إلى الله سبحانه وتعالى؛ وإذا كانت الروح بعد افتراقها عن الجسد هي التي تذهب إلى الجنة أو إلى سجين، كما جاءت الأخبار، كان العذاب للروح، حتى يبعث الناس يوم القيامة، فيكون الثواب والعقاب للنفس التي هي الإنسان - أي

(١) ج - 15 في تفسير سورة ص ص 195 دار الطباعة المنيرية.

الجسد والروح معاً - اقرأ إن شئت قول الله ﷻ: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾⁽¹⁾ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾⁽²⁾ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَتُوفِّيَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ﴾^(٢٧) ﴿رُجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾⁽⁶⁾.

فهذه الآيات وأمثالها مما جاء في القرآن الكريم وما جاء في السنة على هذا النسق كل أولئك يدل على أن العذاب للنفس إنما يكون بعد البعث من القبور والنشور يوم القيامة.

أما عذاب الروح وحدها فبعد مفارقتها للجسد بالموت، وبعد السؤال في القبر تكون في عليين أو في سجين، وهذا لا ينافي عذاب القبر للروح والجسد لمن استحقه كما جاء ذكره في الأحاديث الشريفة ومنها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا

(١) آل عمران: 25

(٢) آل عمران: 30

(٣) هود: 105

(٤) النحل: 111

(٥) المدثر: 38

(٦) الفجر: 27-28

أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»⁽¹⁾ وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة خلافاً لابن حزم، وابن هبيرة.

هذا وما استأثر الله تعالى بعلمه لا ينبغي الاشتغال به، فلا تذهبن إلى ما نقل عن الفلاسفة قديماً وحديثاً، فإنهم انطلقوا إلى ما لا يعرفون، فتأهوا ولا يزالون.

واقراً دائماً قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾⁽²⁾ وابتعد في عطاتك للناس عن المتشابهات حتى لا تزيغ عن الجادة وتنحرف عن الطريق المستقيم.

واقراً قول الله سبحانه وتعالى وتوجيهه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾⁽³⁾ فقد قال القاضي ابن العربي قول الناس هل الحوض قبل الميزان والصراط أو الميزان قبلهما أم الحوض؟ فهذا هو ما لا سبيل إلى علمه، لأن هذا أمر لا يدرك بنظر العقل ولا بنظر السمع وليس فيه خبر صحيح⁽⁴⁾. ولا ريب أن حقيقة الروح والنفس ومن يعذب ومن يثاب كل أولئك من هذا القبيل.

(١) رواه البخاري .

(٢) الإسراء: 85

(٣) الإسراء: 36

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ص 121 القسم الثالث طبع دار المعارف بيروت .

السؤال رقم (122) هل ورد حديث يفيد أن الأرواح جنود مجندة؟ وما معناه؟.

الجواب: نعم ورد في البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّكَلَفَ وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فُقُّهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّكَلَفَ وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

وفي الحديث عدة فوائد منها:

1- معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ».

الأرواح جنود مجندة أي: جموع مجمعة وقيل أجناس مختلفة.
قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ جُمُوعٌ مُجْتَمِعَةٌ، أَوْ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ" أَيَّ أَجْنَاسٍ مُجْتَمِعَةٍ أَوْ جُمُوعٍ مُجْتَمِعَةٍ.

2- معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّكَلَفَ وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

جاء في بعض الروايات أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الأرواح جنود مجندة تلتقي فتشام في الهواء» أخرجه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف.

وجاء في مسند أحمد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ لَتَلْتَقِينَ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا رَأَى وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ».

قال الغزالي في الإحياء: التعارف هو التناسب، والتناكر هو التباين وهذا

السبب أيضاً يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع إلى المشابهة في الصور والأشكال بل إلى معادن باطنة، ولكن لمناسبة توجب الألفة والموافقة فإن شبيه الشيء ينجذب إليه بالطبع، وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال: إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلماً وأطافها حول العرش فأَي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا.

قال الحافظ العراقي: أخرج الحسن بن سفيان في مسنده بسند حسن: أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها فقالت: أين نزلت؟ فذكرت لها صاحبته، فقالت: صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الأرواح جنود مجندة».

وقال بعضهم: معنى الحديث أنها خلقت أول ما خلقت على قسمين من ائتلاف واختلاف كالجنود المجندة إذا تقابلت وتواجهت، ومعنى تقابل الأرواح ما جعلها الله تعالى عليه من السعادة والشقاوة من مبدأ كون الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتألف وتختلف على حسب ما جعلت عليه من التشاكل والتنافر في بدء الخلقة فترى البرَّ الخيرِ يحب شكله وينفر عن ضده وكذلك الفاجر.

وقال ذو النون: سبحان من جعل الأرواح جنوداً مجندة! فأرواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا إلى الله تعالى، وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا إلى الجنة، وأرواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا إلى الدنيا. وقد يكون عامل الائتلاف مع الأصدقاء هو السن أو وحدة الاهتمام أو

المهنة الواحدة أو ائتلاف الأختيار مع بعضهم، والأشرار مع بعضهم وقديماً
قيل: إن الطيور على أشكالها تقع .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (116/10): وَأَمَّا تَعَارُفُهَا فَهُوَ لِأَمْرِ
جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا مُوَافَقَةٌ صِفَاتِهَا الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهَا، وَتَنَاسُبُهَا
فِي سَيِّمِهَا، وَقِيلَ: لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مُجْتَمِعَةً، ثُمَّ فُرِّقَتْ فِي أَجْسَادِهَا، فَمَنْ وَافَقَ
بِشِيمِهِ أَلْفَهُ، وَمَنْ بَاعَدَهُ نَافَرَهُ وَخَالَفَهُ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ: تَأَلَّفَهَا هُوَ مَا
خَلَقَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ السَّعَادَةِ أَوْ الشَّقَاوَةِ فِي الْمُبْتَدَأِ، وَكَانَتْ الْأَزْوَاحُ قِسْمَيْنِ
مُتَقَابِلَيْنِ. فَإِذَا تَلَاقَتْ الْأَجْسَادُ فِي الدُّنْيَا ائْتَلَفَتْ وَاخْتَلَفَتْ بِحَسَبِ مَا خُلِقَتْ
عَلَيْهِ، فَيَمِيلُ الْأَخْيَارُ إِلَى الْأَخْيَارِ، وَالْأَشْرَارُ إِلَى الْأَشْرَارِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى مَعْنَى التَّشَاكُلِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
وَالصَّلَاحِ وَالْفُسَادِ، وَأَنَّ الْخَيْرَ مِنَ النَّاسِ يَحِنُّ إِلَى شَكْلِهِ وَالشَّرَّيرَ نَظِيرَ ذَلِكَ
يَمِيلُ إِلَى نَظِيرِهِ فَتَعَارُفُ الْأَزْوَاحِ يَقَعُ بِحَسَبِ الطَّبَاعِ الَّتِي جُبِلَتْ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ
وَشَرٍّ، فَإِذَا اتَّفَقَتْ تَعَارَفَتْ، وَإِذَا اخْتَلَفَتْ تَنَكَرَتْ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ الْإِخْبَارَ
عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ فِي حَالِ الْعَيْبِ عَلَى مَا جَاءَ أَنَّ الْأَزْوَاحَ خُلِقَتْ قَبْلَ الْأَجْسَامِ،
وَكَانَتْ تَلْتَقِي فَتَتَشَاءَمُ، فَلَمَّا حَلَّتْ بِالْأَجْسَامِ تَعَارَفَتْ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ فَصَارَ تَعَارُفُهَا
وَتَنَاطُرُهَا عَلَى مَا سَبَقَ مِنَ الْعَهْدِ الْمُتَقَدِّمِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: الْمُرَادُ أَنَّ الْأَزْوَاحَ أَوَّلَ مَا خُلِقَتْ خُلِقَتْ عَلَى قِسْمَيْنِ، وَمَعْنَى
تَقَابُلِهَا أَنَّ الْأَجْسَادَ الَّتِي فِيهَا الْأَزْوَاحُ إِذَا لْتَقَتْ فِي الدُّنْيَا ائْتَلَفَتْ أَوْ اخْتَلَفَتْ
عَلَى حَسَبِ مَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ الْأَزْوَاحُ فِي الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ بِالتَّعَارُفِ.

قُلْتُ: وَلَا يُعَكِّرُ عَلَيْهِ أَنْ بَعْضُ الْمُتَنَافِرِينَ رُبَّمَا ائْتَلَفَا، لِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَبْدَأِ التَّلَاقِي، فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِأَصْلِ الْخِلْقَةِ بِغَيْرِ سَبَبٍ. وَأَمَّا فِي ثَانِي الْحَالِ فَيَكُونُ مُكْتَسَبًا لِتَجَدُّدِ وَصْفٍ يَمْتَضِي الْأَلْفَةَ بَعْدَ الثُّفْرَةِ كَأَيَّمَانِ الْكَافِرِ وَإِحْسَانِ الْمُسِيِّءِ، قَالَ ابْنُ الْجَوَزِيِّ: وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ نُفْرَةً مِمَّنْ لَهُ فَضِيلَةٌ أَوْ صَلَاحٌ فَيَنْبَغِي أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ لِيَسْعَى فِي إِزَالَتِهِ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنَ الْوَصْفِ الْمَذْمُومِ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي عَكْسِهِ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الْأَزْوَاحُ وَإِنْ اتَّفَقَتْ فِي كَوْنِهَا أَرْوَاحًا لَكِنَّهَا تَتَمَازِزُ بِأُمُورٍ مُخْتَلِفَةٍ تَتَنَوَّعُ بِهَا، فَتَشَاكَلُ أَشْخَاصَ النَّوْعِ الْوَاحِدِ وَتَتَنَاسَبُ بِسَبَبِ مَا اجْتَمَعَتْ فِيهِ مِنَ الْمَعْنَى الْخَاصَّةِ لِلذَّكَ النَّوْعِ لِلْمُنَاسَبَةِ، وَلِذَلِكَ نُشَاهِدُ أَشْخَاصَ كُلِّ نَوْعٍ تَأَلَّفَ نَوْعُهَا وَتَنَفَّرَ مِنْ مُخَالَفَتِهَا. ثُمَّ إِنَّا نَجِدُ بَعْضَ أَشْخَاصِ النَّوْعِ الْوَاحِدِ يَتَأَلَّفُ وَبَعْضُهَا يَتَنَافَرُ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْأُمُورِ الَّتِي يَحْصُلُ الْإِتِّفَاقُ وَالْإِنْفِرَادُ بِسَبَبِهَا).

جاء في حلية الأولياء أن عبد الواحد بن زيد قال: سألت الله عز وجل ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة. فرأيت كأن قائلاً يقول: يا عبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء. فقلت: وأين هي؟ فقال: في آل فلان بالكوفة. قال: فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها فقيل: هي مجنونة بين ظهرانينا ترعى غنيمات لنا، فقلت: أريد أن أراها. قالوا: اخرج إلى الجبان، فخرجت فإذا بها قائمة تصلي، وإذا بين يديها عكاز لها وعليها جبة من صوف، عليها مكتوب: لا تباع ولا تشتري. وإذا الغنم مع الذئب، فلا الذئب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف الذئب.

فلما رأته أوجزت في صلاتها ثم قالت: ارجع يا بن زيد ليس الموعد
ها هنا إنما الموعد ثم .

فقلت: رحمك الله ومن أعلمك أني ابن زيد؟ فقالت: أما علمت أن
الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟ فقلت
لها: عظيمي؟ فقالت: واعجباً لواعظ يوعظ، ثم قالت: يا بن زيد إنك إن
وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتك بمكتوم مكنون ما فيها، يا بن
زيد إنه بلغني أنه ما من عبد أعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه
الله تعالى حب الخلوة معه، وبدله بعد القرب البعد وبعد الأنس الوحشة .

قال علي رضي الله عنه بعد قدومه الكوفة بثلاثة أيام: قد عرفنا خياركم من شراركم
قالوا: كيف وما لك عندنا إلا ثلاثة أيام، قال: كان معنا خيار وشرار فانضم
خيارنا إلى خياركم، وشرارنا إلى شراركم وحديث الأرواح جنود مجندة» .

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الأرواح جنود مجندة، فإذا التقت
تشامٌ كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فلو أن
رجلاً مؤمناً دخل مسجداً فيه مئة منافق ليس فيه إلا مؤمن واحد لذهب حتى
يجلس إلى ذلك المؤمن الواحد، ولو أن رجلاً منافقاً دخل مسجداً فيه مئة
مؤمن ليس فيه إلا منافق واحد لذهب حتى يجلس إلى ذلك المنافق الواحد»
رواه الديلمي في مسنده والعسكري .

وقال رجل لعبد الله بن جعفر: إن فلاناً يقول إنه يحبني فبماذا أعلم
صدقه؟ قال: امتحن قلبه بقلبك، فإن كنت توده فإنه يودك . وشاهد ذلك قول
بكر بن النطاح:

وعلى القلوب من القلوب دلائل بالود قبل تشاهد الأرواح

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهد خلقي، وقرة عيني في الصلاة».

ويذكر أن رجلاً كان يحب شخصاً فمرض فدخل عليه أصحابه يعودونه فوجدوا به خفة فانبسط معهم وقال من أين جئتم؟ قالوا: من عند فلان عدناه، فقال: أو كان عليلاً؟ قالوا: نعم وقد عوفي، فقال: والله لقد أنكرت عنتي هذه ولم أعرف لها سبباً، غير أنني توهمت أن ذلك لعلة نالت بعض من أحب ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعاً أن يكون الله سبحانه وتعالى شفاه، ثم دعا بدواة فكتب إلى محبوبه الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

ومن دعاء الفضل الرقاشي: اللهم لا تدخلنا النار بعد أن أسكنت قلوبنا توحيدك وأرجو ألا تفعل، وإن فعلت لتجمعن بيننا وبين قوم عادينا هم فيك.

قال السلمي في تفسيره (81/1): ألف بين قلوب المرسلين بالرسالة، وقلوب الأنبياء بالنبوة، وقلوب الصادقين بالصدق، وقلوب الشهداء بالمشاهدة، وقلوب الصالحين بالخدمة، وقلوب عامة المؤمنين بالهداية، فجعل المرسلين رحمة على الأنبياء، وجعل الأنبياء رحمة على الصادقين، وجعل الصادقين رحمة على الشهداء، وجعل الشهداء رحمة على الصالحين، وجعل الصالحين

رحمة على عامة المؤمنين ، وجعل المؤمنين رحمة على الكافرين .

وجاء في مجمع الزوائد: عن الحارث بن عميرة قال: انطلقت حتى أتيت المدائن ، فإذا أنا برجل عليه ثياب خلقان ومعه أديم أحمر يعرکه ، فالتفت فنظر إلي ، فأوماً بيده: مكانك يا عبد الله . فقلت فقلت لمن كان عندي: مَنْ هذا الرجل؟ قالوا: هذا سلمان فدخل بيته فلبس ثياباً بياضاً ثم أقبل وأخذ بيدي وصافحني وساءلني ، فقلت: يا أبا عبد الله ما رأيتني فيما مضى ولا رأيتك ولا عرفتني ولا عرفتك . قال: بلى والذي نفسي بيده ، لقد عرفت روحي روحك حين رأيتك ، ألسن الحارث بن عميرة؟ قلت: بلى ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها في الله اتتلف ، وما تناكر منها في الله اختلف» . رواه الطبراني في الكبير والأوسط .

وفي حلية الأولياء: عن هرم بن حيان العبدي قال: قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أويس أسأل عنه فدفعت إليه بشاطئ الفرات يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعث فإذا رجل آدم محلوق الرأس كثر اللحية مهيب المنظر ، فسلمت عليه ومددت إليه يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني ، فخنقتني العبرة لما رأيت من حاله ، فقلت: السلام عليك يا أويس كيف أنت يا أخي؟ قال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان ، من ذلك عليّ؟ قلت: الله عز وجل قال سبحانه ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ، قلت: يرحمك الله من أين عرفت اسمي واسم أبي ، فوالله ما رأيتك قط ولا رأيتني؟ قال: عرفت روحي روحك حيث كلمت نفسي لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله عز وجل ، وإن ناءت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل .

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: مررت على بلدة فرأيت فيها غلاماً لم يجاوز السابعة من العمر يلعب بالتراب تارة يضحك وتارة يبكي، فجاوزته ولم أسلم عليه، ثم تذكرت أن النبي ﷺ كان يسلم على الصبيان، فرجعت وسلمت عليه فقال: وعليك السلام يا مالك بن دينار، فقلت له: كيف عرفتني؟ فقال: عرفتُ رُوحِي رُوحِك في عالم الملكوت، وعرفَ بيني وبينك الحيُّ الذي لا يموت، فقلت في نفسي: إني لأرى لهذا الغلام عقلاً فلا سأله، فقلت له: يا غلام ما الفرق بين النفس والعقل؟ قال: نفسك منعتك من السلام عليّ لصغري، وعقلك ذكرك بسلام النبي ﷺ على الصغار، فقلت: ما لي أراك ساعة تبكي وساعة تضحك؟ قال إن ذكرت الجنة فرحت شوقاً إليها، وإن ذكرت النار بكيت فرحاً منها، فقلت: وأي ذنوب لك حتى تخاف؟ فقال إليك عني يا مالك! فإني رأيت أُمِّي لا توقد الحطب الكبار إلا بأعواد صغار، فخشيت أن أكون وقود أهل النار.

السؤال رقم: (123) مَا مَقَرُّ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ مَوْتِ أَجْسَادِهَا؟

الجواب: صحَّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ أَيُّ رُوحِهِ طَائِرٌ أَيُّ عَلَى صُورَتِهِ تَعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ» وَفِي حَدِيثٍ سَنَدُهُ حَسَنٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَكُونُ النَّسَمُ طَيْرًا يُعَلَّقُ بِالشَّجَرِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَخَلَتْ كُلُّ نَفْسٍ فِي جَسَدِهَا» وَفِي حَدِيثٍ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ تَسْرَحُ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ».

وَفِي رِوَايَةٍ سَنَدُهَا حَسَنٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي قُبَّةِ خَضْرَاءٍ عَلَى نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ مِنْهَا رِزْقُهُمْ غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً». وَلَا تُخَالِفُ مَا قَبْلَهَا لِأَنَّهُمْ مَرَاتِبٌ وَصَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .
وَأَخْرَجَ جَمَاعَةٌ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ الَّذِي تَعْرُجُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ فَمَا تَرَى الْخَلَائِقَ أَحْسَنَ مِنَ الْمِعْرَاجِ مَا رَأَيْتَ الْمَيِّتَ حِينَ يَشُقُّ بَصْرَهُ طَامِحًا إِلَى السَّمَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ عَجْبُهُ بِالْمِعْرَاجِ فَصَعِدَتْ أَنَا وَجِبْرِيلُ فَاسْتَفْتَحَ بَابَ السَّمَاءِ فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَقُولُ رُوحٌ طَيِّبٌ وَنَفْسٌ طَيِّبَةٌ اجْعَلُوها فِي عِلَيْنَ ثُمَّ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ الْفُجَّارِ فَيَقُولُ رُوحٌ خَبِيثَةٌ وَنَفْسٌ خَبِيثَةٌ اجْعَلُوها فِي سَجِينٍ» وَفِي حَدِيثٍ عِنْدَ أَبِي نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ «إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَنْظُرُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ» وَلَا تَنَافِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا قَبْلَهُ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ دَرَجَاتٌ كَالشُّهَدَاءِ .

السؤال رقم: (124) ما هي أحوال الروح في البرزخ؟

الجواب:

- 1- تبقى الروح في البرزخ بعد مفارقتها الجسد حية مدركة تسمع وتبصر ، وتشعر بالنعيم والعذاب ، وترد أفنية القبور ، وتأوي إلى المنازل غير محددة بمكان ولا محصورة في حيز ، ولا ترى كما ترى الماديات .
- 2- قد يأذن الله تعالى لها أن تتصل بالبدن كله أو بأجزائه الأصلية اتصالاً برزخياً خاصاً ، كاتصال أشعة الشمس بالعوالم الأرضية اتصال إشراق

وإمداد وقد لا يأذن لها بذلك وهذا هو مذهب أهل السنة، وبه وردت الأحاديث والآثار.

3- تتصل بالأرواح الأخرى وتناجيهما وتأنس بها، سواء أكانت أرواح أحياء أم أرواح أموات.

4- كل ما يقال أو يؤثر عن العلماء في معنى الروح من قبيل ذكر الأوصاف والأحوال التي هي من باب الآثار والأحكام، وليست من قبيل الكشف عن حقيقتها الذاتية، لأن ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه فلا تحيط به عقول البشر.

السؤال رقم: (125) هل ثبت سؤال في القبر؟ وهل فيه حياة؟.

1- حياة القبر ثابتة بأحاديث كثيرة بلغت حد التواتر، دلت عليها وعلى سؤال الميت في قبره ونعيمه أو تعذيبه فيه.

2- لا بُعد ولا نكير في كون الميت يعذب برد الروح إليه عارية تعذيباً لا يقدر البشر على رؤيته.

3- يسمع الموتى ويجيبون ويردون السلام، لحديث القليب الذي رواه البخاري «عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره قال أطلع النبي صلى الله عليه وسلم على أهل القليب فقال: «وجدتكم ما وعد ربكم حقاً فقل له تدعو أمواتاً؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون»، ولحديث المرأة التي كانت تقم المسجد «تكنسه» فقد ثبت منه ردها على الرسول صلى الله عليه وسلم بقولها: «قم المسجد» إجابة على سؤاله صلى الله عليه وسلم: «أي الأعمال وجدت أفضل؟» ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما

النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ عَلَى قَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ وَفِي رِوَايَةِ بَقْبِرِ الرَّجُلِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيَسْلَمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ» وَلَا بِنِ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ يَعْرِفُهُ فَسَلِّمْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَرَفَهُ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرِ لَا يَعْرِفُهُ فَسَلِّمْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ».

4- يسأل الميت ملكان ويحييهما، ولا عبرة بمن ينكر ذلك.

5- رأى العلماء: في عذاب الروح أو نعيمها وهل هو خاص بها أم يشمل بدن الميت أيضاً.

السؤال رقم (126): هل صحيح أن من مات يوم الجمعة لا يعذب في القبر؟

الجواب: روى أبو نعيم في الحلية أنه ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ مُسْلِمَةٍ يَمُوتُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمَهَا إِلَّا وَقِيَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَفِتْنَةَ الْقَبْرِ وَلَقِيَ اللَّهَ وَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ شُهُودٌ يَشْهَدُونَ لَهُ».

قد تكون هناك ظروف يكون الموت فيها بشيراً بالخير، كظروف الجهاد في سبيل الله تعالى وما أعده الله تعالى للشهداء، وما جاء في حديث مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيتُ قَالُوا فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ» وجاءت روايات أخرى تدل على فضل الموت في

الغربة والهدم ودوار البحر، والدفاع عن النفس والمال والدين.

وقد صح أن الميت في الحج له منزلة عند الله تعالى، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَوَقَصَتْهُ أَوْ قَالَ فَأَوْقَصَتْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اغسلوه بماءٍ وسدرٍ، وكفّفوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تحمروا رأسه، فإنه يُبعثُ يومَ القيامةِ مُلبياً» أي على هيئة المحرم بالحج، وجاءت روايات ضعيفة أن الذي يخرج للحج أو العمرة ومات فإنه لا يحاسب، ومنها حديث أبي نعيم فيمن مات يوم الجمعة أو ليلتها.

والروايات الضعيفة لا تبنى عليها عقائد، ولا نعرف أمور الغيب منها بيقين، والذي ينفع الإنسان في قبره هو عمله، وكثير من أفاضل الصحابة لم يموتوا يوم الجمعة ولا في ظروف كالتى مرت، كما أن كثيراً من الكفار ومن ظاهر سلوكهم غير مستقيم ماتوا يوم الجمعة فلنترك الأمر لله سبحانه وتعالى، ولنهتم بالعمل الصالح فهو مناط الثواب والتكريم.

السؤال رقم (127) السؤال هل صحيح أن الموتى يتزاورون في القبور؟

الجواب: جاء في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب يوماً فذكر رجلاً من أصحابه قبض فكفن في كفن غير طائل وقبر لئلاً فزجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُقبر الرجل بالليل حتى يُصلى عليه إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه. قيل: العلة في ذلك تزاور الموتى وتباهيهم بالأكفان، كما نص عليه في أحاديث أخرى، منها ما

أخرجه الترمذي وابن ماجه وفي شُعب الإيْمَان لِلْبَيْهَقِيِّ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ فَإِنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ فِي قُبُورِهِمْ» وهم يتزاورون سواء أكانت المدائن متقاربة في الدنيا أم متباعدة. وقال الفقهاء بتحسين الأكفان لهذه العلة.

وللسيوطي كتاب في ذلك عنوانه "شرح الصدور" وقال ابن القيم في كتاب الروح: إن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره، ويخبره الميت بما لا يعلمه الحي فيصادف خبره كما أخبر في الماضي والمستقبل. والأمر مغيب واعتقاده يحتاج إلى دليل قاطع، ومع ذلك فهو ممكن يجوز تصديقه ولا يؤدي تكذيبه إلى الكفر.

السؤال رقم: (128) هَلْ يَعْلَمُ الْأَمْوَاتُ بِأَحْوَالِ الْأَحْيَاءِ وَمَا هُمْ فِيهِ؟
الجواب: نَعَمْ لِحَدِيثِ مُسْنَدِ أَحْمَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبَشَرُوا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّهِمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا» وَبِهِ يُعْلَمُ أَنَّهَا إِنَّمَا تُعْرَضُ عَلَى صَالِحِي الْأَقَارِبِ وَفِي رِوَايَةِ لِأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا اللَّهُمَّ أَلْهِمَّهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِكَ» وَفِي حَدِيثٍ ضَعِيفٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُبِضَتْ تَلْقَاهَا أَهْلُ الرَّحْمَةِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ كَمَا يَلْقَوْنَ الْبَشِيرَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيَقُولُونَ أَنْظِرُوا صَاحِبَكُمْ لِيَسْتَرِيحَ فَإِنَّهُ فِي كَرْبٍ شَدِيدٍ ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ مَا فَعَلَ فَلَانٌ وَفُلَانَةٌ هَلْ تَزَوَّجَتْ؟» الْحَدِيثُ وَفِيهِ «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَرِحُوا وَاسْتَبَشَرُوا وَقَالُوا اللَّهُمَّ هَذَا فَضْلُكَ وَرَحْمَتُكَ

فَأْتِمُمْ نِعْمَتَكَ عَلَيْهِ وَأَمِئْتُهُ عَلَيْهَا وَيُعْرَضُ عَلَيْهِمْ عَمَلُ الْمُسِيِّءِ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ
 أَلْهِمُهُ عَمَلًا صَالِحًا تَرْضَى بِهِ وَيُقَرِّبُهُ إِلَيْكَ» وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ حَدِيثَ
 النَّبِيِّ ﷺ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتُعْرَضُ
 عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَعَلَى الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ الْجُمُعَةَ، فَيَفْرَحُونَ بِحَسَنَاتِهِمْ وَتَزْدَادُ
 وَجُوهُهُمْ بَيَاضًا وَإِشْرَاقًا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُؤْذُوا أَمْوَاتِكُمْ».

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَفْضَحُوا مَوْتَاكُمْ
 بِسَيِّئَاتِ أَعْمَالِكُمْ فَإِنَّهَا تُعْرَضُ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ».

السؤال رقم (129): ما الحكمة من ضمة القبر، وهل ينجو منها
 أحد، وهل هناك عمل ينجي منها؟

الجواب: جاء في «مشارك الأنوار للعدوي ص 30» أن النبي ﷺ قال
 كما رواه النسائي في سعد بن معاذ: «لقد تحرك له العرش، وفتحت له أبواب
 السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، ولقد ضُمَّ ثم فُرج عنه» وفي رواية
 عن عائشة (رضي الله عنها) أنه ﷺ قال: «للقبر ضغطة لو نجا أحد منها لنجا منها سعد بن
 معاذ»، وقوله ﷺ: «لو نجا منها أحد» لا يتناقض مع قوله: «ما عُفي لأحد
 عن ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد» وهي زوجة عمه أبي طالب، قيل: يا
 رسول الله ولا ابنك القاسم؟ قال: «ولا إبراهيم الذي هو أصغرهما» لأن
 نجات فاطمة بنت أسد بسبب أن الرسول ﷺ نزل في قبرها ونزع قميصه
 وتمعك في لحدها، ولما سُئل عن ذلك قال: «أردت ألا تمسها النار أبداً إن
 شاء الله وأن يوسع عليها قبرها».

قال الحكيم الترمذي: سبب هذه الضمة أنه ما من أحد إلا وقد ألمَّ

بخطيئة ما وإن كان صالحاً، فجعلت هذه الضغطة جزاء له، ثم تدركه الرحمة، ولهذا كانت ضغطة سعد للتقصير في البول فأما الأنبياء فلا ضم ولا سؤال لعصمتهم.

هذا ما قاله الزرقاني في شرح المواهب، وناقشه العدوي بأن ضغطة القبر لا تكون بسبب الخطيئة، فما هي خطيئة إبراهيم ابن الرسول ﷺ وقد مات صغيراً ولم يكلف؟ ولا يُظنُّ بسعد أنه قصر في البول تقصيراً يؤدي إلى فساد في عبادته أو مكروه، ويؤيد هذا أن ضمها للمؤمن الكامل ضمة شفقة ورأفة فالذين لا تشملهم ضغطة القبر مستثنون لخصوصية فيهم.

قال الشعراني في مختصر التذكرة: لا ينجو من ضمة القبر أحد إلا أربعة: فاطمة بنت محمد، وفاطمة بنت أسد، والأنبياء، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في مرضه ولو مرة واحدة.

وروي مرفوعاً: «إن العبد إذا وضع في قبره فقال أهله: وا سيدها وا أميراه، وا شريفاه، قال له الملك: اسمع ما يقولون. أكنت سيداً؟ أكنت أميراً؟ أكنت شريفاً؟ فيقول الميت: ليتهم سكتوا عني، قال: فيضغطه القبر ضغطة تختلف فيها أضلاعه».

فالإخلاصة: أن ضغطة القبر عامة، ولا ينجو منها إلا من لهم خصوصيات، وهي لا تستدعي ذنباً وقع، وهي تكون شفقة ورأفة على المؤمن الكامل، والذي يجعلها خفيفة هو العمل الصالح بوجه عام، ومنه قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ كما تقدم، وهذه كلها من الغيب الذي يحتاج في اعتقاده إلى دليل قوي «الزرقاني 142/2».

السؤال رقم (130): كثيراً ما نقرأ أو نسمع عن نعيم القبر وعذابه

نرجو منكم توضيح ذلك، وهل هناك أدعية تمنع عذاب القبر؟

الجواب: نعيم القبر وعذابه ثابت بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، قال

الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

وفي الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ - محمد صلى الله عليه وسلم - أما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً» أخرجه البخاري، ويدل على ذلك أيضاً حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه رضي الله عنه مرّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير...» أخرجه مسلم وغيره. إلى غير ذلك من الأحاديث المتواترة في ثبوت نعيم القبر وعذابه، فيجب اعتقاد ذلك كما قال اللقاني في جوهرته:

سؤالنا ثم عذاب القبر نعيمه واجب كبعث الحشر

غير أن العقل لا يدرك كيفيته، لأنه غير معهود في هذه الدار، وعلى المسلم أن يستعيز من عذاب القبر كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

وفي رواية لمسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال، تعوذوا بالله من فتنة المحيا والممات) والأحاديث

في هذا المعنى كثيرة، وفيما ذكر كفايةً، والله تعالى أعلم.

السؤال رقم (131) كيف نوفق بين قوله: ' (إن الميت ليعذب ببكاء أهله) وبين قوله تعالى: {وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَّزْرَ أُخْرَى}؟

الجواب: إن المقصود بالبكاء الذي يكون سبباً في تعذيب الميت هو البكاء المقترن بالنوح والندب، والذي أوصى به الإنسان أهله أن يفعلوه بعد موته. والمراد بالتعذيب: قول الملائكة للميت توبيخاً وتأنيباً بترديد ما يقوله أهله: هل أنت هكذا؟ أي هل أنت متَّصِفٌ بما يصفونك به، وقد كان من عادة الجاهلية أن يوصي الإنسان أهله بنعيه كما قال طرفة ابن العبد لزوجته أو ابنة أخيه:

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهله وشقِّي عليَّ الجيب يا بنة معبدٍ

فالذي يعذب ببكاء أهله هو الذي يوصي به، أو الذي علم أنهم سينوحون عليه ولم ينههم عن ذلك، فإن لم يوص ولم يعلم بأنهم سينوحون عليه فلا يعذب بما ينوحون، فلا معارضة بينه وبين الآية الكريمة: {وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَّزْرَ أُخْرَى}. والله تعالى أعلم.

فصل في اليوم الآخر

السؤال رقم: (132) للرجل في الجنة حور عين فما للمرأة؟ وهل ستشتهي المرأة رجلاً كانت تحبه في الدنيا ولم تتزوجه وتتزوجه في الجنة؟ وهل سيكون الحرام في الدنيا حلالاً في الجنة؟ هل يمكن لأي رجل أن يجامع أي امرأة من نساء الدنيا تمناها؟ وهل للنساء ذلك أيضاً؟ وإن كان هذا كذلك ألا توجد غيرة في الجنة؟

الجواب: إن الله أعد للمؤمنين من التكريم في الجنة ما يشبع رغباتهم ويحقق لهم طموحاتهم وشهواتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^(٢). ولم نطلع على ما يمنع من أن تتزوج المرأة رجلاً كانت تحبه في الدنيا ثم ماتت ولم تتزوج منه، وأما إذا كانت تزوجت زوجاً في الدنيا ومات وهي في عصمته فإنها تكون زوجاً له في الجنة، وإن تزوجت عدة أزواج فإنها تكون لآخرهم، لما في الحديث: الذي رواه الطبراني عن أبي الدرداء، ورواه الخطيب عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم «الْمَرْأَةُ لِأَخْرِ أَزْوَاجِهَا»، ولا مانع كذلك أن يزوج الله تعالى رجلاً من أهل الجنة بامرأة كان يحبها في الدنيا.

وأما سؤالك هل سيكون الحرام في الدنيا حلالاً، فإن الجنة ليس فيها

(١) سورة فصلت (31).

(٢) سورة الزخرف (71).

شيء محرم ولكن الفوضى والشيوعية الجنسية الشائعة في هذا العصر غير موجودة، فإن الجنة ليس فيها أعزب كما في حديث مسلم فكل أهلها متزوجون وكلهم يحب زوجته، وأما الرجال فيعطيهم الله تعالى من فضله من عدد الزوجات ما شاؤوا، وأما النساء فإنهن قاصرات الطرف على أزواجهن لا يبغيين غيرهم ولا يطمحن ولا يشتهين سواهم لعفتن واکتفائهن بالأزواج، فقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الظَّرْفِ﴾^(١). بأنهن قصرن الطرف على أزواجهن فلا يردن غيرهم، وفي رواية عنه: لا يرين غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات، وراجع تفسير الطبري والدر المنثور عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الظَّرْفِ﴾.

السؤال رقم: (133) ما هو نصيب المرأة المؤمنة في الجنة؟! وما هو مصير من توفيت دون أن تتمكن من الزواج؟!

الجواب: أود في البدء أن أعلمك يا أخي أنني لن أصادر سؤالك أو أعرض عن الإجابة عليه كما توهمت، غير أنني لا أخفي تعجبي من فرط همك بمعرفة الجواب، والوقوف على حقيقة هذا الأمر الأخرى، وهنا لا بد من أن نعلم - أيضاً- أن الجنة دار نعيم وسرور وحبور، ليس فيها هم ولا غم ولا حزن، ولا ما يكدر صفو العيش، لا يمس أهلها نصب ولا لغوب،

(١) سورة الصافات(48).

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^(١)، وجاء في الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى فَيَقُولَ لَهُ هَلْ تَمَنَيْتَ فَيَقُولَ نَعَمْ فَيَقُولَ لَهُ فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(٢)، وبهذا يعلم أن النساء من أهل الجنة لا يتألمن ولا يؤذين ولا يكدر صفو عيشهن مكدر، وأما ما سألت عنه فسأنقل لك فيه نص جواب للشيخ محمد بن صالح الحنبلي - رحمه الله - وقد سئل عما ذكر من أن للرجال الحور العين، فما للنساء؟ فأجاب بقوله: يقول الله - تبارك وتعالى - في نعيم أهل الجنة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾^(٣) نَزْلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ^(٤)، ويقول تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥) ومن المعلوم أن الزواج من أبلغ ما تشتهيه النفوس فهو حاصل في الجنة لأهل الجنة ذكوراً أم إناثاً، فالمرأة يزوجها الله تبارك وتعالى في الجنة بزوجها الذي كان زوجاً لها في الدنيا كما قال تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٥) وسئل أيضاً عن المرأة

(١) الزخرف(71)

(٢) رواه مسلم في صحيحه(167/1)

(٣) فصلت (31-32).

(٤) الزخرف(71).

(٥) غافر (8).

التي لها زوجان في الدنيا فمع من تكون منهما؟

ولماذا ذكر الله الزوجات للرجال ولم يذكر الأزواج للنساء؟ فأجاب بقوله: إذا كانت المرأة لها زوجان في الدنيا فإنها تخير بينهما يوم القيامة في الجنة، وإذا لم تتزوج في الدنيا؛ فإن الله تعالى يزوجهما ما تقر به عينها في الجنة، فالنعيم في الجنة ليس مقصوداً على الذكور، وإنما هو للذكور والإناث، ومن جملة النعيم الزواج.

وقول السائل: إن الله تعالى ذكر الحور العين وهن زوجات ولم يذكر للنساء أزواجاً فنقول: إنما ذكر الزوجات للأزواج؛ لأن الزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة، فلذلك ذكرت الزوجات للرجال في الجنة وسكت عن الأزواج للنساء، ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج؛ بل لهن أزواج من بني آدم، والله الموفق.

السؤال رقم (134): هل صحيح أن الإنسان يُنادى عليه يوم القيامة باسم أمه سترًا على من ولد بطريق غير شرعي؟

الجواب: الذي ورد في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ تُدْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَحَسِّنُوا أَسْمَاءَكُمْ» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

ولكن جاء في حديث تلقين الميت أن الملقن يناديه بقوله: يا فلان ابن فلانة، وأن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف ينسبه إذا لم يعرف أمه؟ قال «ينسبه إلى حواء». فكيف نوفق بين الحديثين؟ المعروف أن أقوى الحديثين هو الذي يقدم إذا لم يمكن التوفيق بينهما، وقال النووي عن هذا الحديث إنه ضعيف

فيقدم عليه الحديث الأول . وعليه فيكون النداء يوم القيامة باسم الأب .
وقد يقال: إن حديث التلقين وإن كان ضعيفاً يراد بذكر أم الميت أنها هي المعروفة بيقين أنها أمه ، أما أبوه فقد يكون غير ما اشتهر به الميت فيعتمد على المتيقن وهو نسبه إلى الأم . أما في يوم القيامة فالله تعالى والملائكة هم الذين ينادون الميت بالقيام من القبر وبالحشر وبالحساب وغير ذلك ، والأب الحقيقي معروف فيعتمد عليه في الانتساب ، لأن الانتساب شرعاً هو للأب أصلاً ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال .

السؤال رقم (135) إذا كانت الحور العين جزاء للمؤمنين في الجنة فماذا يكون جزاء المؤمنات؟

الجواب: للإجابة على السؤال لا بد من ذكر هذه المقدمة حيث تثار الآن قضية المساواة بين الجنسين .

1 - المساواة في مفهومها الصحيح هي إتاحة الفرصة لكل من الرجل والمرأة أن يكمل نفسه مادياً وأدبياً ، وبهذه الإتاحة تكون المساواة ، بصرف النظر عن حجمها ونوعها ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: 32) وقال تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: 195) . وذكر حديث وافدة النساء أن حسن قيام المرأة بواجبها نحو زوجها وأولادها يعدل ما يقوم به الرجل من مهام .

2 - وقد جعل الله تعالى لكل من الرجل والمرأة خصائص واستعدادات تتناسب مع الدور الحيوي الذي يؤديه في الدنيا، في جو من التعاون على تحقيق الخلافة في الأرض، فالخصائص البيولوجية مختلفة فيهما، وليست متساوية تماماً، ولها تأثير على الفكر والعاطفة، وبالتالي على السلوك، وعلى أساسها كان توزيع الاختصاص في هذه الشركة التعاونية قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: 34)، ومن هنا لا يصح أن يقول واحد منهما: لماذا لا يعطيني الله مثل ما أعطى الآخر، وإلا لما كان هناك داع إلى خلق نوعين، وقد جاءت الأديان كلها مقررّة لهذه الحقيقة، وعلى أساسها وضعت التشريعات السماوية، بل الوضعية أيضاً.

3- من المعلوم أن الرجل صالح في كل وقت - إذا لم يكن هناك موانع - لإتمام عملية الإخصاب من أجل التناسل الذي هو المهمة الأولى لخلق الذكر والأنثى من كل صنف من المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: 49)، أما الأنثى فهي غير مستعدة لذلك إلا بنسبة ضئيلة، وهي يوم أو يومان في كل شهر عند نضج البويضة، ولا يكون هناك في الأعم الأغلب إلا حمل واحد في كل عام، فإذا شغلت بحمل فلا يمكن لحمل آخر أن يزاحمه أو يفسح له المجال. ولأجل أن الغرض من هذا التكوين هو تنظيم التناسل والشهوة أباحت الأديان كلها تعدد الزوجات لرجل واحد، وحرمت تعدد الأزواج لامرأة واحدة، لأنه سيكون لمجرد إرضاء الشهوة لا غير. وما يقال عن عدم التعدد في ديانات غير الإسلام فهو

تعاليم كنسية ليست من الشريعة الموحى بها .

4 - ليكن من المعلوم أن قوانين الآخرة لا توافق دائماً قوانين الدنيا ، فالأكل هنا هو للشبع وتتبعه فضلات قدرة ، وليس الأمر كذلك في الجنة ، والزواج هنا للحاجة إلى النسل ولا حاجة إليه في الجنة ، وإن كانت للبعض رغبة في الولد فلا يتحتم أن يكون عن طريق الولادة .

وما يجيء من التشابه في النصوص المتصلة بالأكل والشرب والمتع في الجنة فهو أسلوب يقرب المعنى إلى الأذهان بالمعهود عند الناس ، ذلك لأن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وهناك عبارة مشهورة تقول: كل ما خطر ببالك فالجنة على خلاف ذلك .

ويظهر ذلك الاختلاف في القوانين في الخمر التي جاء فيها ﴿لَا فِيهَا عَوٌُّ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُرْفَوْنَ﴾ (الصفات: 47) وفي الحور العين اللاتي وصفهن الله تعالى بقاصرات الطرف ، أي لا يحببن غير أزواجهن ، ولا يشتهين غيرهم ، ولا توجد غيرة بينهن إذا تعددن لرجل واحد ، وهذا أمر يتناقض مع الطبيعة البشرية في الدنيا .

5- تحدث القرآن عن نعيم الجنة من الناحية الجنسية ، وركز على الرجل بالذات ، وأغراه بالعمل لدخول الجنة لينعم بزوجات فيهن كل الأوصاف المغرية ، وجاء في الحديث المتفق عليه بين البخاري ومسلم أن الرجل الواحد سيكون له أكثر من زوجة ، فقد أخرج مسلم عن أيوب عن مُحَمَّدٍ قَالَ: إِنْ الصَّحَابَةُ إِذَا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكُرُوا الرَّجَالَ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرَ أُمَّ النِّسَاءِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَوْلَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ

الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبِ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ثِنْتَانِ يَرَى مِخُّ سَاقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزَّبُ» وجاء في أحاديث أخرجه الترمذي وصححها أن العبد يزوج في الجنة سبعين زوجة، وفي حديث لأحمد والترمذي وابن حبان أن أدنى أهل الجنة منزلة له ثنتان وسبعون زوجة.

فأين الحديث عن المتعة الجنسية للمرأة، وهل لها أن تتمتع بأكثر من رجل كما يتمتع الرجل بأكثر من امرأة؟ وإذا كانت مع زوجها في الجنة كما قال تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ (الرعد: 23-24)، فكيف تحس بالنعيم مع أن الغيرة تملأ قلبها من ضرائرها الحسناوات؟

أ- التركيز على نعيم الرجل لأن شهوته طاغية، فهو طالب لا مطلوب، فوعده الله تعالى بما يحقق رغبته في هذه اللذة إن جاهد نفسه وعف عن الحرام، أما المرأة فشهوتها ليست طاغية كما يقول المختصون، وإن اشتدت في فترة نضج البويضة يوماً أو يومين في الشهر فهي في غالب أيامها مطلوبة لا طالبة، وما قيل من أن شهوتها أقوى من شهوة الرجل بنسبة كبيرة فليس عليه دليل صحيح، والواقع خير دليل، ومع ذلك فلا تحرم المرأة من هذه اللذة في الجنة، وستكون مع زوجها ذلك ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: 55-56]، ومن لم تتزوج إما أن يزوجه الله تعالى - حيث لا يوجد عذب في الجنة - كما

في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم وأحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَهُ فِيمَا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكَرُوا فَقَالَ الرَّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ مِنَ النِّسَاءِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَوْلَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ مِنْ أُمَّتِي تَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يَرَى مِثْلَ سُوْقَيْهِمَا مِنْ وَرَاءِ الْحُلَلِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا فِيهَا مِنْ أَعْرَبٍ». وإما أن يمتعها بلذة أخرى تقنع بها.

ب - قد يكون هناك تعويض عن هذه اللذة بالقناعة بمنزلتها عند زوجها وبمتع أخرى يعلمها الله تعالى وحده ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الزخرف: 71.

وقد قيل: إن الله تعالى يكسوها جمالاً لا تحس معه نقصاً بالنسبة للهور العين، وأن لها السيادة عليهن، وهي لن تحب رجلاً غير زوجها كالهور العين قاصرات الطرف.

ج - ليس في الجنة غيره بين الزوجات - كما في الدنيا - لأنها تنغص النعيم، وليس فيها حسد ولا حقد ولا حزن ولا أي ألم أبداً، حتى تتم اللذة لأهل الجنة كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَُّنْقَلِبِينَ﴾ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿ (الحجر: 47-48)، وقال الله تعالى على لسان أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا

يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسُنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿ (فاطر: 34، 35).

السؤال رقم (136): كيف يعذب إبليس بالنار وهو مخلوق منها؟

الجواب: من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى خلق إبليس والجن من النار كما قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِن طِينٍ ﴾ (الأعراف: 2)، وقال تعالى: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُورِ ﴾ (الحجر: 27). ومن المعلوم أيضاً أن الله تعالى سيعذب إبليس ومن اتبعه بالنار، قال تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (سورة ص: 85).

ومعلوم أن العذاب: ألمٌ يؤثر في الجسم، وذلك يظهر في المخالفة بين طبيعة الجسم والأداة التي يكون بها العذاب، فكيف يحس الشيطان بعذاب النار، وطبيعته لا تختلف عن طبيعتها لأنه مخلوق منها؟
ويجاب عن ذلك بما يأتي:

1 - أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يحول طبيعة الشيطان حتى يحس بعذاب النار، ذلك أن الشيطان قد يتشكل بأشكال تحكم عليه طبيعتها لا طبيعته، فهو يسكن في أماكن وينام ويجلس ويلبس الملابس التي لم يذكر اسم الله تعالى عليها، ويدخل البيوت إذا لم يسم صاحبها وهو داخل، كما جاءت بذلك الأحاديث، ومع ذلك لم تحرق هذه الأشياء التي يتصل بها. وقد ثبت أن الشيطان تفلت على النبي ﷺ في صلاته يريد أن يفسدها، فخنقه النبي ﷺ وأحس ببرد لسانه على يده كما جاء في بعض الروايات، فلو بقي الشيطان على طبيعته النارية لأحرقت ما مسته يده.

وسيدنا آدم عليه السلام، مع أنه خلق من طين، جعلت لطبيعته خصائص ليست كخصائص الطين ما دامت روحه فيه، فلا يمكن غرس شجرة في جسم الإنسان كما تغرس في الطين وهكذا.

2- يجوز أن يجعل الله تعالى من النار نفسها نوعاً أقوى من النار التي خلق منها إبليس فيحس بعذابها إذا دخلها، والنار نفسها درجات بعضها أشد من بعض.

3 - ليس كل العذاب في النار إحراقاً للجسم وإيلاًماً له بسببها، ففيها حيات وعقارب ومقامع من حديد يضرب بها المعذبون، وفيها سلاسل وقيود، وفيها شجرة الزقوم التي قال الله تعالى فيها: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامٌ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ (الدخان: 43، 46)، وقال تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (الصفوات: 62-66)، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (الغاشية: 6، 7).

فألوان العذاب متعددة، يجوز أن يجعل الله تعالى منها للشيطان ما يحقق الغرض من تعذيبه، ومهما يكن من شيء فإن قوانين الآخرة غير قوانين الدنيا، وما دام الله سبحانه وتعالى قد حكم بالعذاب على الشيطان فسيتحقق العذاب بالصورة التي يراها هو، والمهم أن نعمل جاهدين حتى لا نكون من أعوانه.

السؤال رقم: (137) تزوجت امرأة في حياتها أكثر من زوج، أحدهم بعد الآخر، فإذا ماتت فهل ستكون يوم القيامة زوجة للأول؟ أم للآخر؟
الجواب: هناك رأيان للعلماء في ذلك، رأي يقول: إنها لآخر أزواجها، ودليله أن هجيمة بنت حبي الأوصابية أم الدرداء الصغرى خطبها معاوية بن أبي سفيان، فأبت وقالت: سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْأَةُ لِأَخْرِ أَزْوَاجِهَا» ولست أريد بأبي الدرداء بديلاً⁽¹⁾، وهو حديث صحيح رواه الطبراني وأبو يعلى برجال ثقات ولفظه: «أيما امرأة توفي عنها زوجها فتزوجت بعده فهي لآخر أزواجها» وكما فعلت أم الدرداء فعلت زوجة حذيفة⁽²⁾.

ورأي يقول: إنها ستكون لأحسنهم خلقاً، وإن خيرت بينهم اختارته، واستأنس أصحاب هذا الرأي بحديث رواه الطبراني في معجمه الكبير عن أنس رضي الله عنه قال: «قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَرْأَةُ مِنَّا يَكُونُ لَهَا فِي الدُّنْيَا زَوْجَانِ، ثُمَّ تَمُوتُ، فَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ هِيَ وَزَوْجَاهَا، لَأَيَّهِمَا تَكُونُ، لِلأَوَّلِ؟ أَوْ لِلأَخِيرِ؟ قَالَ: تُخَيَّرُ أَحْسَنَهُمَا خُلُقًا كَانَ مَعَهَا فِي الدُّنْيَا، فَيَكُونُ زَوْجَهَا فِي الْجَنَّةِ، يَا أُمَّ حَبِيبَةَ، ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا، وَخَيْرِ الآخِرَةِ»⁽³⁾.

جاء في فتاوى الإمام الرملي (286/6): الْمَرْأَةُ إِذَا كَانَ لَهَا أَزْوَاجٌ

(١) (المطالب العالية لابن حجر ج 2 ص 67، والجامع الصغير).

(٢) (تفسير القرطبي سورة الأحزاب ص 229).

(٣) رواه الطبراني والبخاري

كَانَتْ زَوْجَةً لِمَنْ كَانَ زَوْجُهَا آخِرًا فَقَدْ قَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه إِنَّ سَرَكَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الْجَنَّةِ فَلَا تَتَزَوَّجِي مِنْ بَعْدِي فَإِنَّ الْمَرْأَةَ لِآخِرِ أَزْوَاجِهَا وَخَطَبَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه أُمَّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها فَأَبَتْ وَقَالَتْ سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «الْمَرْأَةُ لِآخِرِ أَزْوَاجِهَا فِي الْآخِرَةِ» وَقَالَ إِنْ أَرَدْتِ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الْآخِرَةِ فَلَا تَتَزَوَّجِي مِنْ بَعْدِي وَقِيلَ إِنَّهَا تَكُونُ زَوْجَةً لِأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا وَقِيلَ إِنَّهَا تَتَخَيَّرُ، وَأَمَّا الرَّجُلُ إِذَا تَزَوَّجَ زَوْجَاتٍ فَإِنْ لَمْ يُطَلِّقْ بَعْضَهُنَّ كُنَّ كُلُّهُنَّ زَوْجَاتٍ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ طَلَّقَ بَعْضَهُنَّ وَتَزَوَّجَنَ غَيْرَهُ كُنَّ لِأَزْوَاجِهِنَّ.

وجاء في الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (101/1): «فإن قلت: هذان الحديثان عن أم حبيبة وأم سلمة يخالفان حديث أبي الدرداء ي. قلت: لا مخالفة لإمكان الجمع بينهما بأن يحمل الأول على من ماتت في عصمة زوج وقد كانت تزوجت قبله بأزواج فهذه لآخريهم، وكذا لو ماتت واستمرت بلا زوج إلى أن ماتت فتكون لآخريهم لأن علاقته بها لم يقطعها شيء، وحمل الثاني على من تزوجت بأزواج ثم طلقوها كلهم فحينئذ تخير بينهم يوم القيامة فتختار أحسنهم خلقاً والتخيير هنا واضح لانقطاع عصمة كل منهم، فلم يكن لأحد منهم مرجح لاستوائهم لوقوع علاقة لكل منهم بها مع انقطاعها فاتجه التخيير حينئذ لعدم المرجح، وبما سقته من حديث أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما يعلم أن التخيير المذكور في الحديث.

ولعلّ القول بأنها تكون لأحسنهم خلقاً أنسب لما تكون عليه الجنة من نعيم عظيم لا غلّ فيه ولا هم ولا حزن.

والأفضل أن نترك الأمر إلى الله تعالى ، فهو من المغيبات التي لا نلتزم في اعتقادها إلا بخبر قاطع في ثبوته ودلالته .

السؤال رقم (138): كيف رأى رسول الله ﷺ وهو في رحلة الإسراء أناساً يُعذبون ويحاسبون على أعمالهم رغم أن يوم القيامة لم يأت بعد؟

الجواب: ما رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء هو صور ونماذج لما يكون عليه الحال يوم القيامة ، أو هو تعبير عن الواقع لهؤلاء الناس في القبور ، ففي القبر نعيم وعذاب ، وذلك غير ما يكون يوم القيامة ، من نعيم في الجنة وعذاب في النار ، فالصور التي رآها الرسول في ليلة الإسراء ، وحتى ما رآه مناماً - ورؤيا الأنبياء حق: من أن ملكين أخذه ومرا به على صور وأشكال لمن ينامون عن الصلاة ومن يأكلون الربا ومن يزنون وخطباء الفتنة ، ومن ينفقون للجهاد في سبيل الله - هذه الصور إما رموز لما سيكون عليه الحال يوم القيامة ، وإما حقيقة لما يكون عليه هؤلاء في القبور .

السؤال رقم: (139) أيهما أعلى مقاماً الصحبة؟ أم مقام من يدخل الجنة بغير حساب؟

مقام الصحبة فوق من يدخل الجنة بغير حساب وذلك للأدلة الكثيرة منها: أخرج ابن ماجه وأحمد في المسند والطبراني وابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان وابن حبان في صحيحه والبخاري بأسانيد ورجال بعضها عند الطبراني والبخاري والبيهقي .

عَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا

بِالْكَدِيدِ أَوْ قَالَ بِقُدَيْدٍ فَجَعَلَ رِجَالٌ مِّنَّا يَسْتَأْذِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ فَيَأْذِنُ لَهُمْ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ مَا بَالُ رِجَالٍ يَكُونُ شِقُّ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَلِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ فَلَمْ نَرِ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا بَاكِيًّا فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ الَّذِي يَسْتَأْذِنُكَ بَعْدَ هَذَا لَسَفِيهٌ فَحَمِدَ اللَّهَ وَقَالَ حِينَئِذٍ أَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سَلِكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ وَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ مِنِّي مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ تَبَوَّؤُوهَا أَنْتُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِكُمْ وَأَزْوَاجِكُمْ وَذُرِّيَّاتِكُمْ مَسَاكِينَ فِي الْجَنَّةِ وَقَالَ إِذَا مَضَىٰ نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ قَالَ ثُلُثَا اللَّيْلِ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي مَنْ ذَا يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ مَنْ الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِيهِ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ» .

السؤال رقم: (140) هل صحيح أن الذين يستظلون في ظل عرش الرحمن أكثر من سبعة؟

الجواب: نعم لقد وردت عدة أحاديث في بيان المستظليين في ظل العرش يوم القيامة تفيد أن العدد لا يقتصر على سبعة فقط، والأرقام التي سأوردها لا تفيد التسلسل للأحاديث وإنما تفيد عدد الأصناف الواردة في الأحاديث مضافة لما قبلها، وهذه بعض منها:

1-7- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ

طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ» .

8- ما أخرجه مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمِ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» وأخرجه مسلم والترمذي وغيرهما .

9-10- ومنهم: عن أبي اليسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» . قال السيوطي: هذا حديث صحيح .

11-12-13- ومنهم: عن عبد الله بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَعَانَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَارِمًا فِي عُسْرَتِهِ أَوْ مَكَاتِبًا فِي رَقَبَتِهِ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» . أخرجه أحمد والطبراني . قال السيوطي: هذا حديث صحيح .

14- ومنهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبعة في ظل العرش، يوم لا ظل إلا ظله..... ثم قال: ورجل كان في سرّة مع قوم، فلقوا العدو، فانكشفوا، فحمى آثارهم، حتى نجوا، ونجا أو استشهد» . قال السيوطي هذا حديث حسن .

15- ومنهم: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه، أظله الله تحت عرشه، يوم لا ظل إلا ظله: الوضوء على المكاره، والمشي إلى المساجد في الظلم، وإطعام الجائع» . ابن حجر في الفتح .

16- ومنهم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التاجر

الصدوق تحت ظل العرش ، يوم القيامة» .

17- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: «أظل الله في ظله يوم القيامة ، من أنظر معسراً ، أو أعان أخرق» .

18-19- وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كفل

يتيماً أو أرملة أظله الله في ظله يوم القيامة» .

20- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى ، قال لموسى

عليه السلام: «إن أحببت أن تسكن في ظل عرشي ، يوم لا ظل إلا ظلي ، فكن لليتيم

كالأب الرحيم ، وكن للأرملة كالزوج العطوف» .

21- وقال ابن المبارك في (الزهد): حدثنا صالح المري عن أبي عمران

الجوني قال: قرأت في مسألة داود ربه: «إلهي ، ما جزاء من يسند اليتيم

والأرملة ، ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن أظله في ظلي ، يوم لا ظل إلا

ظلي» .

22- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوحى الله إلى إبراهيم

عليه السلام: «يا خليلي ، حسن خلقك ، ولو مع الكفار ، تدخل مداخل الأبرار ،

وإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ، أن أظله تحت عرشي ، وأسقيه من

حظيرة قدسي ، وأدنيه من جواربي» .

23- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَتَدْرُونَ مَنْ السَّابِقُونَ

إِلَى ظِلِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا

الْحَقَّ قَبِلُوهُ وَإِذَا سُئِلُوهُ بَدَلُوهُ وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ» .

24- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلّ على الجنائز ،

لعل ذلك يحزنُك، فإن الحزينَ في ظل الله».

25- عن أبي رجاء العطاردي قال: سمعت أبا بكر الصديق وهو على المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالي العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض، فمن نصحه في نفسه وفي عباد الله، حشره الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومن غشه في نفسه وفي عباد الله، خذله الله يوم القيامة».

26- عن أبي نصيرة سمعت أبا رجاء العطاردي عن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «يا رب ما لمن عزى الثكلى؟ قال: أظله بظلي يوم لا ظل إلا ظلي».

27- حدثنا أبو عبد الله الصنابحي سمعت أبا بكر الصديق يقول على المنبر: قال النبي ﷺ: «من سره أن يقيه الله من فور جهنم، يوم القيامة، ويجعله في ظله، فلا يكون غليظاً على المؤمنين، وليكن بهم رحيماً».

28-29-30- قال أبو الشيخ ابن حيان في الثواب: حدثنا الهيثم بن جمار عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله: واصل الرحم، يزيد الله في رزقه، ويمد في أجله، وامرأة مات زوجها، وترك لها أيتاماً صغاراً، فقالت: لا أتزوج، أقيم على أيتامي، حتى يموتوا، أو يغنيهم الله، وعبد صنع طعاماً، فأضاف ضيفه، وأحسن نفقته، فدعا عليه اليتيم والمسكين، فأطعمهم لوجه الله».

أخرجه الأصبهاني في الترغيب، وأخرجه الطبراني في ترغيبه من طريق آخر، عن الهيثم به، بلفظ: «رجل وُصُولٌ لرحمه، متعطف عليهم، ورجل

صنع طعاماً ، فأطابه ، فدعا عليه الفقراء والمساكين ..» الحديث .

31-32-33- وقال الطبراني: حدثنا عمر بن علي عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة في ظل الله يوم القيامة: رجل حيث توجه ، علم أن الله معه ، ورجل دعت امرأة إلى نفسها ، فتركها من خشية الله ، ورجل يحب الناس لجلال الله» .

34- عن علي بن رباح سمعت وهباً الزماري يحدث عن فضالة بن عبيد: أن داود عليه السلام قال: «يا رب أخبرني ، بأحبابك من خلقك ، أحبهم لك ، قال: ذو سلطان يرحم الناس ، ويحكم للناس كما يحكم لنفسه ، ورجل آتاه الله مالاً ، فهو ينفق منه ابتغاء وجه الله ، وفي طاعة الله ، ورجل يفني شبابه وقوته في طاعة الله ، ورجل كان قلبه معلقاً في المساجد ، من حبه إياها ، ورجل لقي امرأة حسناء ، فأمكنته من نفسها ، فتركها من خشية الله ، ورجل حيث كان يعلم أن الله تعالى معه ، نقيه قلوبهم ، طيبة كسبهم ، يتحابون لجلالي ، أذكرهم ، ويذكرونني ، بذكري ورجل فاضت عيناه من خشية الله ﷻ» .

35- عن مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجوع في الدنيا ، هم الذين يقبض الله أرواحهم ، وهم الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإن شهدوا لم يعرفوا ، أخفياء في الدنيا ، معروفون في السماء ، إذا رأهم الجاهل ظن بهم سقماً ، وما بهم سقم إلا الخوف من الله ، يستظلون يوم القيامة ، يوم لا ظل إلا ظله» .

36- عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم ، وحب أهل

بيته ، وعلى قراءة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ، مع أنبيائه وأصفیائه» .

37-38- عن سهیل بن أبی صالح عن أبیه عن أبی هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه ، يوم لا ظل إلا ظله: إمام مقسط ، ورجل لقيته امرأة ذات جمال ومنصب ، فعرضت نفسها عليه ، فقال: إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تعلم القرآن في صغره ، فهو يتلوه في كبره ، ورجل تصدق بصدقة بيمينه ، فأخفاها عن شماله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجل لقي رجلاً ، فقال له: إني أحبك في الله ، ورجل ذكر الله بين يديه ، ففاضت عيناه خشية من الله» .

39-40-41- عن أبی الدرداء رضي الله عنه قال: قال موسى بن عمران عليه السلام: «يا رب من يساكنك في حظيرة القدس ، ومن يستظل بظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، قال: أولئك الذين لا تنظر أعينهم في الزنى ، ولا يبتغون في أموالهم الربا ، ولا يأخذون على أحكامهم الرشا ، أولئك طوبى لهم ، وحسن مآب» .

42-43-44- عن أبی هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله التاجر الأمين ، والإمام المقتصد ، وراعي الشمس بالنهار» . (أي المؤذنون)

45- وأخرج أحمد في الزهد عن أبی الدرداء رضي الله عنه قال: «إن أحب عباد الله إلى الله لرعاة الشمس والقمر» .

46-47-48- وفي الفردوس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول

الله ﷺ: «ثلاثة تحت عرش الله يوم لا ظل إلا ظله: من فرج عن مكروب أمتي، ومن أحيا سنتي، ومن أكثر الصلاة علي».

49-50-51- قال إبراهيم بن الأشعث سمعت فضيل بن عياض يقول: بلغني أن موسى عليه السلام قال: «يا رب من يظل تحت ظل عرشك، يوم لا ظل إلا ظلك؟ قال: يا موسى؛ الذين يعودون المرضى، ويشيعون الهلكى، ويعزون الثكلى».

قال السيوطي: بذلك يعرف أن كل خصلة من الثلاثة مستقلة بالإِظلال، وبه إلى إبراهيم بن الأشعث حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن أبيه قال: كان يقال: «ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة: عائد المرضى، ومشيح الهلكى، ومعزي الثكلى».

52- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: قربوا أهل لا إله إلا الله، من ظل عرشي، فإني أحبهم» (أي المكثرين في ذكرهم من لا إله إلا الله).

53- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله تحت ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله: رجل قلبه معلق بالمساجد، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجلان تحابا في الله، ورجل دعت امرأته ذات منصب، فقال: إني أخاف الله، ورجل غض عينه عن محارم الله، وعين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله».

54- عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «سبعة في ظل الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله: رجل لقي أخاه، فقال: إني أحبك في الله، وقال الآخر: مثل

ذلك ، ورجل ذكر الله ففاضت عيناه من مخافة الله ، ورجل يتصدق بيمينه ، يخفيها من شماله ، ورجل دعت امرأه ذات حسب وجمال إلى نفسها ، فقال : إني أخاف الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد من حبها ، ورجل يراعي الشمس ، لمواقيت الصلاة ، ورجل إن تكلم تكلم بعلم ، وإن سكت سكت على حلم» .

55- عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً قال : «يؤتى يوم القيامة بالمتقاعسين - وهم أطفال المؤمنين - اشتد عليهم الموقف ، فيتصايحون ، فيقول : يا جبريل أظلمهم تحت ظل عرشي ، فيظلمهم» .

- عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ذاري المسلمين يوم القيامة تحت العرش ، شافع ومُشفَع» .

56- عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الشهداء عند الله على منابر من ياقوت ، في ظل عرش الله ، يوم لا ظل إلا ظله» .

57- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الشهداء ثلاثة : رجل خرج بنفسه وماله ، محتسباً في سبيل الله ، لا يريد أن يقاتل ولا يقتل ، يكثر سواد المسلمين ، فإن مات أو قتل ، غفرت له ذنوبه كلها ، وأجير من عذاب القبر ، ويؤمن من الفزع الأكبر ، ويزوج من الحور العين ، ويوضع على رأسه تاج الوقار والخلد .

والثاني : خرج بنفسه وماله محتسباً ، يريد أن يقتل ولا يقتل ، فإن مات أو قتل ، كانت ركبته مع إبراهيم خليل الرحمن بين يدي الله تبارك وتعالى ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

والثالث : خرج بنفسه وماله ، محتسباً ، يريد أن يقتل ويقتل ، فإن مات

أو قتل، جاء يوم القيامة، شاهراً سيفه، واضعه على عاتقه، والناس جاثون على الركب، يقولون: ألا أفسحوا لنا، حتى يأتوا مناير من نور، تحت العرش، فيجلسون عليها، ينظرون كيف يقضى بين الناس». .

58- عن وهب بن منبه قال: قال موسى عليه السلام: «إلهي، ما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى، أظله يوم القيامة بظل عرشي، وأجعله في كنفِي». .

59-60-61-: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله أخبرني بجلساء الله، يوم القيامة؟ قال: هم الخائفون المتواضعون، الذاكرون الله كثيراً، قال: يا نبي الله، أفهم أول الناس، يدخلون الجنة؟ قال: لا قال فمن أول الناس يدخل الجنة؟ قال: الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة، فيخرج إليهم منها ملائكة، فيقولون: ارجعوا إلى الحساب، فيقولون: علام نحاسب!! والله ما أفيضت علينا أموال، نقبض فيها ولا نيسط، وما كنا أمراء، فنعدل أو نجور، بل جاءنا أمر الله، فعبدناه، حتى أتانا اليقين». .

62- عن كعب بن عجرة قال: أوحى الله إلى موسى في التوراة: «يا موسى، من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ودعا الناس إلى طاعتي، فله صحبتي في الدنيا، وفي القبر، وفي القيامة ظلي». .

63-64-65-66-67- وقال الإمام أحمد في الزهد عن عطاء بن يسار: إن موسى عليه السلام، سأل ربه تعالى، فقال: «يا رب، أخبرني بأهلك، الذين هم أهلك، الذين تؤويهم في ظل عرشك، يوم لا ظل إلا ظلك؟ قال: هم الطاهرة قلوبهم، البريئة أيديهم، الذين يتحابون لجلالي،

الذين إذا ذكرت ذكروا بي ، وإذا ذكروا ذكرت بهم ، الذين يسبغون الوضوء في المكاره ، وينيون إلى ذكري ، كما تنيب النسر إلى وكرها ، ويغضبون لمحارمي إذا استحلت ، كما يغضب النمر إذا حرب ، ويكلفون بحبي ، كما يكلف الصبي بحب الناس» .

68-69- حدثنا أبو إدريس عائذ الله الخولاني قال: قال موسى: «رب من في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك؟ قال: الذين أذكركم ويذكرون ، ويتحابون لجلالي ، فأولئك في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي قال: يا رب من يسكن حظيرة القدس عندك؟ قال: الذين لا تنظر أعينهم في الزنى ، ولا يضعون في أموالهم الربا ، ولا يأخذون على أحكامهم الرشا ، في قلوبهم الحق ، وعلى ألسنتهم الصدق» .

70- عن عمرو بن ميمون قال: «لما تعجل موسى إلى ربه ، رأى رجلاً في ظل العرش ، فغبطه بمكانه ، وقال: إن هذا لكريم على الله ، فسأل ربه أن يخبره باسمه ، فقال: لكن سأنبئك من عمله كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يمشي بالنميمة ، ولا يعق والديه» . أخرجه الإمام أحمد في الزهد .

71- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن موسى لما قربته الله نجياً بطور سيناء ، أبصر عبداً جالساً في ظل العرش ، سأله: أي رب من هذا؟ قال: هذا عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، برُّ بالوالدين ، لا يمشي بالنميمة» .

72- وأخرجه البيهقي في الشعب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعجل موسى إلى ربه ، فرأى في ظل العرش رجلاً ، فعجب له ، وقال: من هذا

يا رب؟ قال: لا أحدثك من هو، ولكن سأخبرك بثلاث فيه: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة».

73- وأخرج ابن أبي الدنيا قال: قال النبي ﷺ: «مررت ليلة أسري

بي برجل مغيب في نور العرش، قلت: من هذا؟ ملك؟؟ قيل: لا قلت: نبي؟؟

قيل: لا قلت: من هو؟ قال: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله،

وقلبه معلق بالمساجد، ولم يَسْتَسِبَّ لوالديه قط».



باب القرآن وتفسيره

فصل في علوم القرآن

السؤال رقم: (141) ما هي الآيات والسور التي ورد في فضل قراءتها

زيادة في الأجر على غيرها؟ وما السر والحكمة في زيادة الأجر فيها؟

الجواب: لقد ورد جملة من الأحاديث النبوية الشريفة في فضل بعض

من سور القرآن على غيرها، منها:

1- أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: بات فتادة بن النعمان يقرأ

اللَّيْلَ كُلَّهُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَتَعْدِلَ نِصْفَ الْقُرْآنِ أَوْ ثُلُثَهُ».

2- وأخرج الترمذي والحاكم في مستدركه: «عن عطاء عن ابن عباس

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إِذَا زُلْزِلَتْ تَعْدِلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ ».

3- وجاء في مسند أحمد والترمذي وقال الترمذي هذا حديث حسن

صحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَلَا أَعَلَّمَكُمُ سُورَةَ مَا أُنزِلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي

الْقُرْآنِ مِثْلَهَا؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ لَا أَخْرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ حَتَّى

تَعَلَّمَهَا، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَذَ بِيَدِي فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي حَتَّى

بَلَغَ قُرْبَ الْبَابِ، قَالَ: فَذَكَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ السُّورَةَ الَّتِي قُلْتَ لِي؟

قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا قُمْتَ تُصَلِّي؟ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، قَالَ: هِيَ هِيَ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْ بَعْدُ.

4- أخرج الترمذي والدارمي عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ يَسُ، مَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ».

5- وروى أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ».

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم خِيبَاءَهُ عَلَى قَبْرِ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا فَآتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ضَرَبْتُ خِيبَائِي عَلَى قَبْرِ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

6- وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا زُلْزِلَتْ تَعْدِلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ! وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ!».

7- وروى الترمذي والدارمي عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ الثَّلَاثَ آيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ إِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ

قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بَيْتَكَ الْمَنْزِلَةَ» .

8- وروى الترمذي والدارمي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ قَرَأَ كُلَّ يَوْمٍ مِئْتِي مَرَّةً ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مُحِيَّ عَنْهُ ذُنُوبَ خَمْسِينَ سَنَةً ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دَيْنٌ» .

9- وأخرج الدَّارِمِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خَمْسِينَ مَرَّةً ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَ خَمْسِينَ سَنَةً .

10- وأخرج الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَامَ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَنَامَ عَلَى يَمِينِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِئَةً مَرَّةً ، إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: يَا عَبْدِي ادْخُلْ عَلَى يَمِينِكَ الْجَنَّةَ» .

11- وفي الأذكار للنووي: عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ يَوْمَ وَلِيْلَةِ ابْنِغَاءٍ وَجْهَ اللَّهِ غُفِرَ لَهُ» .

12- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الدُّخَانِ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ مَغْفُورًا لَهُ» .

13- وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصَبَّهُ فَاقَةٌ» . وكان ابن مسعود يأمر بناته يقرأن بها في كل ليلة . رواه البيهقي في شعب الإيمان .

14- أخرج البيهقي في شعب الإيمان والحاكم وقال رواة هذا الحديث كلهم ثقات عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ

أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟ قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر؟

15- روى الدارمي عن سعيد بن المسيب مرسلًا عن النبي ﷺ قال من قرأ قل هو الله عشر مرات بُني له بها قصرٌ في الجنة ومن قرأ عشرين مرة بني له بها قصران في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بني له بها ثلاثة قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه والله يا رسول الله إذا لنكثرن قصورنا! فقال رسول الله ﷺ الله أوسع من ذلك .

16- وأخرج الترمذي وابن أبي شَيْبَةَ في مصنفه وَأَبُو الشَّيْخِ عن أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «... وَأَيَّةُ الْكُرْسِيِّ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ» قال السيوطي في الجامعين: رواه أبو الشيخ في الثواب، ورمز في الصغير لحسنه .

17- وفي البيهقي عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ، وَإِذَا زَلَزْتَ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ، وَإِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ» .

18- جاء في صحيح البخاري: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضى الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَاتِينَ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفَّتَاهُ». ومعنى (كَفَّتَاهُ) حفظناه من الشر ووقَّته من المكروه، وقيل أغنتاه عن قيام الليل وذلك لما فيهما من معاني الإيمان والإسلام والالتجاء إلى الله عز وجل والاستعانة به والتوكل عليه وطلب المغفرة والرحمة منه . وأما السر والحكمة في زيادة الأجر في ذلك: فإنه لا يمتنع ترتب الأجر الكثير على العمل اليسير لأسباب:

منها نفاسة العمل في نفسه، كالكتابة المحررة الجيدة التي يساوي السطر

منهما ديناراً، كما يحكى عن بعض الكتاب أنه كان إذا سئل الصدقة كتب للسائل سطرأ فيبيعه بدينار. ومنها عظم مصلحة العمل، كحركة هندسية يُصَلح بها قرص ببناء عظيم، أو يجري بها ماء إلى أرض، أو سقف بها اعوجاج في أمر ونحو ذلك ومنها كرم من صاحب العمل، مثل أن يسقط سوط الملك من يده، فيناوله إياه بعض العامة، فيعطيه على ذلك مالاً جزيلاً. وجاء في مناقب الشافعي للبيهقي: ويُرَوى عن الشافعي رضي الله عنه أن سوطه سقط من يده، فناوله إياه بعض العامة، فقال الشافعي لغلامه: أعطه ما معك من النفقة، فكان خمسين ديناراً، وقال: لو كان معنا غيرها لأعطيناه، وذلك لكرمه وسعة مروءته رضي الله عنه وإذا عرف ذلك فلا يبعد أن يعطي الله - عز وجل - قارئ سورة "الزلزلة" أجر قارئ نصف القرآن ببعض هذه الأسباب خصوصاً وقد ثبت بالسنة الصحيحة أن بعض القرآن أعظم وأفضل من بعض، كما ثبت أن الفاتحة أعظم السور، وآية الكرسي أعظم الآيات. فقد تختص هذه السورة بخصائص يعلمها الشرع تقتضي أن يرتب على قراءتها من الأجر ذلك، كما اختص بعض الأشخاص والأزمة والأمكنة والأحوال بخواص اختصت لأجلها بما ليس لغيرها من جنسها، وذلك كأشخاص الأنبياء والأولياء الذين ظهر على أيديهم من المعجزات والخوارق ما لم يظهر على أيدي غيرهم من الأشخاص، وكما اختص رمضان والأشهر الحرم ويوم الجمعة وليلة القدر ويوم عرفة وعاشوراء ونحوها من الأزمنة بخصائصها المشهورة شرعاً، وكما اختص المسجد الحرام بأن صلاة الفرض فيه أفضل منها في غيره وبسائر خصائصه.

واختصت المساجد الثلاثة بشد الرحال إليها، وتضاعف الصلاة فيها على غيرها، ونحو ذلك. وكما اختص حال الجهاد بتضاعف أجر الصوم فيه، كما

جاء في الحديث: صحيح البخاري ومسلم عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلوات الله وسلاماته عليه يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

في ذكر ما ظهر لي من مناسبة اختصاص هذه السور بما ذكر: أما توجيه أن "الزلزلة" تعدل نصف القرآن فلأن القرآن لا يخرج عن تقرير أمر معاش الناس ومعادهم.

وهذه السورة اختصت بذكر أمر المعاد من زلزلة الأرض عند قيام الساعة، وإخراج أبقالها وهم الموتى، إشارة إلى البعث. وتحديث أخبارها، وصدور الناس عنها أشتاتاً كأنهم جراد منتشر، ورؤية كل عامل ما عمل من خير أو شر، فلم تتضمن شيئاً غير ذكر المعاد. فلما اختصت بجنس نصف مضمون القرآن جاز أن يقال: إنها تعدل نصف القرآن، وصار هذا كما قيل: «إن الفرائض نصف العلم» كما كان للإنسان حالتا حياة وموت، وعلف الفرائض هو العلم المتعلقة بإحدى حالتيه وهو الموت، ولذلك سمي بنصف العلم.

وأما توجيه أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن فلأن القرآن باعتبار قسمة أخرى لا يخرج عن تقرير التوحيد والنبوة وأحكام اليوم الآخر. وهذه السورة اختصت بتقرير التوحيد. وذكره، ولم يذكر فيها غيره، فكانت بهذا الاعتبار تعدل ثلث القرآن، لاشتمالها على ثلث مضمونه وهو التوحيد.

وهذه القسمة لا تخالف ما ذكرناه من تضمن القرآن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لأن تقرير النبوة يتضمن إثبات الملائكة والكتب

والرسل ، لاستلزام النبوة نبياً يتلقى الوحي عن الله - عز وجل - بواسطة الملك .
وأما توجيهه أن ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن ، فلأن الخطاب في القرآن إما للمؤمنين أو للكفار ، والمؤمنون ضربان: أحدهما مؤمن بالكتاب الأول ، فخطوب بالإيمان بالكتاب الثاني وهو القرآن ،
الضرب الثاني: مؤمن بالكتاب الأول والآخر ، وهم هذه الأمة ، خوطبوا بتكميل الإيمان من فعل العبادات ونحوها من الفروع .
والكفار أيضاً ضربان: ضرب يخاطب بالدعاء إلى الإيمان .

وضرب يخاطب بالتبرؤ مما هو عليه نحو: سورة الكافرون ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ١ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخرها . فأمر النبي ﷺ أن يخاطبهم بأنه متبرئ منهم ومما يعبدون ، فكانت هذه السورة ربع القرآن بهذا الاعتبار .
وينبغي لمن تلا هذه السور الثلاث منفردة ، أو في جملة القرآن ، بادئاً من أوله أو من آخره في غير الصلاة أن يكرر سورة "الزلزلة" مرتين ، وسورة "الإخلاص" ثلاثاً ، وسورة "الكافرون" أربعاً ليستكمل بذلك ثلاث ختمات ،
أما في الصلاة ففي تكرار السورة خلاف مشهور ، وتفصيل بين الفرض والنفل .
وينبغي لمن كرر هذه السور أن يكرر البسملة في أول كل سورة بعدد قراءتها مرات ، لأنها آية من كل سورة .

وقولنا: هذه السورة تعدل نصف القرآن أو ثلثه أو ربهه يحتمل أنها تعدله في أجر قراءته ، ويحتمل أنها تعدله في اقتسام مضمونه ، وقد أشرنا إلى الاحتمالين جميعاً ، والله - عز وجل - أعلم بالصواب .

وقال الشيخ الرملي: أَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ

قَالَ: «مَنْ قَرَأَ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ عَدَلَتْ رُبْعَ الْقُرْآنِ وَمَنْ قَرَأَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ عَدَلَتْ نِصْفَ الْقُرْآنِ وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تَعَدَّلَ رُبْعَ الْقُرْآنِ، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعَدَّلَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

وَفِي كِتَابِ الرَّدِّ لِأَبِي بَكْرٍ الْأَنْبَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: «أَنَّ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تَعَدَّلَ رُبْعَ الْقُرْآنِ» وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ الْحَاكِمُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَالْبَيْهَقِيِّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعَدَّلَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». وَوَجْهُ كَوْنِ سُورَةِ الْقَدْرِ تَعَدَّلَ رُبْعَ الْقُرْآنِ أَنَّ مَقَاصِدَهَا مَحْصُورَةٌ فِي بَيَانِ التَّرْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ وَالأَحْكَامِ وَالقَصَصِ وَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى التَّرْغِيبِ.

وَوَجْهُ كَوْنِ سُورَةِ الْكَافِرُونَ تَعَدَّلَ رُبْعَ الْقُرْآنِ النَّظَرُ إِلَى أَنَّ مَقَاصِدَهَا فِي الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالأَوْعْدِ وَالأَوْعِيدِ، وَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى الأَمْرِ وَبِهَيْدِهِ الإِعْتِبَارَاتِ وَمَا شَابَهَا يُوجِبُهُ مَا وَرَدَ فِي غَيْرِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فَفِي ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ بِأَنَّ مُتَعَلِّقَهُ الدُّنْيَا وَالأَخْرَةَ وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِالأَخْرَةِ وَفِي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بِأَنَّ مَقَاصِدَهَا فِي بَيَانِ العَقَائِدِ وَالأَحْكَامِ وَالقَصَصِ وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِالعَقَائِدِ.

السؤال رقم (142): نريد شرح الحديث الشريف الذي يقول:
«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»؟

الجواب: هذا الحديث رواه البخاري، وتوضيح معناه يقتضينا أن نتحدث

عن معنى الخيرية، وعن السبب الذي من أجله كان تعلم القرآن وتعليمه بهذه المنزلة العالية، وعن الآثار الواردة في فضل التعلم والتعليم، وعن واجبنا نحو القرآن الكريم.

فمعنى: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أفضلكم من انتسب إلى القرآن عن هذه الصلة، وهل هو أفضل الناس على الإطلاق، أو أفضل جماعة معينة منهم؟ لقد ورد مثلاً قوله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله» رواه الترمذي والنسائي والحاكم. فهل الرجل الذي هو خير لأهله أفضل الناس جميعاً توفيقاً بين التعبيرات الواردة في بيان الأفضلية؟ قال العلماء: إن الأفضلية هنا نسبية، أو بالإضافة إلى جماعة معينة من الناس، فأفضل المشتغلين بالعلم هم المشتغلون بالقرآن، وأفضل المتعاملين مع الناس بالخير هم المتعاملون بالخير مع أهلهم. فكلُّ في بابِه أفضل وبالنسبة لجماعته ونوعه أشرف.

ولماذا كانت أشرف مهمة علمية هي ما كانت متصلة بالقرآن الكريم؟
الجواب وبالله التوفيق: أن القرآن كلام الله، وكل ما كان متصلاً بالله كان أشرف شيء في الوجود، وأن القرآن دستور الحياة المثالية دنيا وأخرى، وكل ما كان كذلك كانت الصلة به أشرف، والانتساب إليه أكرم، وكلام الله عند تلاوتنا له وتفقهنا فيه يزيدنا إيماناً بالله وإدراكاً لعظمته.

ودستور الحياة السعيدة كلما تعمقنا في حفظه ودراسته قويت الرغبة في احترامه والعمل على الاستفادة من هدايته. والمعرفة عن طريق القرآن معرفة صادقة، والتطبيق على أساسها مضمون النتيجة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَعَ

هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿ [طه: 123] ، وقال: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿
[إبراهيم: 2] .

وتعليمنا للقرآن نشرٌ لهديته ، وتوعية للناس بدستورهم ، وأساس لمعرفة
حقوقهم وواجباتهم ، والمعرفة هي طريق العمل ، والثقافة داعية
النهوض بالمجتمع . والقرآن بالذات جماع الثقافات الصحيحة
والمعرفة الصادقة ، ودعوته دعوة للحضارة الأصيلة الشاملة ، فهو ليس كتاباً
روحانياً محضاً يرتل للعبادة فحسب ، بل هو نظام حياة كاملة في جميع
قطاعاتها المادية والروحية ، إنه يدعو إلى العلم والعمل والتطور
والنهوض ، ويربِّي جيلاً قويَّ العقيدة ، مستقيمَ الفكر ، صافيَ النفس ، متين
الخلق ، جديراً بحياة كلِّها قوة ورخاء وازدهار .

ولأهمية القرآن وضرورته للحياة السعيدة جاءت النصوص الكثيرة
مرغبة في الإقبال عليه ، محذرة من التجافي عنه . ففي مجال
تعلّمه وقراءته وتدبره ودراسته والتفقه فيه جاء قول النبي ﷺ : «إن هذا
القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله
المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن
اتبه ، لا يزيغ فيستعجب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من
كثرة الرد ، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته ، كل حرف عشر حسنات ، أما إنني
لا أقول: ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف» رواه الحاكم
بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود .

وقال عقبة بن عامر: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال:

«أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم»؟ فقلنا: يا رسول الله كلنا يحب ذلك . قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل، خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع وأعدادهن من الإبل» رواه مسلم . وفي الحديث الشريف: «يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مئة ركعة» رواه ابن ماجه بإسناد حسن . وفيه أيضاً: «ومن سلك طريقاً يتغي به علماً سهلاً الله به طريقاً إلى الجنة» رواه مسلم . «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» رواه الترمذي وصححه .

وفي جانب تعليم القرآن ونشر هدايته جاءت نصوص كثيرة مرغبة فيه ، منها قوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» رواه البخاري . وهو نفسه كان معلماً ومرشداً كبقية الأنبياء والمرسلين ، وكفى بذلك شرفاً . قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: 45، 46] وجاء في حديث أبي ذر: «ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم، عمل به أو لم يعمل، خير من أن تصلي ألف ركعة» رواه ابن ماجه وحسنه . وجاء في الاجتماع على طلب العلم وتعليمه: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم . وجاء في معلم الناس الخير بوجه عام قوله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئاً» رواه مسلم .

وبعد، فإننا نهيب بالمسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها أن يعنوا بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتدبراً ودراسة وتطبيقاً وتنفيذاً، فبالقرآن تستقيم الألسنة باللغة، وتقوى العقيدة بالإيمان، وتتسع المدارك بالثقافة، وتزكو النفوس بالأخلاق، ويقوى المجتمع بالعمل، وتنهض الأمة بالنظام.

عليهم أن يُعَنُوا بالقرآن الكريم لِيُسَدُّوا منافذ العدو إلى العقائد والأخلاق، ولتبطل محاولات الاستعمار في الاعتداء على الأوطان، ولينهض المجتمع بما يدعو إليه من عمل على أساس العلم والإيمان.

لقد عني به السلف الصالح فعزُّوا، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. اقرؤوا القرآن فإنه يأتي شفيحاً لأصحابه يوم القيامة، ويقال لقارئ القرآن: اقرأ فارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، علموه أولادكم حتى يلبسكم الله تاجاً من نور يوم القيامة، كما وردت بذلك الأحاديث ولا تتخذوه مهجوراً، بل طبَّقوا مبادئه تُسعدوا في دنياكم وأخراكم، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿المائدة: 15-16﴾.

السؤال رقم (143): حين يقرأ الإنسان القرآن ثم تصادفه آية فيها كلمة السجود، هل يترك المصحف ويقوم لیسجد، أم يفعل ذلك بعد الانتهاء من قراءة القرآن؟

الجواب: من قرأ آية فيها سجدة أو سمعها يستحب له أن يسجد للتلاوة ، ولو لم يسجد لا عقوبة عليه ، وأوجبها أبو حنيفة فلو تركها عوقب عليها . ويرى جمهور الفقهاء أن السجود يكون عقب قراءة الآية مباشرة أو عقب سماعها ، فإن أُنْخِرَ السجود وطال الفصل سقطت السجدة ولا تقضى ، وإن كان الفصل قليلاً شرعت السجدة .

ومن هذا يعلم أن القارئ إذا وصل إلى آية السجدة وقرأها يترك المصحف أو القراءة ويسجد ، ثم بعد ذلك يتم قراءته إذا أراد ، ويدل عليه ما جاء في البخاري أن عمر رضي الله عنه قرأ على المنبر يوم الجمعة سورة النحل ، حتى جاء السجدة -يعني الآية التي فيها السجدة - فنزل وسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها ، حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس ، إنا لم نؤمر بالسجود ، فمن سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا إثم عليه .

هذا ، ويشترط لسجود التلاوة ما يشترط للصلاة من الطهارة واستقبال القبلة وستر العورة ، وذلك ما رآه جمهور الفقهاء . وكان ابن عمر يسجد بدون وضوء كما رواه البخاري ولم يوافق عليه إلا الشعبي كما قال صاحب الفتح ، أما الطهارة من الجنابة فلازمة لأن القراءة بدونها ممنوعة .

أما ما يقال في سجود التلاوة من الذكر فلم يصح فيه إلا حديث رواه الخمسة إلا ابن ماجه . فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول صلى الله عليه وسلم يقول في سجود القرآن: سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

السؤال رقم (144): ماذا يجب علينا إذا سمعنا آية قرآنية بها سجود

ونحن نسير في الطريق العام؟

الجواب: من قرأ أو سمع آية فيها سجود يسن له عند جمهور الفقهاء أن يسجد سجدة التلاوة، فإن لم يسجد فلا عقوبة عليه، لأنها سنة وليست واجبة إلا عند أبي حنيفة فقد جعلها واجبة. فإن كان طاهراً حين سماعها أو قرأها وجب عليه أن يسجد، وإلا فهي في ذمته يجب عليه أن يسجد بعد أن يتطهر.

فلو كان الإنسان ماشياً في الطريق العام وهو متوضئ وسمع آية فيها سجدة يسن له أن يسجد على أي مكان طاهر يكون قريباً منه، فإن لم يسجد فلا ذنب عليه ويقوم مقامها عند الشافعية أن يقول: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) أربع مرات، فذلك يجزئه عن سجدة التلاوة حتى لو كان متطهراً. وعلى رأي أبي حنيفة إن لم يتمكن من السجود في الطريق فليسجد عندما يصل إلى مكان يسهل عليه أدائه فيه، فإن وجوبها موسع عنده في هذه الحالة، والعمر كله فرصة لأدائها.

السؤال رقم: (145) ما هو سر الحروف المقطعة في أوائل بعض

السور، وهل هناك علاقة بينها وبين عددها في السور؟

الجواب: الحروف المقطعة في أوائل بعض السور للعلماء فيها موقفان: الموقف الأول أنها من المتشابه الذي يجب أن يوكل علمه إلى الله تعالى، والثاني أن لها معاني، واختلفوا في هذه المعاني، وكلها آراء اجتهادية، ولكنها على كل حال تبين للكفار - وهم أرباب الفصاحة والبلاغة - أن

القرآن كلام مركب من الحروف التي يتركب منها كلامهم ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله .

وقد قام بعض الناس بحصر الحروف الموجودة في آيات السورة التي بدئت بالحروف المقطعة فوجدوا أنها أكثر من الحروف الأخرى .

وهذا يزيد التأكيد أن حروف القرآن هي حروف كلام العرب ، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله ، وأوجه الإعجاز غير اللغوي كثيرة .

السؤال رقم: (146) كم قراءة وردت لقراءة القرآن الكريم بها؟ وهل هناك قراءات شاذة؟ وما أهمية تعدد القراءات؟

الجواب: ثبت في الأحاديث «إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ» واختلف العلماء في بيان المراد بالأحرف السبعة على أقوال كثيرة بلغت أربعين قولاً من أحسنها أنها الأوجه السبعة التي تختلف بها القراءة، باختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وغيرهما وباختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، وباختلاف التقديم والتأخير، وباختلاف الإبدال وباختلاف اللهجات .

والصحابه اختلف أخذهم عن الرسول ﷺ في هذه الوجوه، واشتهر منها ما يعرف بالقراءات السبع والقراءات العشر والقراءات الأربع عشرة، وأقواها هي السبع المنسوبة إلى الأئمة السبعة وهم: نافع وعاصم وحمزة وعبد الله بن عامر وعبد الله بن كثير وأبو عمرو بن العلاء، وعلي الكسائي . والقراءات العشر تزيد على ما سبق قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف والقراءات الأربع عشرة تزيد قراءة الحسن البصري، وابن مَحْيِصِن، ويحيى اليزيدي،

والشنبوذي .

والقراءات السبع متواترة، والمكملة للعشر قيل بتواترها وقيل بغير التواتر، وما بعدها فهي شاذة.

وضابط القراءات المقبولة: كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرًا ووافقت اللغة العربية ولو بوجه وصح إسنادها ولو كان عمّن فوق العشرة من القراء فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها.

وفائدة تعدد القراءات تظهر في التيسير من أجل القراءة والحفظ وذلك لاختلاف لهجات العرب وجاء ذلك مصرحاً به في صحيح مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ عِنْدَ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ آتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ، فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا» .

ومثل ما ورد في مسند أحمد عن حذيفة رضي الله عنه «أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ حِجَارَةِ الْمِرَاءِ فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أُرْسِلْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ إِلَى الشَّيْخِ وَالْعَجُوزِ وَالْغُلَامِ وَالْبَجَارِيَةِ وَالشَّيْخِ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ فَقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ» .

ومن الفوائد جمع الأمة على لسان واحد هو لسان قريش ، وقد يكون فيها بيان حكم من الأحكام مثل ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلِئَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾⁽¹⁾ ، فجاء في قراءة زيادة (من أم) بعد "أخ أو أخت" ومثل الكفارة بتحرير رقبة جاء في قراءة تقييدها بمؤمنة ومنها بيان لفظ مبهم مثل ﴿كَأَلِهِنَّ الْمَنْفُوشُ﴾⁽²⁾ قرئت كالصوف المنفوش .

إلى غير ذلك من وجوه التيسير والإفادة ، والموضوع ألفت فيه كتب كثيرة ، وعولج في مؤلفات "علوم القرآن" للسيوطي وغيره فليرجع إليها لمن أراد الاستزادة .

السؤال رقم: (147) هل صحيح أن النظر في المصحف عبادة؟

الجواب: روى البيهقي في شعب الإيمان عن النبي ﷺ أنه قال: «النَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ»، والنظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر إلى وجه الوالدين عبادة» وروى الطبراني والبيهقي حديثاً عن النبي ﷺ أنه قال: «قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضاعف ذلك إلى ألفي درجة» وروى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن عن النبي ﷺ أنه قال: «فضل القرآن نظراً على من قرأه ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة». وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان عمر إذا دخل البيت نشر المصحف يقرأ فيه . وعن الشعبي أنه كان يصلي العتمة-العشاء-ويضع المصحف في يديه

(١) النساء: 12

(٢) الفارعة: 5

فما يطبقه حتى الصبح ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل ، كان أبي يقرأ في كل يوم شيئاً من القرآن في المصحف لا يتركه نظراً .

وإن هذه الأحاديث- وإن كانت ضعيفة- والآثار ترغب في تلاوة القرآن الكريم ، وتبين فضل النظر في المصحف ، ولكن الفضل ليس لمجرد النظر ، بل للقراءة ، ومن هنا اختلف العلماء: هل القراءة من الحفظ أفضل أم من النظر في المصحف؟ قال النووي في كتابه "الأذكار ص111": قراءة القرآن في المصحف أفضل من حفظه ، هكذا قال أصحابنا ، وهو مشهور عن السلف ي ، وهذا ليس على إطلاقه ، بل إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكير وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل ، وإن استويا فمن المصحف أفضل ، وهذا مراد السلف .

السؤال رقم: (148) ما هي خواتيم الحشر وما ثواب قراءتها؟.

الجواب: خواتيم الحشر الواردة في الحديث «من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة» رواه ابن عدي ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والخطيب عن أبي أمامة . والمراد بها الآيات التي في آخر سورة الحشر وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿١﴾. وجاء في الترمذي وقال: إنه حسن غريب «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ الثَّلَاثَ آيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ إِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيداً وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ».

ومهما يكن من شيء فإن هذه الآيات فيها بعض أسماء الله الحسنى التي أمرنا أن ندعوه بها في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (2)، وقراءتها لها ثوابها إن شاء الله تعالى، وله بكل حرف عشر حسنات، كما صحت بذلك الأحاديث.

السؤال رقم: (149) ما حكم الدين في وضع المصحف تحت الوسادة لمنع الشياطين والأحلام المضرعة؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (3).

تحدث العلماء عن مظاهر تكريم القرآن والمصحف الذي يحويه فأمروا بالطهارة عند مسه وحمله كما مر معنا، ومن مظاهر التكريم عدم وضعه تحت الوسادة عند النوم، أو وضع أمتعة أو كتب فوقه، أو عمل أي شيء يعتبر عرفاً إهانة له، بل جاء في كتاب "المصاحف" لابن أبي داود (392/2) أن

(١) الآيات: 22-23-24

(٢) الأعراف: 180

(٣) الواقعة: 77 - 79

وضع المصحف على الأرض غير لائق، وأورد في ذلك أثراً لم يبين درجته من القبول والرفض، أن رسول الله ﷺ قال فيمن وضع كتاباً من ذكر الله في الأرض «لعن الله من فعل هذا، لا تضعوا ذكر الله في غير موضعه».

وهذا في وضع المصحف بغير نية الاحتقار والإهانة، أما عند هذه النية فهو محرم بالإجماع بل قال أكثر العلماء: إن أيّ احتقار أو استهزاء بكتاب الله تعالى فهو كفر.

جاء في "الإتقان" للسيوطي (172/2) ما نصه: يستحب تطيب المصحف وجعله على كرسي، ويحرم توسده، لأن فيه إذلالاً له وامتهاناً، كذا مد الرجلين إليه.

وقد يصور التوسد بالاتكاء عليه كالوسادة ويجعله وسادة للنوم كالمخدة، وكلاهما ممنوع.

السؤال رقم (150): ما حكم من يقول: الفاتحة للنبي ﷺ؟

الجواب: الفاتحة كما ورد في حديث البخاري هي أعظم سورة في القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم. ومن قرأها أعطاه الله ما سأل من الهداية إلى الصراط المستقيم كما رواه مسلم، وكما جاء في رواية أخرى له: «لن يقرأ بحرف منها إلا أعطيه».

وإذا قرأها الإنسان للنبي ﷺ، فالظاهر أنه يهب ثوابها إليه، مع غنى الرسول عن هذا الثواب فقد شرفه الله وكرّمه أعظم تشريف وتكريم، لأن هذه

الهبة علامة على حب من قرأها للنبي عليه الصلاة والسلام، تماماً كالصلاة على النبي، فإن معناها طلب الرحمة من الله له، وهو عليه الصلاة والسلام مرحوم، والمحب يحرص ويسرُّ بتقديم هدية إلى المحبوب رمزاً وعلامة على حبه.

وكثيراً ما يقول قارئ الفاتحة للنبي ﷺ «زيادة في شرف النبي» فالنبي مشرف وهو يطلب من الله أن يزيده شرفاً، وكل ذلك دليل على الحب، وحبه عليه الصلاة والسلام فرض على المؤمن لا يتم إيمانه إلا به، كما وردت بذلك الأحاديث. وإذا كان حبه يتمثل في اتباع سنته أي طريقته التي تركها لنا ممثلة في القرآن والسنة، فليس هناك ما يمنع أن نبرهن على حبه بإهداء ثواب الفاتحة له والصلاة عليه أي طلب الرحمة من الله له «انظر 408/5 من شرح الزرقاني على المواهب».

السؤال رقم: (151) هل من الحديث ما يقال: <اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل العشق، ولحون أهل الكتابين، وسيجيء بعدي أقوامٌ يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفضونة قلوب الذين يعجبهم شأنهم؟>

الجواب: هذا الحديث ذكره ابن الأثير في جامع الأصول وجاء في مقدمة تفسير القرطبي (17/1) وذكره الحافظ أبو الحسن رزين وأبو عبد الله الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول».

ويُشبهُ هذا الذي يفعله قراءُ زماننا بين يدي الوعّاضِ في المجالسِ من اللّحونِ الأعجميّةِ التي يقرؤون بها ما نهى عنه النبي ﷺ والترجيع في القراءة ترديد الحروف كقراءة النصارى والترتيل في القراءة هو التاني فيها والتّمهّل وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالشعر المرتل، وهو المطلوب في قراءة القرآن. وهو على كل حال ينهى عن التغني بالقرآن بما يخرج عن أصول التلاوة الصحيحة، ويجعله كالأغاني التي يرددها المغنون والتي فيها ترجيع وتطريب يهمز فيه ما لا يهمز، ويمد ما لا يمد، وتصير الألف الواحدة ألفات، والواو الواحدة واوات، كما وضحه القرطبي، ونعى على كثير من قراء اليوم الذين يخرجون بالقرآن عن أصول القراءة العربية المتلقاة عن النبي ﷺ.

قال الحليمي: والذي يظهرُ بدلالة الأخبار أنه أراد بالتغني أن يحسن القارئ صوته مكان ما يحسن المغني صوته بغنائه إلا أنه يميل به نحو التّحزّن دون التطريب أي: قد عوض الله تعالى من غناء الجاهليّة خيراً منه، وهو

الْقُرْآنُ، فَمَنْ لَمْ يَحْسِنْ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ يَرْضَ بِهِ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ الْغِنَاءِ فَلَيْسَ مِنَّا إِلَّا أَنْ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ لَا يَدْخُلُهَا شَيْءٌ مِنَ التَّعْنِي وَفُضُولِ الْأَلْحَانِ وَتَرْدِيدِ الصَّوْتِ مِمَّا يُلْبِسُ الْمَعْنَى وَيَقْطَعُ أَوْصَالَ الْكَلَامِ كَمَا قَدْ دَخَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْغِنَاءِ، وَإِنَّمَا يَلِيقُ بِالْقُرْآنِ حُسْنُ الصَّوْتِ وَالتَّحْزِينُ بِهِ دُونَ مَا عَدَاهُمَا وَسَيْلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ قِرَاءَةً فَقَالَ: ﷺ أَحْسَنُ النَّاسِ قِرَاءَةً مَنْ إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى (البيهقي في شعب الإيمان).

وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَاقْرَؤْهُ بِحُزْنٍ؛ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا لَكِنْ يُشْتَرَطُ فِي التَّحْزِينِ أَنْ يَكُونَ الْقَارِئُ فِي حَالِ قِرَاءَتِهِ مُتَلَبِّسًا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَتَعَاطَ أَسْبَابَ الْحُزْنِ يُمَثِّلُ نَفْسَهُ أَنَّهُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَأَنَّ النَّارَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ كَثِيرٌ، وَذَلِكَ لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ مُوَافِقًا لِبَاطِنِهِ فَلْيَحْذَرْ أَنْ يُظْهِرَ بِلِسَانِهِ مِنَ التَّحْزِينِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِ حُشُوعِ التَّفَاقِقِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَدَنُ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ كَذَلِكَ. نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ بِمَنِّهِ.

السؤال رقم (152): هل هناك دعاء ثابت عن النبي ﷺ بخصوص لختم القرآن الكريم؟ وهل ورد حديث في فضل الاجتماع على ختم القرآن؟

الجواب: لم يرد حديث ثابت عن النبي ﷺ بخصوص ختم القرآن كما لم يرد بخصوص الاجتماع على الختم، وإنما هو كلام وآثار وردت عن السلف، وذكر النووي شيئاً من ذلك في كتابه «الأذكار» ص 158 وقال:

صح عن بعض التابعين الكوفيين أنهم كانوا يصبحون صياماً اليوم الذي يختمون فيه . وقال: يستحب حضور مجلس الختم لمن يقرأ ولمن لا يحسن القراءة ، كما شهد النساء الحَيَّض الخير ودعوة المسلمين يوم العيد . وذكر أن أنس بن مالك كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا ، وأن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وتنزل الرحمة . وورد في مسند الدارمي عن حُميد الأعرج أنه قال: من قرأ القرآن ثم دعا أمَّن على دعائه أربعة آلاف ملك .

إن قراءة القرآن لها فضلها العظيم . ومجالس الذكر والقرآن تشهدها الملائكة كما صحت بذلك الأحاديث ، والصوم مستحب سواء كان من أجل ختم القرآن أو من غيره ، والدعاء لا بأس به بعد قراءة القرآن وهو مرجو القبول ، لأن القراءة وسيلة لثواب الله ، والدعاء بصالح الأعمال بوجه عام يرجى قبوله كدعاء الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار ففرَّج الله عنهم وكون أربعة آلاف ملك يؤمنون على الدعاء بعد القرآن لا يعلمه إلا الله سبحانه ولم يصح فيه حديث .

فالخلاصة أن كل عمل صالح يندرج تحت العنوان العام للصلوات لا بأس به ، لكن ورود حديث بذلك عن النبي ﷺ يجب التحري فيه . والله أعلم .

السؤال رقم (153): بعض الناس يقولون: إن قول القارئ بعد الانتهاء من

القراءة <صدق الله العظيم> بدعة لا يجوز قولها، فهل هذا صحيح؟

الجواب: حذرت كثيراً من التعجل في إطلاق وصف البدعة على أي عمل لم يكن في أيام النبي ﷺ ولا في عهد التشريع ، ومن التمادي في وصف كل بدعة بأنها ضلالة وكل ضلالة في النار .

وقول: «صدق الله العظيم» من القارئ أو من السامع بعد الانتهاء من القراءة، أو عند سماع آية من القرآن ليس بدعة مذمومة، أولاً لأنه لم يرد نهي عنها بخصوصها، وثانياً لأنها ذكر الله والذكر مأمور به كثيراً، وثالثاً أن العلماء تحدثوا عن ذلك داعين إليه كأدب من آداب قراءة القرآن، وقرروا أن قول ذلك في الصلاة لا يبطلها، ورابعاً أن هذه الصيغة أو قريباً منها ورد الأمر بها في القرآن، وقرّر أنها من قول المؤمنين عند القتال.

قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: 95]، وقال ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: 22]، وذكر القرطبي في مقدمة تفسيره أن الحكيم الترمذي تحدث عن آداب تلاوة القرآن الكريم وجعل منها أن يقول عند الانتهاء من القراءة: صدق الله العظيم أو آية عبارة تؤدّي هذا المعنى. ونص عبارته (27/1): ومن حرمة إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه، ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ مثل أن يقول: «صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم» ويشهد على ذلك أنه حق، فيقول: صدقت ربنا وبلغت رسلك ونحن على ذلك من الشاهدين.

اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط، ثم يدعو بدعوات. وجاء في فقه المذاهب الأربعة أن الحنفية قالوا: لو تكلم المصلي بتسييح مثل: صدق الله العظيم عند فراغ القارئ من القراءة لا تبطل صلاته إذا قصد مجرد الثناء والذكر أو التلاوة، وأن الشافعية قالوا: لا تبطل مطلقاً

بهذا القول ، فكيف يجرؤ أحد في هذه الأيام على أن يقول: إن قول: صدق الله العظيم ، بعد الانتهاء من قراءة القرآن بدعة؟

أكرر التحذير من التعجل في إصدار أحكام فقهية قبل التأكد من صحتها ، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: 116] .

السؤال رقم (154): بالنسبة لسجود التلاوة هل يجب السلام عن اليمين والشمال بعد السجود؟ وكذلك هل فيه التكبير عند السجود والرفع؟

الجواب: سجود التلاوة لا تكبير فيه للتحريم ولا سلام عند السادة المالكية والأحناف كما في الشرح الصغير 417/1 خلافاً للشافعية والحنابلة ، فإنهم يرون أن التكبير والسلام منه شرط لصحته إذا كان خارج الصلاة كما في مغني المحتاج 217/1 ، وشرح منتهى الإرادات 103/1 ، أما تكبير التحريم فبناءً على الأصل في الدخول في الصلاة فقيس عليها نحوها من سجدة شكر وتلاوة ، وأما السلام فقياساً على الصلاة كذلك حيث إن تحليلها التسليم . وأما تكبيرات الهويّ والرفع منه فسنة عند الجميع . والله تعالى أعلم .

السؤال رقم: (155) هل يجوز للمصلي أن يقول بعد قراءة ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ

بِأَعْلَمَ الْحَكِيمِينَ ﴾ : بلى؟

الجواب: يستحب لكل من الإمام والمنفرد والمأموم إذا قرأ أو سمع قراءة الإمام ومر بآية رحمة أن يقطع القراءة ويسأل الله عَلَيْكَ من رحمته وإن قرأ آية فيها ذكر العذاب: استحب له أن يستعيز بالله تعالى منه وهذا عند الإمام الشافعي سواءً في ذلك الفرض أو النافلة يستحب في النافلة ولا يستحب في الفريضة .

واستحب عند الشافعية أن يقول: عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾^(١) أو قرأ قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾^(٢) الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله أجاجاً بذنوبنا .

وإذا قرأ آية: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾^(٣) قال القرطبي عند تفسير هذه الآية: فلا بدّ لهم أن يقولوا: لا يأتينا به إلا الله . فليقل: الله رب العالمين .

وإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾^(٤) فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين .

(١) الفرقان(53) .

(٢) الواقعة (70) .

(٣) الملك(30) .

(٤) التين آية (8) .

وإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾^(١) فليقل: سبحان الله وبلى .

وإذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٢) فليقل: سبحان ربي العلي الأعلى .

وإذا قرأ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٣) فليقل: سبحان ربي العظيم .

وإذا قرأ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^(٤) فليقل: آمنا بالله وملائكته
وكتبه ورسوله ، قال الإمام النووي عند هذه الآية: فليقل: آمنا بالله ، والمأموم
يفعل ذلك لقراءة الإمام على الأصح ، روضة الطالبين (1/249) .

وإذا قرأ: ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نُنزِّلُ الْغُلُقُوتَ﴾^(٥) فليقل: لا بشيء من آيات ربنا
نتمارى .

وإذا قرأ: ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نُنزِّلُ الْغُلُقُوتَ﴾^(٦) فليقل: لا بشيء من نعم ربنا
نكذب .

وإذا قرأ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٧) فليقل: وأنا أشهد بما شهد الله ، وأستودع هذه

(١) القيامة (40) .

(٢) الأعلى (1) .

(٣) الواقعة (74-96) .

(٤) المرسلات (50) .

(٥) النجم (55) .

(٦) الرحمن (13) .

(٧) آل عمران (18) .

الشهادة عند الله يؤديها إليَّ يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: قال لقمان: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتَوْدَعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»^(١) ولا يصل ذلك كله بالقراءة لئلا يتوهم كونه منها، ولا يتقيد المأموم في ذلك بقول الإمام بل يقوله وإن تركه الإمام.

السؤال رقم (156): **خاطب الله تعالى في القرآن الكريم (أولي الأبواب)**

فمن المقصود بهذا الخطاب؟

الجواب: أولو الأبواب هم أصحاب العقول. فالأبواب جمع (لب) واللب (هو العقل) وخالص كل شيء (لبه) والعقل خالص الجسم. وهو المخاطب من الله عز وجل وسبب التكليف في الإنسان. واللب من ألبّ بالمكان: أي أقام فيه. وأصحاب الأبواب هم الذين أقاموا أجسادهم على طاعة الله. فإذا دعاهم لبوا وقالوا: لبيك اللهم لبيك. ولذلك قال تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّمَا يَذَكِّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿الرعد: 19-24﴾.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند عن ابن عمر.

السؤال رقم: (157) نرى في القرآن الكريم تكراراً لبعض الآيات
بمعنى واحد، فما هي حكمة ذلك؟

الجواب: ذكر الله سبحانه قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آءِ
رَبِّكُمْ أَتَكْذِبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة والآء هي النعم، والخطاب هنا للإنس
والجن، وهما المرادان بالإنام في قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿وَالْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾⁽¹⁾ كما أنهما المرادان بالثقلين في قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ
آيَةَ الثَّقَلَانِ﴾⁽²⁾ وقد صرح بذلك في قوله تعالى: ﴿يَمَعَّرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ﴾⁽³⁾ وفي
قوله ﴿عَلَى﴾: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾⁽⁴⁾ والله سبحانه وتعالى
عدّد في هذه السورة نعماً كثيرة، وهذه النعم أثر من آثار قدرة الله تعالى
ورحمته، وحق من له هذه القدرة ومنه هذه الرحمة أن يُعبد وحده ولا يُشرك
به سواه من خلقه.

وبعض هذه النعم لا يظهر لأول وهلة وجه النعمة فيها مثل قوله تعالى:
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾، ولكن بالإمعان في
النظر نجد أن فناء الخلق عند نهاية الدنيا وبقاء الله تعالى وحده من أكبر
النعم، حيث يكون بعد الموت بعث وحساب وجزاء وينال أجره العادل من

(١) الرحمن: 10

(٢) الرحمن: 31

(٣) الرحمن: 33

(٤) الرحمن: 14

حرم منه في الدنيا، ويقع العقاب على من أفلت منه في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾⁽¹⁾، والمؤمن بهذه الحقيقة لا تضيق نفسه إن ظلم من العباد في الدنيا فإن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يتحسر إن وجد العاصين الظالمين ينعمون في الدنيا أكثر مما يتنعم به المؤمنون الصالحون، لأن الله سبحانه وتعالى سيقول لهم يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طِبِّئْتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْنَعْتُمْ بِهَا فَأَلْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾⁽²⁾.

وتكرار هذه الجملة بعد كل نعمة، وعدم الاكتفاء بها مرة واحدة أسلوب من الأساليب البلاغية في لغة العرب، وهو دليل على أن كل نعمة بذاتها كافية للإيمان بالله تعالى وتأكيد للحجة، وذلك كما تقول لمن تتابع فيه إحسانك وهو ينكره ويكفره، ألم تكن فقيراً فأغنيتك، أفتنكر هذا؟ ألم تكن خاملاً فعززتك، أفتنكر هذا؟ ألم تكن ماشياً فأركبتك، أفتنكر هذا؟ ذكره القرطبي في تفسيره، وروى الحاكم عن جابر رضي الله عنه قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُوداً مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي آيٍ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نُكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ».

(١) الأنبياء: 47

(٢) الأحقاف: 20

السؤال رقم: (158) ذكرت قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن أكثر من مرة وموضوعها واحد، مع تشابه النصوص في كل موضع، والتكرار في النص الأدبي يضعفه فكيف يتناسب ذلك مع إعجاز القرآن وبلاغته؟

الجواب: قصص القرآن الكريم هو أحسن القصص صدقاً وبلاغة، قال تعالى: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾⁽¹⁾ وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾⁽²⁾، وتوضح حكمة هذا القصص من قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِهٖءَ مُؤَادِكُمْ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾.

وإذا كان هناك تكرار في القرآن للقصة الواحدة فلا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن القرآن لم ينزل مرة واحدة حتى يعاب التكرار، ولكنه نزل منجماً مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة، تنزل الجملة منه بحسب الظروف الطارئة، والقصة الواحدة قد تصلح لكل هذه الظروف، متنسقة معها مراعاة لمقتضى الحال، وذلك هو سر البلاغة التي نزل بها القرآن في أعلى درجاتها.

والنظرة العابرة إلى القصة التي نزلت عدة مرات قد يفهم منها أنها متشابهة متماثلة تماماً، لكن النظرة الدقيقة ترينا أن الحكمة في موضع يركز فيها على

(١) الكهف: 13

(٢) هود: 49

(٣) هود: 125

جانب منها وتكون الجوانب الأخرى تابعة ومكملة ، لأن المقام يقتضي إبراز هذا الجانب ، بينما تراها في موضع آخر يركّز فيها على جانب معين منها كان في غيرها من التوابع المكملة ، وذلك لاقتضاء المقام له أيضاً ، ولذلك قد يُهمل في بعضها لفظ أو يترك تعيين اسم يوجد له داع للذكر ، أو التعيين في مقام آخر ، ومن هنا كانت متغايرة وليست متشابهة ، بالنظر إلى الجانب الذي كان عليه التركيز في كل منها .

وليست قصة موسى عليه السلام هي وحدها التي تكررت في القرآن ، فإلى جانبها قصص لرسل آخرين ، تحمل هذه الحكمة التي في قصة موسى عليه السلام ، وقد يرشح للاهتمام بها تشابه ظروف الدعوة أكثر بين موسى عليه السلام ومحمد عليه السلام ، وبخاصة أن عدداً كبيراً من اليهود كان موجوداً في المدينة وكان لهم دور كبير في مقاومة الدعوة على أن قضية ضعف النص الأدبي بتكراره ليست دائماً مسلّمة ، فقد يكون لتكراره ما يجعله بليغاً حتى لو كان متشابهاً تمام التشابه في تركيبه ، سواءً منه المفردات والجمل ، وكان من البلاغة العربية تكرار اسم الحبيب في البيت الواحد من الشعر تعميقاً لحبه وإيداناً بشرفه .

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد

وتكرار قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ فَإِنِّي ءَأَلَاءِ رَبِّكُمْ أَتُكذَّبَانِ ﴾ إحدى وثلاثين مرة تنبيه على أن كل نعمة من النعم التي احتوتها تستحق أن يذكر بها ، حتى لا تنسى وحتى يعرف فضل المنعم بها ، وتكرار قوله تعالى

في سورة المرسلات: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾⁽¹⁾ عشر مرات، وهي قصيرة أيضاً كسورة الرحمن، دليل على أن المقام يقتضي التنبيه والتحذير عند كل ما يذكر من موجبات هذا التحذير.

وبهذا لا مجال للطعن في بلاغة القرآن الكريم، الذي تحدى الله تعالى به الجن والإنس وما يزال يتحدى، ومن تعمق في المعرفة والتدبر أدرك أنه ما يزال على الشاطئ ولم ينزل بعد إلى البحر بأعماقه المليئة بالأسرار، فهو صنع الله تعالى الذي أتقن كل شيء، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽²⁾.

السؤال رقم: (159) كيف ينزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر؟ مع أنه نزل على فترات طوال حياة النبي ﷺ؟

الجواب: للعلماء في كيفية نزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ أقوال:
1- أنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً طوال حياة النبي ﷺ بعد بعثته في مكة والمدينة، وقال الكثيرون: إن هذا القول هو أصح الأقوال، واستندوا في ذلك إلى ما ورد بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، فقد أخرج عنه الحاكم والبيهقي وغيرهما أنه قال: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ بِمَوْعِدِ النُّجُومِ وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُنزِلُهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بَعْضُهُ فِي إِثْرِ

(١) الطور: 11

(٢) فصلت: 42

بَعْضٍ». وأخرجنا عنه أيضاً وكذلك النسائي أنه قال: «أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾⁽¹⁾، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾⁽²⁾.

وأخرج الحاكم وابن أبي شيبة عنه أيضاً قال: «فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ».

كما جاءت روايات أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما بأسانيد لا بأس بها تؤكد هذا المعنى ومعنى: «بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» أنه نزل على مثل مساقطها، مفرقاً يتلو بعضه بعضاً على تودة ورفق.

2- أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين - حسب الاختلاف في مدة مكث النبي ﷺ بمكة بعد البعثة - في كل ليلة قدر ينزل ما يقدر الله تعالى إنزاله في كل السنة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة، وقد حكى الفخر الرازي هذا القول، وتوقف في الأخذ به، هل هو أولى أو القول الأول؟

3- أنه ابتداء نزوله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة، وهذا القول مروى عن الشعبي.

(١) الفرقان: 33

(٢) الإسراء: 106

4- حكى الماوردي قولاً مؤداه: أنه أنزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجمه على النبي ﷺ في عشرين سنة وهذا القول غريب، والمعتمد أن جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل به عليه طوال السنة، وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما.

هذه جملة من الأقوال صحح ابن حجر في "فتح الباري" أولها وقال: إنه المعتمد، ثم قال ابن حجر: أخرج أحمد والبيهقي في الشعب عن واثلة ابن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أُنزِلَتْ صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنزِلَتْ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضِينٍ مِنْ رَمَضَانَ وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ» قال: وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾⁽¹⁾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فيحتمل أن تكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا، ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

والذي يهمننا من كل ذلك أن نقبل على القرآن حفظاً وتدبراً، ثم عملاً وتطبيقاً، وأن يظل متوارثاً بيننا بأخذه جيل عن جيل تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾.

(١) البقرة: 184

(٢) الحجر: 9

** ** *

فصل في تفسير القرآن

2 - البقرة:

السؤال رقم (160): ما هي التهلكة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقُوا

بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؟

الجواب: هذا جزء من الآية ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195] جاءت هذه الآية بعد آيات تتحدث عن الجهاد في سبيل الله، وفيها أمور ثلاثة: أولها الأمر بالإنفاق في سبيل الله، وثانيها النهي عن الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة، وثالثها الأمر بالإحسان، أما الإنفاق في سبيل الله فمعناه واضح وإن كان سبيل الله واسع الميدان فمن أهمه الجهاد، وكذلك الإحسان واضح المعنى فهو يلتقي مع الإنفاق في سبيل الله في أكثر مظاهره وإن كان من معانيه الإجابة والإتقان والإخلاص في أي عمل. على ما جاء في الحديث: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وأما الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة ففي تفسيره عدة أقوال: لا تتركوا النفقة ولا تخرجوا إلى الجهاد بغير زاد ولا تتركوا الجهاد، ولا تدخلوا على العدو الذي لا طاقة لكم به ولا تيأسوا من المغفرة، وقد قال الطبري: هو عام في جميعها، كما ذكره ابن العربي في أحكام القرآن.

ومن الوارد في ذلك ما رواه البخاري عن حذيفة أن الآية نزلت في النفقة

وكذلك قال ابن عباس وعكرمة وعطاء ومجاهد وجمهور الناس كما ذكره القرطبي، وقال: المعنى لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة، في سبيل الله وتخافوا العيلة فيقول الرجل: ليس عندي ما أنفقه. وذكر القرطبي خمسة أقوال في تفسير هذه الآية وقال: روى الترمذي عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران أنهم في غزو القسطنطينية حمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس: إنه يلقي بيديه إلى التهلكة، فصحح لهم أبو أيوب الأنصاري معنى الآية بأنها نزلت في الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر دينه قالوا: هلمّ نقيم في أموالنا ونصلحها لأنها ضاعت. فالتهلكة هي الإقامة على الأموال وإصلاحها وترك الغزو.

السؤال رقم: (161) ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ وكيف نوفق بينه وبين الآيات التي فيها مشرقان ومغربان ومشارق ومغارب؟

الجواب: قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾⁽²⁾ وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾⁽³⁾، خلاصة كلام المفسرين أن المقصود بالمشرق والمغرب في الآية الأولى مشرق الشمس ومغربها، أي الجهة التي تشرق منها والجهة التي تغرب فيها، والمراد الجهات كلها، فليس هناك في الوجود كله إله يستحق العبادة إلا الله سبحانه، ويلتقي هذا مع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ

(١) المزمّل: 9

(٢) الرحمن: 17

(٣) المعارج: 40

وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴿١﴾، أي مالك الكون كله .

والمقصود بالمشرقين والمغربين في الآية الثانية مشرق الشمس ومشرق القمر، ومغرب الشمس ومغرب القمر، فلكل منهما مشرق ومغرب، وقيل: المراد من المشرقين والمغربين مشرقا الشمس ومغربها، وذلك صيفاً وشتاءً، حيث يكون شروقها من أقصى منزلة في الشمال ومن أقصى منزلة في الجنوب، وكذلك غروبها في أقصى منزلة في الشمال وفي الجنوب، وهذا مشاهد لكل عين، حيث يختلف مطلع الشمس ومغربها صيفاً وشتاءً، والله سبحانه هو الذي يقدر حركات الكون، فتأخذ أجزاء الأرض أوضاعاً من الشمس يكون منها الصيف والشتاء وبقية الفصول، وتتراعى لنا الشمس كأنها هي التي تعلو وتنخفض عند الشروق والغروب، وتجري في مسارات مختلفة باختلاف الفصول، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، والمقصود بالمشارك والمغرب في الآية الثالثة، إما مشارق الشمس ومغربها، وإما مشارق جميع النجوم ومغربها، فإن كان المقصود الأول فإن الشمس - في المسافة التي بين أقصى ارتفاع وأقصى انخفاض لها بحسب رؤية العين صيفاً وشتاءً - تشرق كل يوم من منزلة وتغرب في منزلة، أي مشرق جديد ومغرب جديد، ولا تتكرر المنزلة في الشروق والغروب إلا مرتين في السنة الشمسية حين تمر عليها الشمس شمالاً وجنوباً وإن كان المراد الثاني وهو مشارق جميع النجوم ومغربها فالأمر واضح في الكثرة، لأن لكل منها مشرقاً ومغرباً، بل مشارق ومغرب . هذا ولا تتنافى كثرة المشارق والمغرب للشمس مثلاً - كما تدل عليه

(١) الزخرف: 84

الآية الثالثة - مع الإخبار بمشرقين ومغرب كثيرة بتعدد المنازل كما ذكرنا، كما لا تتنافى الآيتان الأخيرتان مع الآية الأولى التي ذكر فيها مشرق واحد ومغرب واحد، لأن المراد - كما قال المفسرون - جهة الشروق وجهة الغروب وفي كل من الجهتين منزلة لشروق الشمس وغروبها إجمالاً ومنازل تفصيلاً.

وقال بعض المفسرين: المراد بالمشرق والمغرب في هذه الآية الجنس لا الوحدة والجنس يصدق بالواحد والاثنين والثلاثة وما بعدها، فلا تنافي بين الآية والآيتين الأخيرين. والمراد بالمشرقين والمغربيين في الآية الثانية جنس المشرقين للشمس والقمر وجنس المغربيين لهما، وهو يصدق بالواحد والمتعدد. وبهذا يعلم أنه لا تضارب بين آيات القرآن الكريم مطلقاً، لأن القرآن كلام الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽¹⁾ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽²⁾. وإذا كان هناك تضارب فهو بحسب الظاهر لا بحسب الحقيقة، فلا يجوز أن يوجه الطعن إليه قبل التدبر والفهم.

فكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

3 - آل عمران:

السؤال (162) ما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرٌ

الْمَكْرِينِ﴾ مع أننا نعرف أن المكر صفة مذمومة لا تليق بالله تعالى؟
الجواب: في مفردات الراغب الأصفهاني أن المكر هو صرف الغير عما

(1) الطلاق: 12

(2) النساء: 82

يقصده بحيلة، وذلك ضربان، مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾ (آل عمران: 54) ومذموم، وهو أن يتحرى به فعل قبيح، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁽³⁾، وقال الله تعالى في الم محمود والمذموم: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرًا وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁽⁴⁾، وقال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾⁽⁵⁾، ومن دعاء الرسول ﷺ كما في سنن ابن ماجه: «امْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ» يعني أن كفار بني إسرائيل دبوا حيلة لقتل سيدنا عيسى عليه السلام، ودبر الله أمراً آخر لحمايته فألقى شبه عيسى ﷺ على غيره، ورفع سيدنا عيسى ﷺ إليه، والله تعالى خير من يدبر الأمور ولا يغلبه أحد، ومن هنا نعرف أن المكر هو التدبير، فإن كان في شر فهو مذموم، وإن كان في خير فهو محمود. والله تعالى أعلم.

5 - المائدة:

(١) فاطر: 43

(٢) الأنفال: 30

(٣) النمل: 51

(٤) النمل: 50

(٥) آل عمران: 54

السؤال رقم (163): يعتقد بعض الناس أن الرسول ' خلق من نور لقوله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} نرجو التوضيح؟

الجواب: كلمة النور تطلق في القرآن أحياناً على القرآن الكريم وأحياناً على النبي ﷺ باعتبار أن كلا منهما ينير للناس طريق الخير، بل تطلق أيضاً على الله سبحانه في قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: 35].

إن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يُخلق من نور، فهو من ذرية آدم وآدم من طين، وهو القائل: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر».

والله سبحانه أمره أن يُبين للناس ذلك فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾

[الكهف: 110] وقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 93]

وكون الله أخبر عنه بأنه نور، وكون بعض الآثار جاءت تخبر بأن نوره كان موجوداً قبل أن يولد، كل ذلك لا ينفي أنه بشر، وهو عليه الصلاة والسلام ليس في حاجة إلى اختلاق أمور تزيده شرفاً وتكريماً، فكفى تشريف الله له، بما ثبت من الأخبار، وقد تحملنا شدة حبه على وضعه فوق ما يستحق وهو القائل كما رواه البخاري: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله» وبرهان حبنا له جاء في قوله: «من أحبني فليستنن بستي» رواه أبو يعلى بسند حسن.

السؤال رقم (164): هل معنى قوله تعالى: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ

لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ} أننا لا نسأل عن أمور ديننا ما دمنا لا نعرفها؟

الجواب: روى البخاري ومسلم أن رجلاً اسمه عبد الله بن حذافة هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وكانت فيه دعاية سأل النبي ﷺ عن أبيه، فقال له: «أبوك فلان» ولما علمت أمه بسؤاله عن أبيه قالت: ما سمعت بابن قط أعق منك، أأمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تُقارف نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس؟ فقال: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته، فنزلت هذه الآية تنهى عن مثل هذه الأسئلة.

وروى الترمذي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قالوا: يا رسول الله أفي كل عام؟ فسكت ولما كرروا السؤال قال: «لا، ولو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما أطقتموها، ولو لم تطيقوها لكفرتم» فأنزل الله هذه الآية للنهي عن تكلف الأسئلة ما دام القرآن لم يبين أكثر مما نزل، وذلك كله في أيام نزول الوحي، حتى لا يكون المسلمون كبني إسرائيل حينما أمرهم الله أن يذبحوا بقرة، فأخذوا يسألون عن سنّها وأوصافها حتى شدد الله عليهم فاشتروها بثمن كبير.

أما اليوم - وقد انتهى الوحي - فيجوز بل يجب أن نسأل عما نجهله، لأنه من باب التفقه في الدين، وقد كان النهي رحمة بالمسلمين فقد جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسألته».

فعلى كل مسلم يجهل أمراً من أمور الدين - لم يستطع أن يعرفه من مصادره - أن يسأل عنه العلماء المختصين كما قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وأنصح كل طالب علم أيّاً كان نوعه أن يسأل عن

حكم الدين في كل ما يعنُّ، فذلك دليل على اليقظة حتى لا يزلَّ، ولا يُعدُّ ذلك جبنًا منه، بل هو عين الحكمة.

7- الأعراف:

السؤال رقم (165): ما القرية التي قال الله عنها: إنها حاضرة البحر؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَكَتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 163].

هذه الآية من ضمن الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل وتمردهم على أوامر الله تعالى وعصيانهم لتوجيه أنبيائهم. تأمر هذه الآية رسول الله ﷺ أن يسأل اليهود الموجودين معه في المدينة سؤال تذكير لهم بما حدث لأبائهم الذين ورثوا عنهم الصفات والأساليب التي يعاملونه بها.

فقد حدث أن سكان قرية ساحلية -اختلف في تعيينها على أقوال كثيرة، منها أنها أيلة أو مدين أو طبرية أو غيرها - خالفوا أمر الله تعالى بتحريم اصطياد السمك يوم السبت، ومن أجل اختبارهم لإظهار مدى امتثالهم لأمر الله تعالى جعل الله تعالى الحيتان كثيرة في هذا اليوم وفي تناول أيديهم، ليسهل عليهم صيدها ﴿شُرْعًا﴾ ظاهرة رافعة رؤوسها، بخلاف الأيام الأخرى غير يوم السبت، وهو معنى قوله ﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾ حيث تكون قليلة تحتاج إلى جهد لصيدها، فلم تطاوعهم أنفسهم أن يتركوها، فاصطادوها غير

مباين بنهي الله تعالى عن صيدها .

وقيل : تحايلوا على صيدها في اليوم التالي ، وذلك بحبسها في حياض عند تكاثرها يوم السبت ، حتى إذا جاء يوم الأحد أخذوها .

وهذه صورة من صور كثيرة تحايلوا بها على تحقيق أغراضهم بشيء حرمه الله عليهم ، كما حرم عليهم شحوم الذبائح - وهي عادة تكون متماسكة جامدة كاللحم - فأذابوها لتصير سائلاً وتتحول عن حالتها الأولى ، وقد ابتلاهم الله بمثل هذه التكاليف لأنهم قوم فاسقون عاصون لله تعالى .

9- التوبة:

السؤال رقم (166): لماذا أنزلت سورة التوبة بدون بسملة؟

الجواب: يذكر علماء التفسير أقوالاً في سبب عدم ورود البسملة في أول سورة التوبة ، منها: أن سورة التوبة نزلت بالعذاب على المشركين والمنافقين . والبسملة رحمة وهي لا تناسب العذاب . ومنها: أنها وسورة الأنفال سورة واحدة ، فلذلك لم تذكر البسملة بينهما ، ويرى ذلك جماعة من الصحابة نظراً للتشابه بينهما ولأن النبي ﷺ لم يؤمر بكتابة البسملة بينهما ، وما كان الصحابة يعرفون الفرق بين السور إلا بالبسملة ، وقيل غير ذلك . فمن أراد المزيد فعليه الرجوع إلى كتب التفسير . والله تعالى أعلم .

12- يوسف:

السؤال رقم: (167) ما معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا﴾
(يوسف: 24)؟

إنَّ الهمَّ الوارد في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ إما لم يقع الهمُّ من سيدنا يوسف عليه السلام أصلاً، أو وقع الهمُّ بشيء آخر لا علاقة له بالفاحشة ولا بخاطر الفاحشة، مهما بُرِّرَ هذا الخاطر، فتارة يبررونه بأنه همٌّ يعني تحركت الشهوة والغريزة وهو أمر حسب نظرهم يليق بكمال البشرية، لأنه ليس حجراً أصمَّ لا يتأثر بمشاهد الإغواء والإغراء كما يزعمون، وتارة يقولون عن هذا الهم: إنه عَزَمَ ولم يفعل، وهُمُّ في كل ذلك يقيسون البيض على الباذنجان كما قال المثل، بل من الجرأة الكبيرة على مقام النبوة أن يقيسوا أنفسهم على أنفس الأنبياء الطاهرين المُطَهَّرِينَ، والمعصومين والمبرئِينَ من السوء ومن خاطر السوء.

ولست بدعاً في هذا الرأي بل قال بذلك ثلة من العلماء الأجلاء، أذكر منهم: العلامة الشنقيطي فقد قال في تفسيره "أضواء البيان: في تفسير القرآن بالقرآن" (3 / 60-62): إن يوسف لم يقع منه هم أصلاً، بل هو منفي عنه لوجود البرهان كقوله

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، أي: إن كنتم صادقين فهااتوا برهانكم، وعلى هذا القول: معنى الآية ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، أي: لولا أن رآه همَّ بها، فما قبل "لولا" هو دليل الجواب المحذوف، كما هو الغالب في القرآن واللغة، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾^(٢)، فما قبل "لولا" دليل

(١) سورة النمل (64)

(٢) سورة القصص (10)

الجواب ، أي: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به . وقال الشيخ أبو حيان الأندلسي في "البحر المحيط" (294/5-295) ما نصه: «طَوَّلَ المفسرون في تفسير هذين الهمَّين ، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبتَه لآحاد الفُسَّاق ، والذي أختره: أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همٌّ بها البتة ، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان ، كما تقول: لقد فارقتَ لولا أن عصمك الله تعالى ، كما تقول العرب: أنت ظالم إن فعلت ، فيقدرونه: إن فعلت فأنت ظالم ، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم ، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل ، وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها ، فكان موجد الهمِّ على تقدير انتفاء رؤية البرهان ، ولكنه وجد رؤية البرهان ، فانتفي الهمُّ .

وقال الفخر الرازي: اعلم أن هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء

بالبحث عنها ، وفي هذه الآية مسائل:

المسألة الأولى: في أنه عليه السلام هل صدر عنه ذنب أم لا؟ وفي هذه المسألة قولان: القول الأول: (أن يوسف عليه السلام هم بالفاحشة.... ثم ذكر كلاماً في الموضوع ورده بقوله: إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع ، ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منها ، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة.... ثم قال: ولا شك أن المعصية التي نسبوها إليه أعظم أنواع وأفحش أقسام الفحشاء فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء).

والقول الثاني: أن يوسف عليه السلام كان بريئاً عن العمل الباطل ، والهَمَّ المحرم ، وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين ، وبه نقول وعنه نذب .
وأجاب الفخر الرازي عن سؤال يُطْرَحُ كثيراً: وهو أنه لو لم يوجد الهَمَّ لم يبق لقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة . فقال: بل فيه أعظم الفوائد:
فمنها: بيان أن ترك الهَمَّ بها ما كان لعدم رغبته في النساء ، وعدم قدرته عليهن بل لأجل أن دلائل دين الله تعالى منعه عن ذلك العمل .
ومنها: أنه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لو هَمَّ بدفعها لقتلته أو لكانت تأمر الحاضرين بقتله ، فأعلمه الله تعالى أن الامتناع من ضربها أولى صوتاً للنفس عن الهلاك .

ومنها: أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلق به ، فكان يتمزق ثوبه من قدام ، وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن ، ولو كان ثوبه ممزقاً من خلف لكانت المرأة هي الخائنة ، فالله تعالى أعلمه بهذا المعنى ، فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هارباً عنها ، حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية .

وقال الفخر الرازي أيضاً: لو سلمنا أن الهَمَّ قد حصل إلا أنا نقول: إن قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ لا يمكن حمله على ظاهره لأن تعليق الهَمَّ بذات المرأة محال ، لأن الهَمَّ من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية ، فثبت أنه لا بد من إضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهَمَّ وذلك الفعل غير مذكور فهم زعموا أن ذلك المضمَر هو إيقاع الفاحشة بها ونحن نضمَر شيئاً

آخر يغير ما ذكره وبيانه من وجوه:

الأول: المراد أنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح لأن الهم هو القصد، فوجب أن يحمل في حق كل أحد على القصد الذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلى تحصيل اللذة والتنعيم والتمتع، واللائق بالرسول المبعوث إلى الخلق القصد إلى زجر العاصي عن معصيته وإلى الأمر بالمعروف النهي عن المنكر، يقال: هممت بفلان أي بضربه ودفعه.

المسألة الثانية: في أن المراد بذلك البرهان ما هو، أما المحققون المثبتون للعصمة فقد فسروا رؤية البرهان بوجوه:

الأول: أنه حجة الله تعالى في تحريم الزنى والعلم بما على الزاني من العقاب.

والثاني: أن الله تعالى طهر نفوس الأنبياء عليهم السلام عن الأخلاق الذميمة، بل نقول: إنه تعالى طهر نفوس المتصلين به عنها كما قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِئِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(١) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢) فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق وتذكير الأحوال الرادعة لهم عن الإقدام على المنكرات.

والثالث: أنه رأى مكتوباً في سقف البيت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ

(١) سورة يوسف (24)

(٢) سورة الأحزاب (33)

فَحِشَّةٌ وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١﴾.

والرابع: أنه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش، والدليل عليه أن الأنبياء عليهم السلام بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح فلو أنهم منعوا الناس عنها، ثم أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ وأيضاً أن الله تعالى عيّر اليهود بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴿٣﴾﴾ وما يكون عيباً في حق اليهود كيف ينسب إلى الرسول المؤيد بالمعجزات.

وأما الذين نسبوا المعصية إلى يوسف عليه السلام فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان أموراً:

الأول: قالوا إن المرأة قامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب فقال يوسف: لم فعلت ذلك؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على معصية، فقال يوسف: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت فوالله لا أفعل ذلك أبداً قالوا: فهذا هو البرهان.

الثاني: نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تمثل له يعقوب فرآه عاضاً على

(١) سورة الإسراء(32)

(٢) سورة الصف(2-3)

(٣) سورة البقرة(44)

أصابه ويقول له: أتعلم عمل الفجار وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء فاستحي منه، وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين قال سعيد بن جبير: تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله .

والثالث: قالوا إنه سمع في الهواء قائلاً يقول: يا ابن يعقوب لا تكن كالطير يكون له ريش فإذا زنى ذهب ريشه .

والرابع: نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنه أن يوسف عليه السلام لم ينزجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل عليه السلام فلم يبق فيه شيء من الشهوة إلا خرج ، ولما نقل الواحدي هذه الروايات تصلف وقال: هذا الذي ذكرناه قول أئمة التفسير الذين أخذوا التأويل عن شاهد التنزيل فيقال له: إنك لا تأتينا البتة إلا بهذه التصلفات التي لا فائدة فيها فأين هذا من الحججة والدليل؟ وأيضاً فإن ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز، وأنه عليه الصلاة والسلام كان ممتنعاً عن الزنى بحسب الدلائل الأصلية ، فلما أضيف إليها هذه الزواجر قوي الانزجار وكمل الاحتراز، والعجب أنهم نقلوا أن جرواً دخل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وبقي هناك بغير علمه قالوا: فامتنع جبريل عليه السلام من الدخول عليه أربعين يوماً، وهاهنا زعموا أن يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبريل عليه السلام، والعجب أنهم زعموا أنه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبريل عليه السلام، ولو أن أفسق الخلق وأكفرهم كان مشتغلاً بفاحشة فإذا دخل عليه رجل على زي الصالحين استحيا منه وفر وترك ذلك العمل ، وهاهنا أنه رأى يعقوب عليه السلام عض على أنامله فلم

يلتفت إليه ، ثم إن جبريل عليه السلام على جلاله قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضاً عن ذلك القبيح بسبب حضوره حتى احتاج جبريل عليه السلام إلى أن يركضه على ظهره فنسأل الله تعالى أن يصوننا عن الغي في الدين ، والخذلان في طلب اليقين فهذا هو الكلام المخلص في هذه المسألة والله تعالى أعلم .

وقد قال سعيدُ بنُ الحَدَّاد: في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ، ومعناه: أنه لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها، فلما رأى البرهان لم يهّم، انتهى .

وقال ابن العربيّ في أحكامه: وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال يوسُف من حين بلوغه بأنه آتاه حكماً وعلماً، والحُكْم: هو العمل بالعلم، وكلامُ الله تعالى صادقٌ، وخبره صحيحٌ، ووصفه حقٌّ، فقد عمِلَ يوسُف بما علّمه الله تعالى من تحريم الزنى، وتحريم خيانة السيّد في أهله، فما تعرّض لامرأة العزيز، ولا أناب إلى المرأودة، بل أدبَر عنها، وقرّ منها؛ حِكْمَةٌ خُصَّ بها، وعملٌ بما علّمه الله تعالى، وهذا يطمس وُجوهَ الجَهْلَةِ مِنَ النَّاسِ والغَفَلَةِ من العلماء في نسبتهم إلى الصّديقِ ما لا يليقُ، وأقلُّ ما اقتحموا من ذلك هَتَكُ السراويلِ، والهَمُّ بالفتكِ فيما رَأَوْهُ من تأويلٍ، وحاشاه من ذلك، فما لهؤلاء المفسّرين لا يكادون يفقهون حديثاً؟!!

14- إبراهيم:

السؤال رقم: (168) يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾^(١) فكيف يكون الشكر

(١) سورة إبراهيم (7)

وما المراد بالكفر في هذه الآية؟

الجواب: الشكر في تحديد معناه وفي الصلة بينه وبين الحمد كلام كثير ذكره المفسرون، "القرطبي 1/133، 397" كما ذكره علماء الأخلاق والتصوف "إحياء علوم الدين (4/69) ونختار هنا ما صححه القرطبي من قوله: الشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان، والحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان.

وشكر أي إنسان على نعمة أسداها إليه الغير مطلوب لحديث رواه أبو داود والنسائي وابن حبان وأحمد في المسند وغيرهم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» وشكر الله سبحانه وتعالى واجب لكثرة نعمه علينا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١)، ومن ضمن شكر الله تعالى شكر الإنسان عن النبي ﷺ أنه قال: «فَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ ﷻ» كما في حديث الترمذي وأبي داود. وأسلوب الشكر لله تعالى أو مظاهره تكون بالقول والعمل القائمين على الإيمان به، عبّر عنه بعضهم بقوله: استخدام نعم الله تعالى فيما خلقت له وعدم تعطيلها أو استخدامها في معصية الله تعالى، وقد وعد الله تعالى الشاكرين بحفظ النعمة بل بزيادتها، زيادة مادية بكثرتها أو معنوية بالبركة فيها.

كما نهى الله تعالى عن الكفر أي عدم الاعتراف بالنعمة، ومنه ما جاء في

(١) سورة إبراهيم (34)

الحديث عن النساء من أنهن «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَيَّ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» (١) والكفر بنعمة الله تعالى إما كفر به سبحانه وتعالى وعدم الإيمان به ، وإما عدم اعتراف بنعمه أو استخدامها في معصيته . والعقاب عليه شديد كما نصت عليه الآية .

وعلى قمة الشاكرين لله تعالى الأنبياء والأولياء وعلى رأس هؤلاء جميعاً سيدنا محمد ﷺ فعند قول الله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢) ذكر القرطبي حديثاً رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ «كَانَ يَقُومُ حَتَّى تَنْفَطِرَ قَدَمَاهُ، - أي تتشقق - فقلت له: أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غَفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». ولا ننسى في هذا المقام قول سليمان عليه السلام لما جاء له بعرش بلقيس ملكة سبأ ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رِبِّي عَنِّي كَرِيمٌ﴾ (٣) .

ومن الأحاديث التي تحذر من كفران النعمة ما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى عَبْدٍ، إِلَّا عَظُمَتْ مَوْؤَنَةُ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ تِلْكَ الْمَوْؤَنَةَ، فَقَدْ عَرَّضَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ» وما رواه الطبراني بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً

(١) أخرجه البخاري

(٢) سورة سبأ (13)

(٣) سورة النمل (40)

فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ» وما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّاهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، يُقْرَهُمْ فِيهَا مَا بَدَّلُوها، فَإِذَا مَنَعُوها نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ». ورواه البيهقي في الشعب، وأبو يعلى والعسكري، من حديث ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل به [ص 369] مرفوعاً، ورواه البيهقي وقد جاء هذا الحديث أيضاً بلفظ «إِنَّ لِلَّهِ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ، يَفْزَعُ النَّاسَ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، أَوْلَئِكَ الْأَمْنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى».

السؤال رقم: (169) أرجو تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١).

الجواب: تبديل الأرض والسموات يكون يوم القيامة، وقيل: إن المراد تبديل الصفات لا تبديل الذوات، بمعنى أن تبديل الأرض يكون بمدّها أو بسطها كالأديم، وتبديل السماوات يكون بتكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها. وقيل: يكون التبديل بتبديل ذواتها أي إزالتها، وصححه القرطبي في تفسيره، حيث يخلق الله أرضاً أخرى ليحشر عليها الناس، ففي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ» والنقي هو الدقيق الأبيض كما في نهاية ابن الأثير. وقال ابن مسعود: تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة لم يعمل عليها

(١) إبراهيم: 48

خطيئة، وقال علي عليه السلام: تبدل الأرض فضة والسماء ذهباً.
هذه بعض أقوال المفسرين، وفي الكتب متسع لمن أراد، وما جاء في
الأحاديث الصحيحة أفضل في التفسير.

15- الحجر:

السؤال رقم: (170) يقول الله تعالى في حق الكفار: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(١) فهل الأمل من صفات الكافرين،
وكيف يذمه القرآن ولا يستغني عنه إنسان؟

الجواب: الأمل شيء موجود في الطبيعة البشرية ولولاه ما تحرك الإنسان
وما عمل، فهو يشيب ويهرم ويشيب ويهرم معه الأمل والحرص كما ثبت في
الحديث الصحيح الذي رواه مسلم، وهو ضد اليأس الذي يغري بالكسل والزهد
في الحياة ويتمني الموت عند اشتداد الأزمات، يقول النبي صلى الله عليه وآله «وَأَعْلَمَ أَنَّ
النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(٢).

يقول الطبراني:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
والدين لا يحارب هذا الشيء المطبوع في النفس ولكن يوجهه إلى الخير،
والتوجيه يقوم على أمرين، أولهما عدم الاكتفاء بالأمل بل لا بد معه من

(١) (سورة الحجر: 3)

(٢) رواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر "الجامع الكبير للسيوطي"

العمل من أجل الوصول إلى ما يؤمله الإنسان وثانيهما أن يكون في الوسع وبالقدر المستطاع.

وفي الأمر الأول جاء قول الله تعالى في حق أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وفي حق المسلمين الذين يدعي كل فريق منهم بأن له الجنة ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١﴾ وفي هذا المقام يقول الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وإن قوماً خرجوا من الدنيا ولا عمل لهم وقالوا: نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل، مع ملاحظة أن الجهد المبذول يكون متناسباً مع درجة الأمل، فإن كان كبيراً كان الجهد كبيراً، روى مسلم أن ربيعة بن كعب الأسلمي خادم الرسول ﷺ قال له: «أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

والشاعر الحكيم يقول:

ومن يطلب الحسنة لم يُغله المهر ولا بد دون الشهد من إبر النحل
وفي الأمر الثاني ينظر إلى ما يؤمله الإنسان فهو إما أن يكون أمراً دنيوياً وإما أن يكون أمراً أخروياً، أو بمعنى آخر إما أن يكون من أمور الدنيا أو من أمور الآخرة، ففي أمور الدنيا لا بد أن يكون الأمل محدوداً لأن أجل الإنسان

(١) النساء (123-124).

محدود لا يتسع لكل الآمال العريضة، وفي أمور الدين لا بد من سعة الأمل، مع مراعاة الوسع والطاقة في كلا الأمرين.

وفي أمور الدنيا يجيء الحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا - أي رسم لهم شكل مربع - وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا» وهذا ما يعنيه قول القائل: الآمال تخترمها الآجال، وفي أمور الدين يقول النبي صلى الله عليه وسلم «لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةَ»^(١). ويقول: «أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ»^(٢) ويقول «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعِزِّمِ الْمَسْأَلَةَ وَلِيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ إِلَّا أَعْطَاهُ»^(٣).

من هذا نرى أن الأمل لا يكون مذمومًا في كل حال، بل الذم يكون إذا لم يصحبه عمل ويكون لما هو دنيوي ولا يتناسب مع عمر الإنسان وإمكاناته وكثرت النصوص والأقوال في ذمه ليقف عند الحد المعقول، أما مدحه فالنصوص فيه قليلة لأن الطبيعة البشرية تدعو إليه بقوة، وفي المقابل يجيء التنفير القوي ليقف في الحد الوسط المناسب، فلا يقضى عليه أبدًا ولا تطلق

(١) رواه الترمذي وابن حبان.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

له الحرية أبداً.

وكل ذلك محله في الأمل في الخير المشروع ، أما الأمل في الشر فذلك مذموم على كل حال ، فإذا كانت الآية التي في السؤال تدم الأمل فلا تدمه لذاته بل لأنه يلهي عن الله تعالى وعن الآخرة ، وسيعلم الكفار عاقبة ذلك يوم القيامة ، روى البزار في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أربعة من الشقاء: جمود العين - أي عدم البكاء- وقساوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا» وقال صلى الله عليه وسلم «نَجَاةُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْيَقِينِ وَالزُّهْدِ، وَيَهْلِكُ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ» ذكره القرطبي في تفسيره (2/10-3) ورواه ابن أبي الدنيا والخطيب "الجامع الكبير للسيوطي" وذكر كلاماً عن أبي الدرداء والحسن البصري في التحذير من الأمل الدنيوي العريض .

18- الكهف:

السؤال رقم(171): ما معنى الباقيات الصالحات الواردة في قوله تعالى

من سورة الكهف: **{وَالْبَقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً}؟**

الجواب: الباقيات الصالحات هي الأعمال الصالحة التي يكون لها ثواب

في الآخرة ، فهي كالشجرة المثمرة التي تبقى ثمرتها بعد انتهاء هذه الدنيا .

قال الجمهور: هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، كما أخرجه مالك في الموطأ ، ووردت

في هذا الذكر آثار كثيرة تؤكد أنها المراد من الباقيات الصالحات منها

حديث: «استكثروا من الباقيات الصالحات» قيل: وما هن يا رسول الله؟

قال: «التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله» رواه

أحمد وأبو يعلى والنسائي واللفظ له، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه. وحديث: «خذوا جُنَّتَكُمْ» قالوا: يا رسول الله: عدوُّ حضر؟ قال: «لا، ولكن جُنَّتَكُمْ من النار، قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مجنَّبات ومعقَّبات، وهن الباقيات الصالحات» رواه النسائي والحاكم والبيهقي. والجُنَّة ما يستر ويقي، ومعنى المجنَّبات: المتقدِّمات أمامكم، وفي رواية منجيات، وفي رواية للطبراني بإسناد جيد الجمع بين اللفظين: «مجنَّبات ومنجيات» ومعنى معقَّبات: تأتي من ورائكم. والمراد أن هذه الكلمات تكون حارسة يوم القيامة للإنسان من خلفه ومن أمامه. وجاء في تفسير القرطبي أن العلماء اختلفوا في المراد بهذه الأعمال الصالحة على أقوال كثيرة، فقليل: هي الصلوات الخمس، وقيل: كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للأخرة.

21- الأنبياء:

السؤال رقم (172): أرجو تفسير قوله تعالى: **{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ، وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ {.**

الجواب: امتحن الله أيوب بامتحانات في بدنه وماله وأهله، فمرض مرضاً شديداً ليس بالصورة التي حكيت في كتب التفسير بدون دليل، والتي لا تليق برسول يعمل لجمع الناس حوله، وعلى محبتهم له، لا على تنفيرهم منه، وضاع ماله وفقد أهله وأفسد الناس بينه وبين زوجته التي واسته بكل ما تملك.

وسبب الامتحان غير مذكور بسند صحيح ، ولشدة صبره وطول أمله في رحمة الله دعا ربه فكشف ما به من ضر ، وعوضه ما فقد من أهل ومال ، بل زاد على ما ضاع منه ، وذلك رحمة من الله وعبرة للناس في وجوب الصبر وفي ثوابه العظيم .

وجاء في آيات أخرى كيف استجاب الله دعاءه . ففي سورة ص (42)-

(44) قوله تعالى: ﴿ اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۗ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۗ ﴾ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ صِغْتًا فَأَضْرَبَ بِهٖ وَلَا تَحْنُتْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ ۗ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۗ ﴿٤٤﴾

السؤال رقم (173) ما معنى قول الله سبحانه وتعالى لنبيه: ﴿ وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وما المقصود هنا بالعالمين؟

الجواب: إن الله حصر إرسال الرسول بالشرعية العامة لأجل الرحمة العامة . أي وما أرسلناك إلا لأجل أن نرحم العالمين بإرسالك إليهم بشرية تشمل ما هو منوط بسعادة الدارين . ولذلك قال ﷺ عن نفسه: (إنما أنا رحمة مهداة) كما أخرج الحاكم في المستدرک 35/1 وصححه على شرط الشيخين . وأقره الذهبي ، وصححه العراقي في تخريج الإحياء 148/4 .

والمقصود بالعالمين: جميع الخلق، وإن كانت للعقلاء خاصة فهي تغليب للأشرف على غيرهم، وكونه ﷺ رحمة للجميع: باعتبار أنه ﷺ واسطة الفيض الإلهي على جميع الممكنات على حسب القوابل .

والمعالم: ما سوى الله تعالى وصفاته جل شأنه ، فهو شامل لجميع الخلق

حتى الحيوان البهيم والطير وغير ذلك، كما هو معلوم من سيرته وشمائله
ﷺ، وكما يقتضيه عموم قوله ﷺ: (إنما بعثت رحمة) كما أخرجه البخاري
في التاريخ من حديث أبي هريرة وغيره وحسنه المناوي في شرح الجامع
الصغير 362/1. والله تعالى أعلم.

28- القصص:

السؤال رقم (174): يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ
اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56] ذكرت الهداية

ثلاث مرات في هذه الآية، فهل معناها واحد أم مختلف؟

الجواب: جاء في القاموس: وهداه الله الطريق ذلك، والهدى بضم الهاء
وفتح الدال: الرشاد.

والهداية أربعة أنواع:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق، المذكورة في قوله تعالى:
﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 50] أي أعطى كل شيء صورته
التي لا يشبه فيها غيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود
خلقه المختص به، ثم هداه ما خلقه له من الأعمال، قال: وللجماد أيضاً هداية
تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها
وصورها، وكذلك لكل عضو هداية تليق به، فهدى الرجلين للمشي، واللسان
للكلام، والعين لكشف المرئيات وهلمَّ جرًّا، وكذا هدى الزوجين من كل
حيوان إلى الازدواج والتناسل وتربية الولد، والولد إلى التقام الثدي عند

وضعه، ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها إلا هو.

الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لِنَجْدِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب
وشرط لا موجب، ولهذا قد ينتفي الهدى معها، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ
فَهَدَيْنَاهُمْ فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: 17] أي بينا لهم وأرشدناهم
ودللناهم فلم يهتدوا، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾
[الشورى: 52].

الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا
تتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ﴾ [المدثر: 31] وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدُنُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: 37] وفي قوله ﷺ: «من يهدي الله فلا مضل له،
ومن يضلل فلا هادي له» وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: 56] فنفي عنه هذه الهداية وأثبت له هداية
الدعوة والبيان في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:
52].

الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهداية إلى الجنة أو النار إذا سيق
أهلها إليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ
رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: 9] وقال
أهل الجنة فيها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا

اللَّهُ ﴿الأعراف: 43﴾ وقال في حق أهل النار: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿[الصفات: 22، 23].

والبيضاوي ذكر أن الهداية دلالة بلطف، ولذلك تستعمل في الخير، وقوله: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ على التهكم. ثم قال: وهداية الله تتنوع أنواعاً لا يحصيها عدٌّ، لكنها تنحصر في أجناس مترتبة.

الأول: إفاضة القوى التي بها يتمكن المؤمن من الاهتداء إلى مصالحة، كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة. والثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصالح والفساد، وإليه أشار حيث قال: ﴿وَهَدَيْتُهُ التَّجْدِينَ﴾ [البلد: 10] وقال: ﴿فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾.

والثالث: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإياها عنى بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: 7] وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9].

والرابع: أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي أو الإلهام والمنامات الصادقة، وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء، وإياه عنى بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَةٌ﴾ [الأنعام: 90] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69].

35- فاطر:

السؤال رقم: (175) نرجو تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ

أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴿ وما المراد بالكتاب ومن هم المصطفون من العباد ؟

الجواب: يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾^(١) المراد بالكتاب جنسه: وهو الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل، وقيل: إن المراد بالكتاب القرآن، فلفظ "أل" إما للجنس وإما للعهد، والمصطفون من العباد الذين ورثوا الكتب السابقة قيل هم الأنبياء الذين نزلت عليهم هذه الكتب أو أمروا باتباعها، لكن هذا يتنافى مع تقسيم العباد، حيث جعل منهم الظالم لنفسه وهو الكافر الذي لم يؤمن، أو العاصي، والأنبياء منزّهون عن الكفر والعصيان.

وقيل: هم عامة الناس الذين نزلت الكتب إليهم، ويمكن أن يقسموا إلى ظالمين لأنفسهم ومقتصدين وسابقين بالخيرات.

وإذا كانت "أل" للعهد ويراد بالكتاب القرآن الكريم، الذي هو جامع للأصول الموجودة في الكتب السابقة فالمصطفون من العباد هم: أمة محمد ﷺ الذين آمنوا به، والظالم لنفسه هو المؤمن العاصي الذي زادت سيئاته على حسناته، والمقتصد هو المؤمن الذي استوت حسناته وسيئاته، والسابق بالخيرات هو الذي زادت حسناته على سيئاته.

هذا بعض ما قيل في تفسير الآية، وهناك أقوال أخرى يرجع إليها في كتب التفسير، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: أكرم المؤمنين؛

(١) سورة فاطر(32)

وإن كانوا عصاةً فاسقين، وأؤمُّرُهُمُ بالمعروف، وانهمم عن المنكر، واهجرهم رحمة بهم؛ لا تعزُّزاً عليهم، فلو كُشِفَ عن نور المؤمن العاصي، لَطَبَّقَ السماء والأرض، فما ظنُّك بنور المؤمن المطيع، وكيفيك في تعظيم المؤمنين وإن كانوا عن الله تعالى قولُ ربِّ العالمين: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ﴾ فانظر كيف أثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم، واعلم أنه لا بد في مملكته من عبادٍ هم نصيبُ الحِلْمِ، ومحلُّ ظهورِ الرحمةِ والمغفرةِ، ووقوعِ الشفاعةِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ يريد بهم أمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، و﴿اصْطَفَيْنَا﴾ معناه: اخترنا وفضلنا، والعبادُ عامٌّ في جميع العالم، واختلَفَ في عودِ الضمير من قوله: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ فقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، ما مقتضاه: أن الضمير عائدٌ على ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ وإن الأصناف الثلاثة هي كلها في أمة نبينا محمد ﷺ، فالظالمُ لنفسه: العاصي المسرفُ، والمقتصدُ: متقي الكبائرِ، وهم جمهور الأمة، والسابق: المتقي على الإطلاق، وقالت هذه الفرقة: الأصناف الثلاثة في الجنة وقاله أبو سعيد الخدري رضي الله عنه والضمير في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ عائدٌ على الأصناف الثلاثة، قالت عائشة رضي الله عنها وكعب رضي الله عنه: دخلوها كلُّهم وربُّ الكعبة وقال أبو إسحاق السبيعي: أما الذي سمعت منذ ستين سنة فكلُّهم ناجٍ.

وقال ابن مسعود: هذه الأمة يوم القيامة أ ثلاث: ثلث: يدخلون الجنة

بغير حساب، وثالث: يحاسبون حساباً يسيراً؛ ثم يدخلون الجنة، وثالث: يجيئون بذنوب عظام؛ فيقول الله ﷻ: ما هؤلاء؟ وهو أعلم بهم فتقول الملائكة: هم مذنبون إلا أنهم لم يشركوا؛ فيقول ﷻ: أدخلوهم في سعة رحمتي. وروى أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية وقال: «كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ» وقرأ عمرُ هذه الآية، فقال: قال رسول الله ﷺ: «سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ»؛ وقال عكرمة والحسن وقتادة؛ ما مقتضاه: أن الضمير في ﴿وَمِنْهُمْ﴾ عائدٌ على العباد فالظالم لنفسه: الكافر، والمقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقى على الإطلاق، وقالوا هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾^(١) الآية، والضمير في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ على هذا التأويل خاصٌّ بالمُقْتَصِدِ والسابق، وباقي الآية بين، و﴿الْحَزَنُ﴾ في هذه الآية عامٌ في جميع أنواع الأحزان وقولهم: ﴿إِنَّكَ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وصفوه سبحانه بأنه يغفر الذنوب، ويجازي على القليل من الأعمال بالكثير من الثواب، وهذا هو شكره، لا ربَّ سواه، و﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: الجنة، و﴿الْمُقَامَةِ﴾ الإقامة و﴿نَصَبٌ﴾: تعب البدن و﴿لُغُوبٌ﴾: تعب النفس اللازم عن تعب البدن.

36- يس:

السؤال رقم: (176) هل هناك فضل لسورة يس، وما حكم الدين في

(١) سورة الواقعة (7)

قراءتها (41) مرة على الظالم؟

الجواب: جاء في فضل سورة يس قول النبي ﷺ: «يس قلب القرآن لا يقرأها رجل يريد الله تبارك وتعالى والدار الآخرة إلا غفر له وأقرؤها على موتاكم»⁽¹⁾. وقوله ﷺ: «ومن قرأ «يس» كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات» زاد في رواية: «دون يس»⁽²⁾، وقوله ﷺ: «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له»⁽³⁾ وجاء في تفسير القرطبي نقلاً عن مسند الدارمي عن ابن عباس رضي الله عنه وليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ هذا الحديث «من قرأ يس حين يصبح أعطي يسر يومه حتى يمسي، ومن قرأها في صدر ليلة أعطي يسر ليلته حتى يصبح» وقال القرطبي: رفع الماوردي هذا الخبر إلى النبي ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ: «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس، ومن قرأها في ليلة أعطي يسر تلك الليلة، ومن قرأها في يوم أعطي يسر ذلك اليوم» ولم يبين درجة هذا الحديث.

من مجموع ما ورد في شأنها نعلم أن لها فضلاً كما أن لبعض سور القرآن فضلاً يزيد على الفضل العام للقرآن وذلك من أجل الترغيب في قراءتها، ويمكن الأخذ بهذه الأحاديث في فضائل الأعمال.

هذا، وما يقال عن "قراءتها 41 مرة" فلا أعرف له أصلاً، ولعله مأثور عن السلف الصالح، مع التسليم بأن قراءة يس أو شيء من القرآن عمل

(١) رواه أحمد والنسائي وأبو داود والحاكم وصححه.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث غريب، أي رواه راو واحد فقط.

(٣) رواه مالك وابن السني وابن حبان في صحيحه.

صالح يمكن التقرب به إلى الله عند الدعاء، فيقال بعد القراءة: (اللهم إني أسألك بحق ما قرأت من القرآن الكريم أن تحفظني من سوء، وترفع عني ظلم الظالمين) فيرجى أن يستجيب الله تعالى الدعاء كما دعا من انطبق عليهم الغار بصالح أعمالهم فنجاهم الله تعالى، مع العلم بأن الله سبحانه وتعالى سينتصف من الظالم للمظلوم، فدعوته - كما صح في الحديث عن النبي ﷺ -: «يَرْفَعَهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: بَعِزَّتِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» ولكننا نوصي بالصبر والعفو، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾⁽¹⁾.

48- الفتح:

السؤال رقم (177): ما تفسير هذه الآية الكريمة؟ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۗ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾؟

الجواب: الفتح المذكور في الآية هو صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة لأنه كان مقدمة لفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، وهو قول كثير من المفسرين. قال ابن كثير: والمراد به (صلح الحديبية) فإنه حصل بسببه خير جليل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان، ومبيناً: أي بيناً ظاهراً.

(1) الشورى: 40

وأما قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ جاء في أحكام القرآن للشافعي/1/24/ قال المزيبي: سئل الشافعي عن قول الله عز وجل: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِئْرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ قَالَ: مَعْنَاهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِ أَبِيكَ آدَمَ وَهَبْتُهُ لَكَ، وَمَا تَأَخَّرَ مِنْ ذُنُوبِ أُمَّتِكَ أُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِكَ.

وقيل: إن ما يقع منهم هو صورة الذنب وليس ذنباً، بل هو من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقال عطاء الخراساني: «ما تقدم من ذنبك» يعني من ذنب أبوك آدم وحواء. «وما تأخر» من ذنوب أمتك.

وقال الفخر الرازي: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ على قولنا: المراد ذنب المؤمن، كأنه تعالى قال: ليغفر لك ذنب المؤمنين. والمهم هو بيان الربط بين الفتح والمغفرة للذنوب وأثرها في نفس الرسول ﷺ.

وقد ثبت أن الرسول فرح بنزول هذه الآية، كما رواه الترمذي بسند حسن صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: أنزلت على النبي ﷺ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديدية فقال ﷺ: «لقد أنزلت عليّ آية أحب إليّ مما على وجه الأرض» ثم قرأها.

وفي الربط بين الفتح والمغفرة قال الزمخشري: لم يجعل الفتح علة للمغفرة، ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهي: المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز، كأنه قال: يسرنا

لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك عزّ الدارين
وأعراض العاجل والآجل .

ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سبباً للغفران والثواب .

وقال ابن عجيبة في البحر المديد: يقول الحق جل جلاله: ﴿لَقَدْ

تَابَ اللَّهُ عَلَى التَّيِّبِ﴾ أي: برّاه وظهره من الذنوب، كقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ ﴿و﴾ تاب على ﴿الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ مما عسى أن

يكون ارتكبه؛ إذ لا يخلو العبد من ذنب أو عيب .

وقيل: هو حض على التوبة، وإظهار لفضلها، بأنها مقام الأنبياء

والصالحين .

وقيل: تاب عليهم من نقص المقامات التي ترقوا عنها، إلى ما هو أكمل

منها، فما من أحد إلا وله مقام يُستنقص بالنسبة إلى ما فوقه .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمته الله: ذكر توبة من لم يذنب؛ لثلا

يستوحش من أذنب، لأنه ذكر النبي ، والمهاجرين والأنصار

ولم يذنبوا، ثم قال: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا﴾، فذكر من لم يذنب

ليؤنس من قد أذنب، فلو قال أولاً: لقد تاب على الثلاثة لتفطرت أكبادهم .

وهذا يقودنا إلى الحديث عن عصمة الأنبياء، وهل هم معصومون أم لا؟ .

قال الإمام فخر الدين الرازي في بيان الإجابة على هذا

السؤال: اختلف الناس في عصمة الأنبياء، وضبط القول فيها

يرجع إلى أقسام أربعة:

أحدها: ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فإن ذلك

غير جائز عليهم .

والثاني: ما يتعلق بالتبليغ فقد أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض. وإلا لارتفع الوثوق بالأداء وانفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمداً ولا سهواً.

الثالث: ما يتعلق بالفتوى فأجمعوا على أنه لا يجوز خطوهم فيها على سبيل العمد وأجازه لبعضهم على سبيل السهو.

الرابع: ما يقع في أفعالهم فقد اختلفت الأمة فيه على خمسة أقوال: قلت: أصحها: أنه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل، واختلفت الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال: أصحها: قول من ذهب إلى أنهم معصومون من وقت الولادة.

وقال القاضي عياض: وأما قصة آدم ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ أي جهل وقيل خطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتْنَىٰ وَكَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه. وقيل: لم يقصد المخالفة استحلالاً لها ولكنه اغتر بحلف إبليس له ﴿إِنِّي لَكُمْ لِمَنِ النَّصِيحِينَ﴾ وتوهم أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً.

وقيل: نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي قصداً للمخالفة.

وقيل: بل أكل من الشجرة متأولاً وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس، ولهذا قيل: إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة.

وقيل: تأوّل أن الله تعالى لم ينه تحريم .

وقال الخازن: فإن قلت: إذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى

قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف

الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وإشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم؟

وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه؟

قلت: إن درجة الأنبياء من الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده

وعظم سلطانه وقوة بطشه، مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق

من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم، وإنهم في تصرفهم بأمر لم ينهوا عنها

ولم يؤمروا، وأتوها على وجه التأويل أو السهو وتزيدوا من أمور الدنيا

المباحة أو أخذوا عليها وعوتبوا بسببها.

أو حذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون، وهي ذنوب بالإضافة

إلى علو منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنها ذنوب كذنوب

غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما

قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي يرونها بالإضافة إلى علو أحوالهم

كالسيئات .

50- ق:

السؤال رقم: (178) من هم أصحاب الرس، ومن هو النبي الذي أرسل

إليهم؟

الجواب: قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾⁽¹⁾، جاء في تفسير القرطبي لسورة الفرقان: أن الرس في كلام العرب هو البئر التي تكون غير مطوية أي غير مبنية، والكلام كثير في بيان أصحاب الرس، ولا يوجد مستند صحيح لهذه الأقوال، فقيل: هم أهل أنطاكية الذين قتلوا حبيبا النجار مؤمن آل يس وطرحوه في البئر، وقيل: قوم من ولد يهوذا كانوا يعبدون شجرة صنوبر قتلوا نبيهم ورشوه في البئر، وقال وهب بن منبه: أرسل الله شعبيا إلى قوم حول بئر فكذبوه، وقال قتادة: أصحاب الرس وأصحاب الأيكة أمّتان أرسل الله تعالى إليهما شعبيا، وقيل: أصحابها قوم باليمامة، وقيل: هم أصحاب الأخدود، وقد يكون رسولهم ممن لم يقصهم الله تعالى على نبيه، وقيل: هم قوم حنظلة بن صفوان، وعلى كل حال لا يضر الجهل بهم فليس فيهم خبر صحيح.

السؤال رقم(179): أرجو تفسير الآية الكريمة: {وَحَامَتُ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}.

الجواب: هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة حيث يقوم الناس من القبور ويساقون إلى المحشر ويحاسبون.
والقرطبي يقول في التفسير: اختلف في السائق والشهيد، فقال ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد من أنفسهم هو الأيدي والأرجل.

(١) ق: 12

وقال أبو هريرة: السائق الملك والشهيد العمل .

وقال الحسن وقتادة: المعنى سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها .

وقال ابن مسلم: السائق قرينها من الشياطين، سمّي سائقاً لأنه يتبعها وإن لم يحثها .

وقال مجاهد: السائق والشهيد ملكان .

وعن عثمان بن عفان: ملك يسوقها إلى أمر الله وشهيد يشهد عليها بعملها . ورجح القرطبي هذا الرأي، فهما ملكا الحسنات والسيئات، واحد يسوقها وواحد يشهد عليها، والله تعالى أعلم .

53- النجم:

السؤال رقم (180): نسمع عن قصة الغرانيق فما هي؟

الجواب: 1- جاء في «مختصر سيرة الرسول ﷺ» هذا النص: (ومما وقع أيضاً قصته ﷺ معهم لما قرأ سورة النجم بحضرتهم، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ آلَ لَتِّ وَالْعُرَىٰ ۝١٩ وَمَنۢ مِّنۡهُمۡ ثَالِثَةٌ الْآخِرَىٰ﴾ ألقى الشيطان في تلاوته: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، وظنوا أن النبي ﷺ قاله، وفرحوا بذلك فرحاً شديداً)، فهل هذه الرواية صحيحة؟ وعلى فرض صحتها، هل للشيطان سلطة أن يلقي في تلاوته تلك الكلمات التي مر ذكرها؟ قصة الغرانيق ذكرها كثير من علماء التفسير عند تفسيرهم قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]، وعند تفسيرهم قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ آلَ لَتِّ وَالْعُرَىٰ ۝١٩﴾

وَمَنْوَةٌ الثَّلَاثَةَ الْآخِرَى ﴿ [النجم: 19-20] ، ورووها من طرق عدة بألفاظ مختلفة ، غير أنها كلها رويت من طرق مرسلة ، ولم ترد مسندة من طرق صحيحة ، كما قال ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ، فإنه لما ساق هذه القصة بطرقها قال بعدها: (وكلها مراسلات ومنقطعات).

2- (وقال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة ، اهـ . واستنكرها أيضاً أبو بكر بن العربي والقاضي عياض وآخرون سنداً وممتناً ، أما السند فيما تقدم ، وأما المتن فيما ذكره ابن العربي من أن الله تعالى إذا أرسل الملك إلى رسوله خلق فيه العلم بأن من يوحى إليه هو الملك ، فلا يمكن أن يلقي الشيطان على لسانه شيئاً يلتبس عليه فيتلوه على أنه قرآن ، وللإجماع على عصمة الرسول ﷺ من الشرك فيمتنع أن يتكلم بكلمة: (تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) سهواً أو ظناً منه أنها قرآن ، ولأنه يستحيل أن يؤثر الرسول ﷺ صلة قومه ؛ ورضاهم على صلة ربه ورضاه ، فيتمنى ألا ينزل الله عليه ما يغضب قومه حرصاً منه على رضاهم .

ثم ما استدللَّ به على ثبوت القصة من قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ لا يدل على صحتها ، بل يدل على براءة النبي ﷺ مما نسب إليه من تلاوة هذه الكلمة الشركية ؛ لأنها تفيد النفي لا الإثبات ، ولأنها تفيد أن الشيطان ألقى في أمنيه: أي تلاوته ، وليس فيها أن الشيطان ألقى على لسانه تلك الكلمات الشركية ، أو ألقاها في نفسه فتلاها أو قرأها أو تكلم بها سهواً أو غلطاً أو قصداً حتى جاء

جبريل وأنكر عليه وأصلح له ما أخطأ فيه، وأسف عَلَيْهِ أسفاً شديداً على ما فرط منه، ولم يثبت أن الآية نزلت تسلياً للرسول عَلَيْهِ فيما أصيب به مما ذكر في هذه القصة حتى يكون مساعداً على تأويلها بما جاء فيها من المنكرات.

وقد وافق جمهور أهل السنة ابن العربي فيما ذكره، وذكروا أن معنى الآية: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا ما أنزلنا عليه من الوحي أو تكلم به ألقى شيطان الإنس أو الجن أثناء تلاوته أو خلال حديثه وكلامه قولاً يتكلم به الشيطان ويسمعه الحاضرون، أو يوسوس الشيطان وساوس يلقىها في نفوس الكفار ومرضى القلوب من المنافقين فيحسبها أولئك من الوحي وليست منه، فيبطل الله ما ألقى الشيطان من القول أو الشبه والوسوسة ويزيله، ويحق الحق بكلماته لكمال علمه، وبالغ حكمته، وهذه سنة الله مع رسله وأنبيائه وأعدائه وأعدائهم، ليمعنى معنى الابتلاء والامتحان ويميز الخبيث من الطيب، ليهلك من هلك بما ألقى الشيطان من الكفار ومرضى القلوب، ويحيا من حي عن بينة من أهل العلم واليقين الذين اطمأنت قلوبهم بالإيمان وهدوا إلى صراط مستقيم.

السؤال رقم: (181) ما معنى قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ

أَدْنَى﴾⁽¹⁾؟

الجواب: معنى "قاب" قدر أو مقدار، والقوس قيل: هو آلة الصيد

(١) النجم: 9

والحرب المعروفة عند العرب، وقيل: المراد به الذراع التي يقاس بها، وهي لغة بعض الحجازيين وقيل: هي لغة أزد شنوءة أيضاً، والمراد بالقوسين الاثنان، وقيل المراد قوس واحد كما قال الكسائي، يقال بين الشئين: قاب قوس أي قدره، وفي الحديث الصحيح: «وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

والآية تتحدث إما عن قرب الله سبحانه وتعالى من النبي ﷺ والمراد قرب المكانة لا المكان، فهو قرب عطف ولطف وإيناس، وإما عن قرب جبريل من الله تعالى، وهو قرب منزلة أيضاً كما روي في الحديث: «إن أقرب الملائكة من الله جبريل عليه السلام» وإما عن قرب جبريل من النبي ﷺ عند نزوله بالوحي عليه.

والسورة في أولها تؤكد صدق النبي ﷺ في نزول الوحي عليه من الله تعالى.

فهو ما ينطق عن الهوى، نزل به جبريل شديد القوى، من الأفق الأعلى، ودنا وتدلى فكان قريباً جداً من الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى بلغه ما أوحى به، فما يقوله من عند الله حق ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾⁽¹⁾ ثم تتحدث الآية عن رؤية النبي ﷺ لجبريل مرة أخرى، غير التي جاء فيها في الغار، وعلى أثرها كذب المشركون ما ادعاه من رؤيته، وهذه المرة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، ويقول المفسرون: إن ذلك كان ليلة المعراج وكلامهم

(١) النجم: 11

هناك كثير يمكن الرجوع إليه ، وفيما ذكرته كفاية .

55- الرحمن:

السؤال رقم: (182) ما تفسير قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾؟

الجواب: يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾⁽¹⁾ ، هذه الآية فيها جملتان: الأولى قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومعناها أن كل المخلوقات محتاجة إليه ، تطلب منه بلسان حالها أو مقالها كل ما تريده من رزق ورحمة ومغفرة وما إلى ذلك ، والجملة الثانية هي قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والكلام في تفسيرها كثير ، ولكن يجب أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى علم كل شيء قبل أن يخلقه ، وكتب في اللوح المحفوظ ما سيكون عليه كل مخلوق وما يجري على العالم كله ، فعلمه سبحانه وتعالى لا يتغير في أي يوم من الأيام ، أي مطلقاً ، سواءً أردنا بالأيام أيام الدنيا ، أو أردنا أنها يومان ، يوم للدنيا ويوم للآخرة ، وهو بقدرته سبحانه وتعالى ينفذ مضمون علمه ، وذلك يقتضي إشرافه الدائم على شؤون خلقه ، لا يشغله شأن عن شأن ، فهو ليس مثلنا إذا شغلنا بشيء شغلنا عن الآخر في اللحظة الواحدة ، على حد قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾⁽²⁾ ، وهو

(١) الرحمن: 29.

(٢) الأحزاب: 4

بوجوده الدائم وألوهيته المستمرة حاضر لا يغيب، مسيطر على الكون كله، ومتصرف فيه بقدرته حسب علمه وإرادته، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويشفي سقيماً، ويسقم سليماً، ويبتلي معافى، ويعافي مبتلى، ويعز ذليلاً، ويذل عزيزاً، ويفقر غنياً، ويغني فقيراً... إلى غير ذلك من سائر التصرفات، وهي كلها - كما عبر بعض الكاتبين - أمور يديها ولا يبتديها، أي يظهرها للناس وهي معلومة له من قبل، فلا يبدأ عملها عند وجودها.

والإله الذي بهذا الوصف لا يمكن حصر أفعاله ولا أوامره التي ينفذ بها مقاديره، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، وقال عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِدَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(٢)، وهو وحده القادر على السيطرة على العالم كله، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٣).

وبعد، فإن قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يقوي فينا الإيمان بالحاجة الدائمة إليه، فلا نرجو أحداً سواه، لأنه حاضر لا يغيب،

(١) لقمان: 27

(٢) الكهف: 109

(٣) فاطر: 41.

يجيب المضطر إذا دعاه، ويستجيب لمن ناداه قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ
 الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾⁽¹⁾ ﴿فَسَبِّحْنَا الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ﴾⁽²⁾.

56- الواقعة:

السؤال رقم: (183) نريد تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ
 كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾؟

الجواب: اتفق الأئمة على حرمة حمل المصحف ومسه للحائض والنفساء
 والجنب، ولم يخالف في ذلك واحد من الصحابة، لكن جوزه داود وابن
 حزم الظاهريان.

ومما استدل به الأئمة قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ

مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾⁽³⁾، بناء على أن المراد بالكتاب هو
 المصحف، وأن المس هو اللمس الحسي المعروف.

وقد نوقش هذا الدليل بأن الكتاب المكنون فسر به بعضهم باللوح
 المحفوظ، والمطهرون هم الملائكة، أو أن الكتاب لو أريد به المصحف
 فالمطهرون هم المطهرون من الشرك، لأن المشركين نجس.

(١) فاطر: 15

(٢) يس: 83

(٣) الواقعة: 77-79

كما استدلل الأئمة بحديث عمرو بن حزم رضي الله عنه في الكتاب الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم معه إلى اليمن وفيه «لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ» رواه النسائي والدارقطني، وقال ابن عبد البر: إنه أشبه بالمتواتر، لتلقي الناس له بالقبول، وقال بعض العلماء: إن إسناده حسن.

واستدلوا أيضاً بحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «لَا تَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا وَأَنْتَ طَاهِرٌ» ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" وقال: رجاله موثقون.

ودليل داود وابن حزم على عدم حرمة حمله ومسه ما ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث كتاباً إلى هرقل فيه آية: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ...﴾⁽¹⁾ وهو وغيره ممن أرسلت إليهم الكتب لا يتطهرون من الجنابة، وأجاب الأئمة على ذلك بأن الرسالة لا تسمى مصحفاً، ولا مانع من ذلك مثل حمل كتب الدين التي فيها قرآن، من هنا نرى أن حمل المصحف أو مسه للحائض والجنب ولغير المتوضئ حرام وأدلة تحريمه متضافرة، وهذا تفصيل للأقوال:

- 1- جمهور العلماء على حرمة مس المصحف وحمله، إلا لظاهر من كل حدث، وذهب إليه مالك والشافعي وأبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه.
- 2- جوز بعض العلماء ذلك، وذهب إليه أبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه، كما جوزه داود بن علي.

وقد رخص بعض العلماء للصبيان الذين لم يبلغوا الحلم، حمل المصحف ومسه مع الحدث الأصغر لحاجتهم إلى حفظ القرآن وتيسيره

(١) آل عمران (64)

عليهم، ويقاس عليهم الكبار المحتاجون لحفظ القرآن، أما من أجل التعبد فلا بد من الطهارة.

هذا، وقراءة القرآن بدون مس للمصحف أو حمله جائزة لمن عليه حدث أصغر، وذلك باتفاق الفقهاء، وإن كان الأفضل الطهارة، وبخاصة إذا كان يقصد التعبد، فالعبادة مع الطهارة أكمل وأرجى للقبول، والله تعالى أعلم.

66- التحريم:

السؤال رقم (184): قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ مُحَرَّمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ طَبِئَبْنِي مَرَضَاتٍ أَزْوَاجَكَ﴾ ما هو الشيء الذي حرمه الرسول على نفسه، وكيف يخالف أمر الله فيحرم ما أحله الله له؟

الجواب: أصح ما ورد في سبب نزول هذه الآية من أول سورة التحريم كما رواه مسلم، أنه ﷺ كان يشرب عسلاً عند بعض نساءه - زينب بنت جحش أو حفصة بنت عمر- وكان يمكث عندها طويلاً، فدبت الغيرة في قلب بعض زوجاته، وهن بشر، كنَّ يتمنَّين أن يمكث عندهن كما يمكث هناك، لأن من عادته ﷺ أنه كان يطوف عليهن جميعاً كل يوم، يسأل عنهن ويقضي حاجاتهن، ثم يبيت عند صاحبة النوبة، فقال بعض الزوجات: إذا وصل النبي إلينا نقول له: إن في فمك رائحة كريهة وهو يكره الرائحة الكريهة فقلن له ذلك، وذكر أنه من الطعام الذي أكله، فقال: «أكلت عسلاً» فقلن: لعلَّ نحله قد جنت العُرفط، يعني امتص زهر شجر العرفط وهو ذو رائحة كريهة.

ومن هنا حلف الرسول ألا يأكله مرة أخرى، وبالفعل عندما زار من

عندها غسل رفض أن يأكل منه ، وقد أطلع الله نبيه على ما فعلته زوجاته وبيّن له المخرج من يمينه ، وهو كفارة بعثق رقبة أو أطعام عشر مساكين أو كسوتهم على ما جاء في سورة المائدة .

وقد نزلت هذه الآية عتاباً رقيقاً من الله لنبيه في أنه كان في الذروة من حسن معاشرة أزواجه ، لدرجة أنه امتنع عما أحله الله له لإدخال السرور على قلوبهن وبيّن له أن سمو الخلق لا يصل إلى الدرجة التي يتعب فيها نفسه ويحرمها من الحلال الطيب الذي يحبه ، فالامتناع عن أكل شيء إرضاءً لمن يحبه ليس تحريماً شرعياً لشيء أحله الله وليس معصية ، بل هو تصرف شخص في معاملة أزواجه ، كما امتنع عن أكل الثوم والبصل وهما مباحان ، لأن وضعه من لقاء الملائكة وغيره ليس كوضع سائر الناس ، وقد امتنع من قبله سيدنا يعقوب عن لحوم الإبل وألبانها لأمر يخصه ، ولم يعاتبه الله على ذلك كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّورَةُ﴾ [آل عمران: 93] .

والسبب المذكور لنزول الآية أصح من رواية الدارقطني أنه امتنع عن مارية إرضاءً لحفصة عندما اختلى بها في بيتها «راجع تفسير القرطبي لهذه الآية» .

108- الكوثر:

السؤال رقم (185): هل صحيح أن الكوثر يعني السيدة فاطمة عليها السلام؟

الجواب: يقول الله سبحانه ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ وللعلماء كلام كثير في المراد بالكوثر، فقيل هو الخير الكثير، وقيل هو النبوة، وقيل

غير ذلك، وأقوى ما فُسِّر به ما جاء في صحيح مسلم وغيره أن النبي ﷺ لما قرأ هذه السورة قال: «أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: «نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آيئته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك» ومعنى يختلج: ينزع ويبعد. وروى أحمد في مسنده أن رجلاً سأل النبي ﷺ: ما الكوثر؟ فقال: «نهر في الجنة يسيل في حوضه، لهو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل». وجاء في صحيح البخاري أنه: «نهر في الجنة يسيل في حوضه، مجراه على الدر والياقوت» وفي سنن النسائي: «ترابه المسك وحصاؤه اللؤلؤ والياقوت، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج».

وحوض النبي ، أكبر الحياض وأكثرها واردهً، ففي حديث الترمذي: «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون بأكثرهم وارده، وإنني أرجو أن أكون أكثرهم وارده». وجاء في روايات البخاري ومسلم: «أن حوض الرسول ﷺ مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبداً» وفي رواية: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق» أي الفضة، وفي رواية لهما أيضاً ما يفيد أن بعض من يردون الحوض من أمتهم يُمنعون عنه ويذهب بهم إلى النار لأنهم ارتدوا على أدبارهم فلا يخلص منهم إلا مثل همل النعم، أي ضوألها. ومعناه: الناجي قليل كقلة الضالة من الغنم بالنسبة إلى جملتها «الزرقاني على المواهب 34/5، الترغيب 144/4 - 147».

تلك بعض الأحاديث التي فسرت الكوثر بأنه نهر في الجنة بهذه

الأوصاف الطيبة، وهو يصب في حوض الرسول الذي يكون في المحشر قبل دخول الجنة، وأن الذي سيشرب منه هم الثابتون على الإيمان والتقوى حتى الموت، وأن مقدار ما يشربه المؤمن من الحوض يقدر بدرجة حبه للنبي ﷺ، والحب له آثار في السلوك على هدى الأسوة الحسنة.

112- الإخلاص:

السؤال رقم: (186) هل ورد في فضل قراءة سورة الإخلاص عشر مرات بعد الصلاة؟

الجواب: نعم أخرج الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ وابن حبان في الثواب، والأصبهاني في الترغيب، وابن حجر في المطالب العالية: عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ بِالْإِيمَانِ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، وَزَوْجٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ: مَنْ عَفَا عَنْ قَاتِلِهِ، وَأَدَّى دَيْنًا خَفِيًّا، وَقَرَأَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوْ إِحْدَاهُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَوْ إِحْدَاهُنَّ».

ومعنى "عفا عن قاتله": بأن ضربه ضرباً قاتلاً، فعفا عنه قبل موته، وأما أداء الدين الخفي: فهو أن تقوم بسداد الدين عن رجل محتاج، أو عن رجل من أهل الصلاح أو التقى أو العلم؛ تقرباً إلى الله تعالى، وبشرط ألا يعلم صاحب الدين من أدى عنه دينه، وكذلك إذا اطلع على دين على أبيه بعد وفاته، وكان هذا الدين منسياً من قبل صاحبه، أو من قبل والده المتوفى وقام بأدائه.

** ** *

باب الأحاديث فصل في مصطلح الحديث

السؤال رقم (187): هل للأحاديث القدسية أسباب نزول مثل الآيات
القرآنية الكريمة؟

الجواب: نعم قد يكون للأحاديث القدسية أسباب ورود، لا نزول، لأن
الأحاديث القدسية ليست منزلة بلفظها من الله تعالى، وإنما معناها من الله تعالى
ولفظها من النبي ﷺ، فعند وجود تلك الأسباب يُلقى في رُوع النبي ﷺ ما
يوحى به الله إليه كما في قول من قال: مطرنا بنوء كذا- يعني في برج كذا - .

كما أخرج الشيخان من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه قال: (صلى بنا رسول
الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت في الليل، فلما انصرف
أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم،
قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا
فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب). إلى غير ذلك من الأحاديث التي غالباً ما
كانت تأتي بياناً لحادثة وقعت، فيوحى الله تعالى عندها إلى نبيه ﷺ ما شاء .

وقد بين علماء الحديث أسباب ورود الأحاديث في مؤلفات خاصة
كالعكبري، والإمام السيوطي في كتابه أسباب ورود الحديث الشريف وهو
مطبوع وبينها شرح الحديث عموماً، وقد يخفى هذا السبب عنا لعدم عناية
الصحابة ببيان الأسباب، إذ كانت عنايتهم بالعبارة والحكم كما قالوا: العبرة

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . والله تعالى أعلم .

السؤال رقم: (188) ما رأي الدين في بعض الناس ممن يروي أحاديث دون أن يتثبت من صحتها، وقد تكون موضوعة وحكايات قد تكون مختلفة؟

الجواب: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (١) ويقول: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٢) وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» وروى مسلم أيضاً أنه ﷺ قال: «بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنْ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» وروى أبو داود بإسناد صحيح أنه ﷺ قال «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا». هذه النصوص تنفر من الإسراع في رواية حديث أو حكاية خبر أو إصدار حكم قبل أن يتثبت الإنسان منه، والله سبحانه وتعالى سائل من تجرأ على ذلك يوم القيامة، ومطلع على نيته، وتشتد حرمة الكذب إذا نسب إلى الله سبحانه وتعالى أو إلى الرسول ﷺ، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (٣) والرسول ﷺ يقول: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٤) وكما يحرم الكذب في نقل

(١) سورة الإسراء (36)

(٢) سورة ق (18)

(٣) سورة النحل (116)

(٤) رواه البخاري ومسلم .

الآيات والأحاديث يحرم في الحكم على الشيء بالحل أو الحرمة ، لأن ذلك من اختصاص الله سبحانه وتعالى وما أذن فيه للرسل ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّتُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفَرُّونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ونسبة أقوال أو أفعال إلى غير من لم تصدر عنه كذب عليه وفيه إيذاء وضرر والله تعالى يقول : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (٢) ، وفي الحديث : « لا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » .

وأكثر من يلجؤون إلى هذه الطريقة مراؤون غير مخلصين لله تعالى ، يريدون أن يتحدث الناس عنهم بكثرة العلم ، أو ينالوا منهم مغنماً دنيوياً ، والرياء شرك محبط للثواب والوعيد عليه شديد في نصوص القرآن والسنة ، ومعلوم أن الرسول ﷺ كان إذا سئل لا يجيب إلا بما يعلم ، فإن كان عنده علم أجاب ، وإلا رجع إلى الله سبحانه وتعالى ، والوقائع شاهدة على ذلك ، كما في سؤالهم له عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف ، وعن خير البقاع وشرها ، والحديث معروف في قيام الجهلاء بالفتوى بعد موت العلماء ، فضلوا وأضلوا .

وهذه بعض الأحاديث الموضوعية والباطلة التي تتردد على السنة بعض

(١) سورة النحل (116)

(٢) سورة الأحزاب (58)

الأئمة والخطباء؟

1- حديث: «من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر، لم يزد من الله إلا بعداً». وفي لفظ: «من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر، فلا صلاة له». قال الذهبي: قال ابن الجنيدي: كذب وزور.

2- حديث: «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش». وفي لفظ: «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». قال الحافظ العراقي: لم أفه له على أصل، قال عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: لم أجد له إسناداً.

3- حديث: «أنا جدُّ كل تقي» قال السيوطي: لا أعرفه.

4- حديث: «الخير فيَّ وفي أمي إلى يوم القيامة». قال ابن حجر: لا أعرفه. "المقاصد الحسنة" للسخاوي (ص 208). وهو في "تذكرة الموضوعات" للفتني (68). وفي "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعات" للقاري (ص 195). والحديث الصحيح في هذا المعنى قوله ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ».

5- حديث: (إياكم وخضراء الدمن فليل: ما خضراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء). وقال الدارقطني: لا يصح من وجه، وذكره الفتني في موضوعاته، وذكره صاحب تحفة العروس عن عمر رضي الله عنه موقوفاً بلفظ «إياكم وخضراء الدمن فإنها تلد مثل أصلها، وعليكم بذات الأعراق فإنها تلد مثل أبيها وعمها وأخيها» انتهى.

6- حديث: (من عَرَفَ نفسه فقد عرف ربه). موضوع. "الأسرار

المرفوعة".

7- حديث: (سُور المؤمن شفاء). لا أصل له.

8- حديث: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الأكبر). لا أصل له.

الأسرار المرفوعة.

9- حديث: (إن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً). موضوع.

10- حديث: (أنا عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي). موضوع

11- حديث: (خير الأسماء ما عبّدت وما حمّدت). موضوع.

12- حديث: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) لا يعرف له أصل.

13- حديث: (كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت

خلقاً فعرفتهم بي فعرفوني): نص الحفاظ كالزركشي والسخاوي على أنه لا أصل له.

14- حديث: (اتق شر من أحسنت إليه). باطل وهذا من الأمثال وليس

بحديث.

15- حديث (اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلي فأسكني أحب

البلاد إليك فأسكنه الله المدينة). منكر بل قيل موضوع.

16- حديث أبي أمامة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ،

قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، قَالَ: وَعِزَّتِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا

أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ أُعْطِيَ وَبِكَ الثَّوَابُ، وَعَلَيْكَ الْعِقَابُ». قال الزركشي:

قال بعض الحفاظ: هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم.

17- حديث: (السنة الخلق أقلام الحق). قال في المقاصد لا أصل له.

18- حديث: (خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء). قال ابن حجر: «لا أعرف له إسناداً» وقال ابن القيم: «كل حديث فيه: يا حميراء، أو ذكر: الحميراء؛ فهو كذب مختلق».

19- حديث: (ما فضل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام، ولكن بشيء وقر في صدره). لا أصل له.

20- حديث: (إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة). موضوع.

21- حديث: (ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصبته في صدر أبي

بكر). موضوع.

22- حديث: أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال لجبريل: حدثني بفضائل عمر في السماء.

فقال: يا محمد، لو حدثتك بفضائل عمر في السماء ما لبث نوح في قومه: ألف سنة إلا خمسين عاماً، ما نفدت فضائل عمر، وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر. قال أحمد بن حنبل: إنه موضوع.

23- حديث: (أَنَا وَأُمَّتِي بُرَاءٌ مِنَ التَّكْلِيفِ). قال النووي: لا يثبت.

24- حديث: (لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوت المؤمن منها

حلالاً). لا أصل له.

25- حديث: (من قضى صلوات من الفرائض في آخر جمعة من رمضان

كان ذلك جابراً لكل صلاة فائتة من عمره إلى سبعين سنة). قال علي القاري في موضوعاته الصغرى والكبرى: باطل قطعياً لأنه مناقض للإجماع.

26- حديث: (إن الورد خلق من عرق النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو من عرق البراق)،

قال في المقاصد: قال النووي: لا يصح.

27- حديث: (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من

أساء إليها). باطل.

28- حديث: (شاوروهن وخالفوهن). لا أصل له، ذكره السخاوي في

المقاصد.

29 حديث: (الشيخ في قومه كالنبي في أمته)، قال ابن حبان وهذا

موضوع.

30- حديث: (طعام البخيل داء، وطعام الجواد دواء). حديث منكر،

وقال الذهبي: كذب، وقال ابن عدي: إنه باطل.

31- حديث: (اتخذوا السودان، فإن فيهم ثلاثة من سادات الجنة:

لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال). قيل: لا يصح، في إسناده: من لا يحتج

به. وقد ذكره ابن الجوزي في موضوعاته. الأحاديث الموضوععة للشوكاني.

32- حديث: (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر). قال عبد الله صديق

الغماري: هناك أدلة صريحة وقوية على كذب هذا الحديث. وهو منكر موضوع

لا أصل له في شيء من كتب السنة وقال المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة:

حديث جابر رضي الله عنه هذا موضوع.

33- حديث: (حُب إلي من الدنيا: النساء، والطيب وجعلت قرة عيني

في الصلاة) صحيح (والباطل في روايات هذا الحديث: لفظة دنياكم ولفظة

ثلاث).

34- حديث: (وعليّ جمع الحطب). باطل لا أصل له.

35- حديث: (تعس عبد الزوجة) لم أقف له على أصل.

36- حديث: (من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها،

ومن نكح لدينها رزقه الله مالها وجمالها) من الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي إسناداً.

37- حديث: (إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم خوفاً في الدنيا) قال العراقي: لا أصل له.

38- حديث: (شراركم عزابكم) وقال ابن الجوزي: (هذا حديث لا يصح).

39- حديث: (من تهاون بصلاته عاقبه الله بخمس عشرة خصلة: ستة منها في الدنيا، وثلاثة منها عند الموت، وثلاثة منها في قبره، وثلاثة منها تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره.... الخ): حديث باطل، وقال في اللسان: هو ظاهر البطلان) ينتشر اليوم في المساجد كثيراً ولا يجوز روايته إلا لبيان أنه كذب على الله ورسوله ﷺ .

40- حديث: (أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا تَقَارَبَ مِنْهُ الْمَوْتُ بَعْدَ أَنْ عَرَضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَبَى، قَالَ فَنظَرَ الْعَبَّاسُ إِلَيْهِ وَهُوَ يُحْرِكُ شَفْتَيْهِ فَأَضَعَى إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَ أَخِي الْكَلِمَةَ الَّتِي أَمَرْتَهُ أَنْ يَقُولَهَا). قال الحافظ ابن حجر: هَذَا الْحَدِيثُ لَوْ كَانَ طَرِيقَهُ صَحِيحًا لَعَارَضَهُ هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي هُوَ أَصَحُّ مِنْهُ فَضْلاً عَنْ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ. رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائِيُّ وَابْنُ خُرَيْمَةَ وَابْنُ الْجَارُودِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ قَالَ «لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ، قَالَ: إِذْهَبْ فَوَارِهِ. قُلْتُ: إِنَّهُ مَاتَ مُشْرِكًا، فَقَالَ: إِذْهَبْ فَوَارِهِ» الْحَدِيثُ وَفِي الْبُخَارِيِّ «أَنَّهُ يُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ». وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ

عَبَّاسٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ لَهُ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاقَهُ». وَوَقَفْتُ عَلَى جُزْءِ جَمْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْبَدْعِ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَاهِيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى إِسْلَامِ أَبِي طَالِبٍ وَلَا يَثْبُتُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .
١٠هـ فتح الباري (210/11)

41- حديث "اطلبوا العلم ولو بالصين" قال ابن عراق: (قال ابن حبان: حديث باطل لا أصل له).

42- حديث: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: يا محمد، قم فادخل الجنة بغير حساب، فيقوم كل من كان اسمه محمد، ويتوهم أن النداء له، فلكرامة محمد لا ينعون». قال ابن عراق: هذا حديث موضوع بلا شك .

43- حديث: (أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر). قال السخاوي: «لا وجود له في كتب الحديث المشهورة، ولا الأجزاء المنثورة، وجزم العراقي بأنه لا أصل له .

44- حديث: (حب الوطن من الإيمان). لا أصل له وذكره الفتني في الموضوعات .

45- حديث: (لا تكرهوا البنات فإنهن المؤمنات الغاليات)، في سنده إبراهيم بن حكيم المدني وهو متهم بالوضع .

46- حديث: (من أكل مع مغفور له غفر له). هو كذب موضوع .

47- حديث: (ما من نبي نبي إلا بعد الأربعين)، قال ابن الجوزي: إنه موضوع .

48- حديث: (لعن الله الكذاب ولو كان مازحاً)، ما علمته في المرفوع .

- 49- حديث: (القلب بيت الرب)، ليس له أصل في المرفوع.
- 50- حديث: (العداوة في الأهل، والحسد في الجيران، والمنفعة في الإخوان).، لم أفق عليه حديثاً، ذكره السخاوي في المقاصد.
- 51- حديث: (نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه) قال السيوطي: لم نظفر به في شيء من كتب الحديث، وذكر العجلوني لبعضهم أنه من كلام سيدنا عمر (323/2).
- 52- حدثنا عاصم الأحول عن زيد بن ثابت مرفوعاً: (أول من يعطى كتابه يمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل فأين أبو بكر قال تزفه الملائكة إلى الجنان) جاء في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي: هذا حديث لا يصح، والمتهم به عمر ويعرف بالكردي. وقال الدار قطني: كان كذاباً يضع الحديث.
- 53- حديث: (أن النبي ﷺ قال: يا أبا بكر، ألا أبشرك؟ قال: بلى، فذاك أبي وأمي. قال: إن الله ﷻ يتجلى للخلق يوم القيامة عامة، ويتجلى لك خاصة). رواه الخطيب عن أنس مرفوعاً. وقال: لا أصل له.
- 54- حديث: (بينما النبي ﷺ مع جبريل، إذ مر أبو بكر. فقال: هذا أبو بكر. قال: أتعرفه يا جبريل؟ قال: نعم. إنه في السماء أشهر منه في الأرض. إن الملائكة لتسميه حلیم قريش، وإنه وزيرك في حياتك، وخليفتك بعد موتك). في إسناده: إسماعيل بن محمد بن يوسف: كذاب. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني.
- 55- حديث: (لو لم أبعث فيكم لبعث عمر). رواه ابن عدي عن بلال

مرفوعاً. وفي إسناده: وضاع.

56- حديث: (من شتم الصديق فإنه زنديق، ومن شتم عمر فماواه سقر، ومن شتم عثمان خصمه الرحمن، ومن شتم علياً فخصمه النبي ﷺ).
هو موضوع. الأحاديث الموضوعة للشوكاني.

57- حديث: (أنه أقبل علي بن أبي طالب، فترحزح له أبو بكر حتى قعد بينه وبين النبي ﷺ، فسر النبي ﷺ وقال: يا أبا بكر: إنما يعرف الفضل لأهل الفضل، ذو الفضل). رواه الخطيب عن أنس مرفوعاً، ورواه أيضاً عن عائشة مرفوعاً، وفي إسناده: محمد بن زكريا الغلابي، وهو وضاع الأحاديث الموضوعة للشوكاني.

58- حديث: (اللهم ائتني بأحب الناس إليك يأكل معي هذا الطير).
ذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

59- حديث: جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (رأيت النبي ﷺ، وهو يفجع بين فخذَي الحسين، ويقبل زبيته ويقول: لعن الله قاتلك. قال: فقلت: من قاتله؟ قال: رجل من أمي يبغض عترتي ولا تناله شفاعتي). رواه الخطيب. وقال: موضوع إسناداً ومنتأً.

60- حديث: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجاب، يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر). في إسناده: العباس بن الوليد بكار الضبي كذبه الدارقطني.

61- حديث: (لو عاش إبراهيم لكان نبياً). قال النووي: ما روي عن

بعض المتقدمين: لو عاش .. إلخ فباطل وجسارة على الغيب .

62- حديث: (أن عائشة كانت تقول للنبي ﷺ كيف حبك لي؟ فيقول:

كعقد الحبل، قالت: فكنت أقول: كيف العقدة؟، فيقول: على حالها)، قال في الذيل: هو حديث باطل .

63- حديث: (الأمناء عند الله ثلاثة: أنا، وجبريل، ومعاوية) قال

النسائي، وابن حبان، والخطيب: إنه باطل .

64- حديث: (أن جعفر بن أبي طالب أهدى إلى النبي ﷺ سفرجلاً،

فأعطي معاوية ثلاث سفرجات، وقال: تلقاني بهن في الجنة) قال ابن حبان: موضوع .



فصل في تخريج الأحاديث

السؤال رقم (189): هل هناك حديث يقول: <طلب العلم أفضل من صلاة النافلة>؟

الجواب: هذا القول ليس حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وإنما هو من قول الإمام الشافعي رحمه الله، فقد أثر عنه أنه قال: ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله. وهذا في الجهاد المندوب، أما المفروض فهو داخل في الفرائض لا يقدم عليها النفل كطلب العلم.

السؤال رقم (190): هل صحيح أن النبي ' قال: <أدبني ربي فأحسن تأديبي>؟

الجواب: مما لا شك فيه أن النبي ﷺ أكرمه ربه بمزايا كثيرة، كان بها قدوة حسنة، ومن هذه المزايا الأخلاق الكريمة التي شهد الله له بها في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، وكذلك فصاحة اللسان وبلاغة القول كما شهدت بذلك الآثار المروية عنه في جوامع الكلم.

والقول المسؤول عنه وهو: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» جاء بعدة روايات ذكرها العسكري في كتابه «الأمثال» والسرقسطي في كتابه «الدلائل» والسيوطي في كتابه «الجامع الصغير» وابن السمعاني في «أدب الإملاء» وأبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان.

ويؤخذ من مجموعها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ فقال: «كانت لغة إسماعيل قد درست - خفيت آثارها - فحفظنيها جبريل، فلذا كنت أفصح العرب» وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال له: يا نبي الله نحن بنو أب واحد، ونشأنا في بلد واحد، وإنك لتكلم العرب بلسان ما نعرف أكثره! فقال: «إن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد بن بكر» وأن أبا بكر رضي الله عنه سأله مثل ذلك، فأجاب بما يقرب منه .

تدل هذه الروايات على أن تأديب الله لنبيه كان تأديباً شاملاً لسلوك واللغة، وذلك حق لا مرية فيه، وشرح ذلك يطول، وقد وضعت له كتب مخصوصة لكن على الرغم من صحة معنى الحديث فإنه بهذه الصيغة لم يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق صحيح عند أكثر علماء الحديث .

فرواية أبي نعيم عن عمر إسنادها ضعيف ورواية العسكري عن علي سندها ضعيف جداً كما يقول السخاوي، ورواية السرقسطي عن أبي بكر سندها واه شديد الضعف، وقال المناوي في فيض القدير على الجامع الصغير للسيوطي: إن ابن حجر حكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه . وقال ابن تيمية: لا يعرف له سند ثابت . وقد وضع ذلك كله القسطلاني في «المواهب اللدنية» وشرحه للزرقاني عند الكلام على فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم .

فمعنى الحديث صحيح، ولكن سنده ضعيف، وإن صححه أبو الفضل بن ناصر ونرجو أن نتنبه إلى الفرق بين صحة الكلام في حد ذاته وبين نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنحن نؤمن بأن الله أدبه أحسن تأديب، ولكن لا نثق في أن هذا الكلام صدر عنه، وقد حذرنا صلى الله عليه وسلم من نسبة شيء إليه قولاً أو فعلاً أو وصفاً

فقال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري ومسلم .
ويستوي في حرمة الكذب عليه ما كان القصد منه حسناً وغير حسن .

السؤال رقم (191): ما صحة حديث الرجلين المسلمين الذين مرّا بقوم يعبدون الأصنام وطلبوا منهما أن يقربا قرباناً ولو ذبابة فقرب أحدهما فدخل النار، ورفض الآخر فدخل الجنة... ما صحة هذا الحديث؟

الجواب: إن هذا لم يرد حديثاً مرفوعاً، ولكنه أثر عن سلمان رضي الله عنه له حكم المرفوع، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 7343، وأحمد في الزهد، ونصّه كما في الشعب (قال سلمان: دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل رجل النار في ذباب، قالوا، وما الذباب؟ فرأى ذباباً على ثوب إنسان فقال: هذا الذباب، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: مر رجلان مسلمان على قوم يعكفون على صنم لهم، فقالوا لهما: قربا لصنمنا قرباناً، قالوا: لا نشرك بالله شيئاً، قالوا: قربا ما شئتما ولو ذباباً، فقال أحدهما لصاحبه: ما ترى؟ قال أحدهما: لا نشرك بالله شيئاً فقتل فدخل الجنة، فقال الآخر بيده على وجهه، فأخذ ذباباً فألقاه على الصنم فدخل النار). والله تعالى أعلم .

السؤال رقم: (192) يقال: إن الشمس عند الغروب تسجد تحت العرش، فهل هذا صحيح؟

الجواب: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ﴿١﴾، المعروف أن الأرض كروية، ولها دورتان، دورة حول نفسها ينتج عنها الليل والنهار ودورة حول الشمس ينتج عنها الفصول الأربعة، والشمس هي أيضاً لها دوران حول نفسها، على ما يفيد قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ﴿٢﴾ في أحد التفاسير، وكانت هذه الحقيقة مجهولة إلى وقت قريب، سبق بها القرآن المنزل من عند الله تعالى، ومشرق الشمس ومغربها هو في حقيقته ظهور جزء من الأرض في مقابلها واختفاؤه عنها، فحركة الشروق والغروب حركة ظاهرية في رأي العين للشمس، فعندما تغيب الشمس عنا أو نغيب عنها يراها الناظر إليها وهو على شاطئ البحر أو المحيط أنها تغوص في الماء كأن عيناً ابتلعتها أو سقطت هي فيها.

ووصف العين في الآية بأنها حمئة، قال بعض المفسرين: إنها ذات حمأة وطين، وفي قراءة... حامية أي حارة ساخنة، وذلك كله تخيل وتصور للناظر يعطيه لون الماء في زرقته التي تميل من بعد إلى السواد، أو توهج الشمس عن طريق تفرق أشعتها عند الغروب كأن ناراً توقد في هذا الماء، فالتصوير كله بحسب ما يراه الناظر بصرف النظر عن الحقيقة.

ذلك ما يعطيه لنا العلم الحديث، الذي يقول إن نصف الكرة الأرضية يكون نهاراً حين يقابل الشمس، والنصف المقابل يكون ليلاً حين تغيب عنه، ولكن ورد في البخاري حديث عن أبي ذر رضي الله عنه يقول فيه: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ

(١) الكهف: 86

(٢) يس: 38

السَّمْسُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

وأخرجه النسائي عن النبي ﷺ بلفظ فإنها «تَذْهَبُ حَتَّى تَنْتَهِيَ تَحْتَ الْعَرْشِ عِنْدَ رَبِّهَا ثُمَّ تَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا وَتَسْتَشْفَعُ وَتَطْلُبُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ قِيلَ اطَّلَعِي مِنْ مَكَانِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

فكيف يستقيم الإخبار عن سجودها تحت العرش عند مغيبها، مع قول القرآن إنها تغرب في عين حمئة؟ ولم يفت شراح الحديث القدامى هذا السؤال، فقد قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري " فتح الباري " لا تخالف بين الحديث والقرآن، فإن المراد بالآية نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب.

وقال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر استقراراً لا نحيط به نحن، وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعوقها عن دورانها في سيرها، وهناك أقوال أخرى لا يوجد لها سند صحيح.

وقال بعض العلماء: إن المراد بسجودها تحت العرش خضوعها لله وانقيادها للنظام الذي وضعه لها، وهذا أمر يجري على كل كائن في الوجود مهما تصور الإنسان عظمته وفتن بقوته وأثره، فهو تحت حكم الله تعالى يتصرف فيه كيف يشاء، وكل حركة في الكون فهي بأمره سبحانه، وعند نهاية العالم سيغير الله تعالى نظام الكون المشاهد لنا، فتشرق الشمس من حيث

غربت ، والله على كل شيء قدير ، وبهذا لا يوجد تعارض بين مقررات العلم وبين القرآن والحديث ، فالكل من الله سبحانه وتعالى والله حكيم خبير .

السؤال رقم (193): هل ما يردده كثير من الناس بقولهم: <المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين> حديث مروى عن النبي؟

الجواب: هذا حديث صحيح عن النبي ﷺ رواه البخاري وسببه أنه أسر أبا عزة في الجرحى يوم بدر ، فمنَّ عليه وأطلقه ، وعاهده ألا يحرض عليه ولا يهجوهُ ، فلما لحق بقومه عاد إلى ما كان عليه من التحريض والهجاء ، ثم أسر يوم أحد ، فطلب من الرسول أن يمنَّ عليه ، فلم يستجب له وقال هذا الحديث .

ومعناه أن المؤمن ينبغي أن يكون حذراً متيقظاً لا ينخدع بظواهر الناس ، وبخاصة من يخالفه في العقيدة ، فالنفاق له أهله الذين يجيدونه ويغرون به الناس ، قال تعالى فيهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1] .

ولو فرض أن المؤمن أحسن الظن بالمنافق وخدع به مرة فلا ينبغي أن يخدع به مرة أخرى ، كالذي أدخل إصبعه في جحر فلدغه ثعبان ، لا ينبغي أن يدخل إصبعه فيه مرة أخرى .

وهذه دعوة للمؤمنين أن يكونوا على يقظة تامة في تعاملهم مع الناس بوجه عام ، ومع الأعداء بوجه خاص وتشتد الدعوة إلى اليقظة عند وجود الفتن

والقلاقل ، والله يقول ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: 71] .

والشاعر الحكيم يقول:

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

السؤال رقم (194): سمعنا في بعض الأقوال أن الديك يسمع ملكاً يؤذن فيصيح هو عند سماعه، وأن هناك تحت العرش ديكاً يؤذن للصلاة، فهل هذا صحيح؟

الجواب: وردت عدة أحاديث حول الديك وصياحه ودلالته على أوقات الصلاة، وقد جاء في كتاب «دفاع عن السنة» ص 146 أن كل الأحاديث في ذلك موضوعة ما عدا حديثاً واحداً، وإليك طائفة من هذه المرويات ذكرها الدميري في كتابه «حياة الحيوان الكبرى»:

1 - روى عبد الحق بن نافع بإسناده إلى جابر بن أثوب - بسكون الثاء، وهو أثوب بن عتبة - أن النبي ﷺ قال: «الديك الأبيض خليلي» وإسناده لا يثبت، ورواه غيره بلفظ: «الديك الأبيض صديقي وعدو الشيطان، يحرس صاحبه وسبع دور خلفه» وكان النبي ﷺ يقطنه في البيت والمسجد.

2 - وفي التهذيب في ترجمة «البري» الراوي عن ابن كثير أن النبي ﷺ قال: «الديك الأبيض الأفرق حبيبي وحبيب حبيبي جبريل، يحرس بيته وستة عشر بيتاً من جيرانه» وهو حديث ضعيف.

3 - روى الشيخ محب الدين الطبري أن النبي ﷺ كان له ديك أبيض، وكان الصحابة رضي الله عنهم يسافرون بالديكة لتعرفهم أوقات الصلاة.

4 - في الصحيحين - البخاري ومسلم - وسنن أبي داود

والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم صياح الدِّيكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نُهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانًا».

قال القاضي عياض: سببه رجاء تأمين الملائكة على الدعاء واستغفارهم وشهادتهم له بالإخلاص والتضرع والابتهاج، وفيه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين والتبرك بهم، وإنما أمرنا بالتعوذ من الشيطان عند نهيق الحمير، لأن الشيطان يُخاف من شره عند حضوره فينبغي أن يُتعوذ منه . انتهى .

5 - روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة» إسناده جيد، وفي لفظ: «فإنه يدعو إلى الصلاة» قال الإمام الحليمي: فيه دليل على أن كل من استفيد منه خير لا ينبغي أن يُسبَّ ويُستهان به، بل حقه أن يكرم ويشكر ويتلقى بالإحسان، وليس معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنه يقول بصراحة: قد حانت الصلاة، بل معناه أن العادة قد جرت بأنه يصرخ صَرَخَاتٍ متتابعة عند طلوع الفجر وعند الزوال، فطره الله عليها فيتذكر الناس بصراخه الصلاة ولا يجوز لهم أن يُصلّوا بصراخه من غير دلالة سواه، إلا من جرب منه ما لا يختلف، فيصير ذلك له إشارة، والله أعلم . انتهى .

6 - وروى الحاكم في المستدرک في أوائل كتاب الإيمان، والطبراني ورجاله رجال الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول:

سبحانك ما أعظم شأنك! قال: فيرد عليه، ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً»
وروى مثله أو قريباً منه الغرياني عن ثوبان عن الرسول ﷺ، والطبراني
والبيهقي عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ وهو في كامل
ابن عدي في ترجمة علي بن أبي علي النهدي، قال: وهو يروي أحاديث
منكرة عن جابر رضي الله عنه.

7- وجاء في معجم الطبراني وتاريخ أصبهان وصفٌ للديك

وجناحيه الموشَّيْن بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وفي وصف صورة الديك
جاء مثل ذلك في قوت القلوب لأبي طالب المكي والإحياء للإمام الغزالي .

هذه بعضُ المرويات عن هذا الديك ذكرتها لتكون صورة عما يتخيله
الرواة عنه، ولا يصح منها ولا يُقبَل إلا ما جاء من الأمر بالدعاء عند سماع
صياحه لأنه رأى ملكاً، ومن النهي عن سبِّه لأنه يُوقظ للصلاة، وتقدّم قولُ
الحليمي في ذلك، وكون الديك أو الحيوان يرى ملكاً أو يحس به أمر ثابت
من خبر أسيد بن حُضير واضطراب فرسه عند قراءته للقرآن، لأنه رأى
الملائكة كما قال النبي ﷺ وقد أكد العلم الحديث إحساس بعض الحيوانات
والطيور بأشياء في الكون لا يحس بها الإنسان. وما وراء ذلك من وصف
الديك أهو ملك؟ أو اقتناه النبي؟ فليس بثابت ولا تهمنا معرفته .

السؤال رقم (195): ما مدى صحة الحديث <أغلقوا الأبواب

وأوكوا السقاء واكفئوا الإناء وأطفئوا المصباح> وما تفسيره؟

الجواب: روى البخاري في الأدب المفرد قوله ﷺ: «أغلقوا الباب،

وأوكوا السقاء، واكفئوا الإناء، وأطفئوا المصباح، فإن الشيطان لا يفتح غلقاً ولا يحل وعاءً، ولا يكشف إناءً، وإن الفويسقة تضرم على الناس بيوتهم» ورواه ابن حبان في صحيحه وفيه زيادة: «وخمروا الإناء» بعد «اكفئوا الإناء».

وجاء في رواية لابن حبان أيضاً عن جابر: «أغلق بابك واذكر اسم الله فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله، وخمّر إناءك واذكر اسم الله ولو بعودٍ تعرّضه عليه».

وجاء في رواية لمسلم وأحمد وأبي داود والترمذي عن جابر أيضاً: «أغلقوا أبوابكم وخمّروا آئيتكم وأطفئوا سرجكم وأوكئوا أسقيتكم، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ولا يكشف غطاءً ولا يحل وكاءً، وإن الفويسقة تضرم البيت على أهله» ذكرها السيوطي كلها في جامع الأحاديث.

وجاء في رواية مسلم عن جابر: «غطوا الإناء وأوكوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، وسقاء ليس عليه وكاء إلا وقع فيه من ذلك الداء» ذكره ابن القيم في «زاد المعاد» وعلق عليه بقوله: وهذا مما لا تناله علوم الأطباء ومعارفهم، وقد عرفه من عرفه من عقلاء الناس بالتجربة. قال الليث بن سعد أحد رواة الحديث: الأعاجم عندنا يتقون تلك الليلة في السنة في كانون الأول منها، وصح عنه أنه أمر بتخمير الإناء ولو أن يعرض عليه عوداً، وفي عرض العود عليه من الحكمة أنه لا ينسى تخميره بل يعتاده حتى بالعود، وفيه أنه ربما أراد الدبيب أن يسقط فيه فيمر على العود فيكون العود جسراً له يمنع من السقوط فيه. وصح أنه أمر عند إيكاء الإناء بذكر اسم الله، فإن ذكر اسم الله عند تخمير الإناء يطرد عنه

الشيطان، وإيكأؤه يطرد عنه الهوام، ولذلك أمر بذكر اسم الله في هذين الموضوعين لهذين المعنيين، انتهى.

يؤخذ من كل ما سبق أن الحديث وارد بدرجة الصحة في بعض رواياته، وأن المراد بتخمير الإناء تغطيته إذا كان فيه طعام، بل حتى لو لم يكن فيه طعام، وذلك حتى لا تسقط فيه الحشرات أو يتعرض للتلوث، فإذا لم يكن هناك غطاء يقلب الإناء الفارغ على قفاه. وإيكأء السقاء معناه ربطه، وكان الماء يحفظ في القرب عندهم أو المزدادات - الزمزميات المصنوعة من جلد أو قماش لا ينفذ منه الماء - وذلك أيضاً صيانة للماء من التلوث بأي شيء من حشرات وغيرها، وكذلك لحفظه أن ينسكب فيضيع أو يتلف شيئاً، وكذلك منعاً للوباء أن يصيبه في المواعيد التي يكثر فيها كما عُرِفَ بالتجربة ونص عليه الحديث ووضح ابن القيم إمكان ذلك.

ومع القيام بهذه الاحتياطات يذكر اسم الله، وذلك لطرد الشيطان، ويجوز أن يمنعه الله من دخول البيت الذي أُغلق بابُه، ومن الأكل والشرب مما في الأوعية المغطاة والمربوطة، أو المراد أن الله يحفظ البيت والطعام والشراب من كل سوء ويبارك فيه.

ولفظ الشيطان يطلق أحياناً على الهوام والحشرات المؤذية، وكل ما أوصانا به النبي ﷺ من باب الاحتياط والأخذ بالأسباب، والفويسقة هي الفأرة قد تجرُّ السراج بناره فتحرق البيت، وكانت المصابيح تضاء بالزيت، والفأرة قد تجر إناء الزيت أو تصاب بالشعلة وهي تتناول الزيت فتجري وتمرُّ على الأمتعة فتحرقها، ولذلك أمر الرسول ﷺ بإطفاء المصابيح عند النوم

لهذا المعنى .

أما مصابيحنا الكهربائية فإنارتها بالبيوت ليلاً لا يحصل منها الخطر المذكور، وإن كان يمكن بوسيلة أخرى، والمهم هو الاحتياط حتى لا يحدث الخطر والناس نيام غير منتبهين، فإذا استيقظوا وجدوا الخطر واقعاً، وكل بلد أو منطقة لها ظروفها الجوية والصحية، وبالتجربة يعرف ما يلزم لاتقاء الأخطار.

السؤال رقم (196): هل من الحديث ما يقال: <عليكم بدين العجائز> وإذا صح فما المراد به؟

الجواب: أورد الإمام الغزالي هذا الحديث في كتابه «الإحياء» (67/3) وعلق عليه العراقي بما نصّه: قال ابن طاهر في كتاب التذكرة: هذا اللفظ تداوله العامة ولم أفق له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة، حتى رأيت حديثاً لمحمد بن عبد الرحمن ابن السلماني عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «إذا كان في آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء» وابن السلماني له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يُتهم بوضعها، انتهى، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه ابن حبان في الضعفاء في ترجمة ابن السلماني .

هذا وقد جاء في تفسير القرطبي (332/7) النصُّ على بعض المتكلمين الذين يرفضون إيمان من لم يعرف الله بالطرق والأبحاث التي عينوها، وقال: هذا تضيق لرحمة الله . وأوردَ حادثة الأعرابي الذي بال في المسجد فانتهره أصحاب رسول الله ﷺ فقال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً . فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد حَجَّرت واسعاً» خرَّجه البخاري والترمذي

وغيرهما، فلم يعرف الأعرابي ربه بالدليل والبرهان، وأن رحمته وسعت كل شيء واكتفى منه الرسول بالنطق بالشهادتين. كما ذكر أن الرسول ﷺ سأل الجارية السوداء: «أين الله؟» فقالت: في السماء. ثم سألتها: «من أنا؟» فقالت: أنت رسول الله، فقال لسيدها: «أعتقها فإنها مؤمنة» ولم يكن هناك نظر ولا استدلال، بل حكم بإيمانهم من أول وهلة، وإن كان هناك عن النظر والمعرفة غفلة.

السؤال رقم (197): هل صحيح أن النبي ' قال: <علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل>؟

الجواب: لم أر نصاً لهذا الحديث منسوباً إلى النبي ﷺ بسند صحيح، ومما قرأته في فضل العلماء وعلو منزلتهم بعد قول الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، قرأت في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (6/1) حديثاً يقول: «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلُّوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل» وفي تخريج العراقي جاء أن الذي رواه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف، كما قرأت حديثاً رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه جاء فيه: «والعلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكنهم ورثوا العلم.....».

وكل ذلك إشادة بقدر العلماء وقربهم من درجة النبوة لأنهم ورثة

الأنبياء، لكن التصريح بأنهم كأنبيا بني إسرائيل لم أعثر له على حديث صحيح.

بل حكم بعض الباحثين بأنه واه، والواهي في درجة الموضوع «مجلة الإسلام - المجلد الرابع - العدد 29». جاء في الزرقاني على المواهب اللدنية (6/158) أن هذا الخبر قال عنه الحافظ ابن حجر، ومن قبله الدميري والزرکشي: إنه لا أصل له. زاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر، وسئل عنه الحافظ العراقي فقال: لا أصل له ولا إسناد بهذا اللفظ، ويغني عنه: «العلماء ورثة الأنبياء» وهو حديث صحيح.

السؤال رقم (198): هل هذا حديث صحيح «العلماء ورثة الأنبياء»؟

الجواب: روى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وغيرهم أن النبي ﷺ قال في ضمن حديث طويل: «إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

هذا الحديث يبين فضل العلماء توضيحاً لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، فهم الوارثون لما تركه الرسول، لأنه القائل: «بلغوا عني ولو آية» رواه البخاري والقائل في طلاب العلم: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» كما رواه الترمذي. والقائل: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» كما رواه أحمد وابن حبان والحاكم. والقائل: «يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ

فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ، وَلَئِنْ تَغَدَّوْا فَتَعَلَّمْ
بَابًا مِنَ الْعِلْمِ عَمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ» كما
رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

وأشرف العلم ما كان متصلاً بالقرآن، ففي حديث البخاري ومسلم:
«خيركم من تعلم القرآن وعلمه» لأنه يرشد إلى كل العلوم النافعة في الدين
والدنيا، ففي آياته قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى أَنْ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 27-28]، فالذين يخشون الله هم
علماء الفلك والطبيعة والكيمياء والنبات وطبقات الأرض وعلماء الإنسان
تاريخاً ونفساً وطباً وكل ما يتصل به، وعلماء الحيوان كذلك بكل ما يتصل
به، وذلك إذا درسوا بتعمق وإنصاف وقصد حسن، إنهم بوصولهم إلى سر
الخلق سيؤمنون أو يزدادون إيماناً، وسيفيدون أنفسهم والناس جميعاً بجهودهم .
ومن أراد أن ينشر صدره بمعرفة موقف الإسلام من العلم بفروعه
المختلفة فليرجع إلى «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، وسيهتف من
أعماق قلبه أن هذا الدين هو دين الحضارة الصحيحة، الصالح لكل زمان
ومكان، وذلك بالفهم الواعي والتطبيق الصحيح .

السؤال رقم (199): هل هناك صلاة يصلحها الإنسان ليرى الرسول ؟

في المنام؟

الجواب: وُجِدَ في بعض الكتب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة، وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة، ويقول في آخر صلاته: اللهم صلّ على محمد النبي الأمي ألف مرة، فإنه يراني في المنام، ولا تتم له الجمعة الأخرى إلا وقد رآني، ومن رآني فله الجنة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

معلوم أن الصلاة خير موضوع، وأن قراءة القرآن ثوابها عظيم، وإن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يتشوّف إليها كل مؤمن، ولكن ورود هذه الكيفية لرؤيته لم يصحّ بها حديث منسوب إليه صلى الله عليه وسلم. ولو كان ذلك صحيحاً لجربّه كل الناس واستمتعوا برويته مناماً في كل ليلة أو في ليال كثيرة.

ولا أعرف أثراً آخر يرشد إلى وسيلة يُرى بها النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان من الجائز أن من اشتد حبه للرسول عن طريق العمل الخالص بسنته، وكان على ذاكرته كثيراً من الجائز أن يكرمه الله ويحقق له ما يريد، وهو أمر معروف مع كل من نام وهو مستغرق في الفكر نحو شيء معين.

السؤال رقم (200): هل هذا الحديث صحيح <من حفظ على أمتي

أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله في زمرة الفقهاء والعلماء>؟

الجواب: الذي ورد هو «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة

كنت له شفيحاً وشهيداً يوم القيامة» رواه ابن عدي عن ابن عباس مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، ورواه ابن النجار عن ابن سعد مرفوعاً بلفظ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي» .

أشار السيوطي في الجامع الصغير إلى الرواية الأولى بالضعف ، وأيده في ذلك المناوي في «فيض القدير» وقال: رُوي من طرق عدة عن بعض الصحابة ، ولكن الأسانيد كلها ضعيفة وإن كانت كثرة الطرق تعطيه قوة ، قال ابن عساكر: وأجود طرقه خبر معاذ مع ضعفه .

وأشار السيوطي إلى الرواية الثانية بالصحة ، ولكن يبدو أن الإشارة خطأ مطبعي ، لأن المناوي لم يتعرض لها ولكن قال: إن الحديث ضعيف وعلى هذا فالروايتان ضعيفتان «فيض القدير 119/6» .

السؤال رقم (201): قرأت في بعض الأحاديث أن الرسول ' قال: <إن الإبل خلقت من الشياطين> فهل هذا صحيح ولماذا؟

الجواب: جاء في كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميري المتوفى سنة 808 هـ أن النبي ﷺ سئل عن الصلاة في مبارك الإبل فقال: «لا تصلوا في مبارك الإبل فإنها مأوى الشياطين» رواه أبو داود . وروى النسائي وابن حبان من حديث عبد الله بن مغفل أن النبي ﷺ قال: «إن الإبل خلقت من الشياطين» ولم يعلق على هذا الحديث .

وجاء في نيل الأوطار للشوكاني (142/2) حديث ابن مغفل عند أحمد

بإسناد صحيح بلفظ: «لا تصلوا في أعطان الإبل، فإنها خلقت من الجن، ألا ترون إلى عيونها وهيئتها إذا نفرت» ولم يبيّن معنى خلقتها من الجن، فقد يكون المراد أن فيها شراً إذا نفرت وهاجت، فالأمر على التشبيه وليس على الحقيقة كما أراه.

وفي المغني لابن قدامة (721/1) عن جابر بن سمرة أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أنصلي في مرايض الغنم؟ قال: «نعم»، قال: أنصلي في مرايض الإبل؟ قال: «لا» رواه مسلم. ولم يذكر السبب في النهي. وجاء في ص722 قول القاضي: إن المنع تعبد لا لعله معقولة، وقال غيره: إن معاطن الإبل والمقبرة والمجزرة والمزيلة وغيرها تكره فيها الصلاة لأنها مظنة النجاسات.

السؤال رقم (202): هل صحيح أن النبي ' طلب من الله أن يجعل دعاءه على المؤمن رحمة له؟

الجواب: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اللهم إنما محمدٌ بشرٌ يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه، فأيّما مؤمنٍ أذيته أو سبته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة» وفي رواية لمسلم: «فأيّما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس هو لها بأهل...» فإن قيل: كيف يدعو بدعوة على من ليس لها بأهل؟ قيل - كما نقله ابن حجر عن المازري -: المراد ليس بأهل لذلك عند الله في باطن الأمر لا على ما يظهر مما يقتضيه حاله وجنائته حين دعا

عليه، فكأنه يقول: من كان في باطن أمره عندك ممن ترضى عنه فاجعل دعوتي عليه - التي اقتضاها ما ظهر لي من مقتضى حاله حينئذ - طهوراً وزكاة. وهذا صحيح لأن الرسول متعبد بالظواهر وحساب الناس في البواطن على الله. وما فعله كان اجتهاداً، أو لم يكن مقصوداً، بل هو مما جرت به عادة العرب في كلامها بلا نية، كقوله لغير واحد: «تربت يمينك» وهذا نادر من النبي فهو لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا منتقماً لنفسه «الزرقاني على المواهب 241/5» وفي تفسير القرطبي «(10/226)»: أن النبي ﷺ سلم أسيراً إلى أم المؤمنين سودة، فبات يئنُّ، فسألته فقال: أنيني لشدة القَدِّ والأسر، فأرخت من كتافه، فلما نامت هرب، فأخبرت النبي ﷺ فقال: «قطع الله يديك» فلما أصبحت كانت تتوقع الآفة، فقال ﷺ: «إني سألت الله أن يجعل دعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة، لأني أغضب كما يغضب البشر» ونزلت الآية ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْهُولًا﴾ [الإسراء: 110]، ذكره القشيري أبو نصر رحمه الله. انتهى.

ولم يبيِّن درجة هذه الرواية، وهي خاصة بدعائه على أهله، أما رواية مسلم فهي عامة في كل من يدعو عليه النبي ﷺ، وهي أليق بما وصف به من الرحمة الشاملة لأهل بيته وغيرهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، بل الشاملة لمن آمن به ومن لم يؤمن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، بل الشاملة للحيوانات أيضاً، والأخبار في ذلك كثيرة.

السؤال رقم (203): هل صحيح أن النبي ﷺ أوصى بسابع جارٍ كما

يقول بعض الناس؟

الجواب: معلوم أن الإسلام أوصى برعاية حق الجوار، والنصوص في

ذلك كثيرة يكفي منها قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

[النساء: 36]، والجار ذو القربى: من له صلة قرابة، والجُنُب: من لا يربطه به

قرابة، والصاحب بالجنب: قيل هو الزوجة. وقوله ﷺ: «ما زال جبريل

يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» رواه البخاري ومسلم. وقوله: «من كان

يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» رواه البخاري ومسلم. وقوله: «والذي

نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحبَّ لجاره - أو قال: لأخيه - ما يحبه لنفسه»

رواه مسلم.

والجار هو من جاور في المسكن أو المتجر أو المصنع أو الحقل أو

حلقة الدرس أو الفصل، وفي أي مكان يطول به زمن الجوار، لكن هل

الوصية بالإحسان إلى الجار خاصة بمن يجاور مباشرة لا يتعداه إلى البعيد؟

إن الناظر إلى روح الإسلام يرى أن الأخوة يمتد ظلها حتى يشمل أكثر من

شخص، وإن كان هناك تفاوت في الأولوية بحسب القرب والبعد، ويشهد

لهذا الامتداد حديث رُوي عن النبي ﷺ أن رجلاً جاء يشكو إليه جاره فأمره

أن ينادي على باب المسجد: «ألا إن أربعين داراً جاراً» يقول الزهري راوي

هذا الحديث مفسراً له: أربعون هكذا، وأوماً إلى أربع جهات.

هذا هو الحديث الذي رُوي في اتساع مجال الجوار وإن كان في سنده مقال، لكن روح الشريعة لا تعارضه. أما قول بعض الناس: إن النبي ﷺ أوصى على سابع جار فلم أره حديثاً منسوباً إلى النبي ﷺ، وهو من مبالغة الناس واستعمالهم عدد السبع وعدد السبعين كثيراً في المبالغة.

ولا ننسى في هذا المقام قول النبي ﷺ في الأخوة الجامعة كما رواه البخاري ومسلم: «مثلُ المؤمنين في تراحُمهم وتوادهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

السؤال رقم (204): نسمع كثيراً هذا القول: اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ، فهل هو حديث؟ وهل معناه صحيح؟

الجواب: قال العجلوني في كتابه «كشف الخفا ومزيل الإلباس»: قال السخاوي: لا أعرفه، ويشبهه أن يكون من كلام بعض السلف، قال: وليس على إطلاقه، بل هو محمول على اللئام دون الكرام، ويشهد له ما في «المجالسة للدينوري» عن عليٍّ كرم الله وجهه: الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا أُلطف - يعني إذا أعطي تحفة - وعن عمر رضي الله عنه: ما وجدت لئيماً قط إلا قليل المروءة وفي التنزيل: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: 74]. اهـ.

وسبب نزولها كما ذكره الطبري: أن كبير المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول كانت له دية فأعطاها له الرسول، فلما اغتنى بطر النعمة ولم يؤمن إيماناً خالصاً بالرسول، وقال عقب ذلك في حادثة الرجلين اللذين اقتتلا وأحدهما من حلفاء الأنصار: انصروا أحاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا

كما قال القائل: سَمَّنَ كلبك يأكلك، وقال أيضاً: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 8] يريد بالأعراب قومه، وبالأذل المسلمين. وفي الإسرائيليات: يقول الله عز وجل: «مَنْ أَسَاءَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ فَقَدْ بَدَّلَ نِعْمَتِي كُفْرًا، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ فَقَدْ أَخْلَصَ لِي شُكْرًا» وعند البيهقي في شعب الإيمان عن محمد بن حاتم المظفري قال: اتق شر من يصحبك لنائلة.

السؤال رقم (205): هل صحيح أن النبي ' قال: <النجاسة من الإيمان> وهل الذين لا يعتنون بالنجاسة على خطأ أم على صواب؟

الجواب: جاء في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (111/1) في أول كتاب أسرار الطهارة قوله: قال النبي ﷺ: «بني الدين على النجاسة» وقال: «الطهور نصف الإيمان»، وعلق العراقي على الأول فقال: لم أجده هكذا، وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة: «تنظفوا فإن الإسلام نظيف»، والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود: «النجاسة تدعو إلى الإيمان»، وعلق على الثاني بقوله بالرمز: رواه الترمذي من حديث رجل من بني سليم وقال: حسن. ورواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ «شطر».

فاللفظ المذكور في السؤال والجاري على الألسنة ليس وارداً عن النبي ﷺ، وإنما الوارد عنه تقدير النجاسة بعبارات أخرى. ولا شك أن النجاسة لها تقديرها الكبير في التشريع الإسلامي، لأنها من العوامل الأساسية في المحافظة

على الصحة التي هي من أكبر نعم الله على الإنسان كما صح في الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخاري. وللنظافة مجالات كثيرة.

ففي نظافة البدن شرع الوضوء للصلوات الخمس في اليوم واللييلة، بما فيه من تعهد للأعضاء التي يكثر تعرضها للتلوث، وبما فيه من حث على العناية بالاستنشاق والمضمضة مع استعمال السواك وتأكيد استحبابه، وشرع الغسل لأسبابه المعينة، وندبه في مناسبات عدة، وبخاصة عند الاجتماع والازدحام، كما في صلاة الجمعة والعيدين، وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً، يغسل فيه رأسه وجسده». وروى مسلم حديث: «إن الله جميل يحب الجمال» وندب إلى التزين والتعطر وحسن الهندام وتسوية الشعر وقص الأظافر وإزالة شعر الإبطين والعانة وما إلى ذلك من ضروب النظافة، وشرع غسل اليدين قبل تناول الطعام وبعده، وعدم غمسهما في الماء قبل غسلهما إذا استيقظ من نومه فإنه لا يدري أين باتت يده - وبخاصة من ينامون في العراء ويفترشون الرمال بجوار الإبل والحيوانات الأخرى - وحذر من النوم قبل غسل اليدين من أثر الطعام وبخاصة إذا كان فيه دسم تجذب رائحته الهوام والحشرات فتضره، وكل ذلك وردت به الأحاديث.

وفي نظافة الملابس والمسكن والشارع والأمكنة العامة يقول سبحانه:

﴿وَيَأْتِيكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: 4] وباب النجاسات وإزالتها واشتراط طهارة الثوب والمكان في الصلاة واضح ومفصل في كتب الفقه. وفي الحديث: «أصلحوا

رحالكم ولباسكم حتى تكونوا في الناس كأنكم شامة» رواه أحمد. وفي مسند البزار أن النبي ﷺ قال: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود. فنظفوا أفناءكم وساحاتكم، ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكب في دورهم» الأكب الزبالة، وإصلاح الرحال أي المساكن عام يشمل كنسها وتهويتها وتعريضها للشمس وتطهيرها من الحشرات المؤذية وما إلى ذلك.

وحتّى الإسلام على إمطة الأذى عن الطريق وعدها صدقة كما رواه البخاري ومسلم، وفي الحديث: «اتقوا الملاعن الثلاث، البراز على قارعة الطريق وموارد المياه ومواقع الظل» رواه ابن ماجه وأبو داود. وندب إلى تغطية أواني الطعام والشراب، حفظاً لها من التلوث أو الفساد بما ينقله الريح أو الذباب مثلاً كما رواه مسلم.

هذه بعض التشريعات التي تدل على عناية الإسلام بالنظافة في كل شيء وليست النظافة في الماديات، فقط بل في المعنويات أيضاً من العقائد والأفكار والأقوال والأفعال والضمائر والنيات وما إليها.

والذين يهملون فيها مخطئون، لا نحب أن يكونوا كالذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ولا ننسى في هذا المجال حرمة تلويث البيئة بأي ملوث حتى بالرائحة الكريهة، كالدخان والثوم والبصل والعرق، وحتى بالأصوات المزعجة المقلقة للراحة ولو كانت بذكر الله، وكل ذلك وردت به الآثار والمقصرّون مخطئون.

السؤال رقم: (206) ما صحة الوصية المنسوبة للشيخ أحمد خادم

الحجرة النبوية الشريفة؟

الجواب: لقد اطلعت على هذه الوصية المنسوبة إلى الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية الشريفة، بعنوان: (هذه وصية من المدينة المنورة، عن الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية الشريفة). قال فيها: (كنت ساهراً ليلة الجمعة أتلو القرآن الكريم، وبعد تلاوة قراءة أسماء الله الحسنى، فلما فرغت من ذلك وتهيأت للنوم، رأيت صاحب الطلعة البهية رسول الله ﷺ الذي أتى بالآيات القرآنية والأحكام الشريفة؛ رحمة بالعالمين سيدنا محمداً ﷺ، فقال: يا شيخ أحمد، قلت: لبيك يا رسول الله، يا أكرم خلق الله، فقال لي: أنا خجلان من أفعال الناس القبيحة، ولم أقدر أن أقابل ربي ولا الملائكة؛ لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفاً على غير دين الإسلام، ثم ذكر بعض ما وقع فيه الناس من المعاصي، ثم قال: فهذه الوصية رحمة بهم من العزيز الجبار، ثم ذكر بعض أشراط الساعة... إلى أن قال: فأخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية؛ لأنها منقولة بقلم القدرة من اللوح المحفوظ، ومن يكتبها ويرسلها من بلد إلى بلد، ومن محل إلى محل بُني له قصر في الجنة، ومن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة، ومن كتبها وكان فقيراً أغناه الله، أو كان مديوناً قضى الله دينه، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هذه الوصية، ومن لم يكتبها من عباد الله أسودَّ وجهه في الدنيا والآخرة.

وقال: والله العظيم (ثلاثاً) هذه حقيقة، وإن كنت كاذباً أخرج من الدنيا على غير الإسلام، ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار، ومن كذب بها كفر).
هذه خلاصة ما في هذه الوصية المكذوبة على رسول الله ﷺ، ولقد

سمعت بهذه الوصية المكذوبة مرات كثيرة منذ سنوات متعددة تنشر بين الناس من وقت لآخر، وتروج بين الكثير من العامة، وفي ألفاظها اختلاف، وفي هذه النشرة زعم هذا المفتري في هذه الوصية أشياء كثيرة هي من أوضح الكذب وأبين الباطل، وما كنت أظن أن بطلانها يروج عند من له أدنى بصيرة أو فطرة سليمة.

وقد راجت عند كثير من الناس، وتداولوها بينهم، وصدقها بعضهم، وهي مفتراة على رسول الله ﷺ، ومن تأملها من ذوي العلم والإيمان أو ذوي الفطرة السليمة والعقل الصحيح، عرف أنها كذب وافتراء من وجوه كثيرة لا تخفى على أهل البصيرة.

لقد افترى فيها أن من كتبها وأرسلها من بلد إلى بلد أو من محل إلى محل بُني له قصر في الجنة، ومن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعاة النبي ﷺ يوم القيامة، وهذا من أقبح الكذب، ومن أوضح الدلائل على كذب هذه الوصية، ولو أقسم مفتريها ألف قسم أو أكثر على صحتها، ولو دعا على نفسه بأعظم العذاب وأشد النكال على أنه صادق لم يكن صادقاً ولم تكن صحيحة أخزى الله من افتراها وعامله بما يستحق.

السؤال رقم: (207) يتداول كثير من الناس حديثاً طويلاً في عقوبة تارك الصلاة وقد طبع هذا الحديث وعلق في المساجد وغيرها فهل ثبت هذا الحديث عن الرسول ﷺ؟

الجواب: إن الحديث المسؤول عنه هذا نصه: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (من تهاون في الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة منها ستة في

الدنيا وثلاثة عند الموت وثلاثة في القبر وثلاثة عند خروجه من القبر. أما الستة التي تصيبه في الدنيا:

1. ينزع الله تعالى البركة من عمره.
2. يمسح الله تعالى سيما الصالحين من وجهه.
3. كل عمل يعمل لا يؤجره الله تعالى عليه.
4. لا يرفع له دعاء في السماء.
5. ليس له حظ في دعاء الصالحين.
6. تخرج روحه بغير إيمان.

أما الثلاثة التي تصيبه عند الموت فهي:

1. أنه يموت ذليلاً.
 2. أنه يموت جائعاً.
 3. أنه يموت عطشاً ولو سقي ماء الدنيا ما روي من عطشه.
- وأما الثلاثة التي تصيبه في قبره فهي:

1. يضيق الله تعالى عليه القبر حتى تختلف ضلوعه.
2. يوقد الله تعالى عليه في قبره ناراً ويتقلب على الجمر ليلاً ونهاراً.
3. يسلب الله عليه في قبره ثعباناً يسمى الشجاع الأقرع يضربه على ترك صلاة الصبح من الصبح إلى الظهر وعلى تضييع صلاة الظهر من الظهر إلى العصر وهكذا كلما ضربه يغوص في الأرض سبعين ذراعاً.

وأما الثلاثة التي تصيبه يوم القيامة فهي:

1. يسلط الله تعالى عليه من يسحبه إلى نار جهنم على جمر على وجهه .
2. ينظر الله تعالى إليه بعين الغضب وقت الحساب فيقع لحم وجهه .
3. يحاسبه الله عز وجل حساباً شديداً ويأمر الله به إلى النار وبئس القرار .

وهذا الحديث مكذوب على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر من ركاكة ألفاظه وضعف سياقه، وقد نص أهل الحديث على أنه مفترى على النبي صلى الله عليه وسلم وقد كذب هذا الحديث ووضعه أحد الكذابين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى محمد ابن علي بن عباس البغدادي العطار، قال الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال: [محمد بن علي بن عباس العطار ركب على أبي بكر بن زياد النيسابوري حديثاً باطلاً في تارك الصلاة] ميزان الاعتدال (3/ 653).

ونقل الحافظ ابن حجر كلام الإمام الذهبي وقال الحافظ: [زعم المذكور أن ابن زياد أخذه عن الربيع عن الشافعي عن مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن حجر: وهو ظاهر البطلان]. لسان الميزان (5/ 334).

ذكر الإمام ابن عراق الحديث من ضمن الأحاديث المكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم ونقل كلام الإمامين الذهبي وابن حجر ووافقهما على ذلك، تنزيه الشريعة (2/ 114).

وبهذا يظهر أن الحديث مكذوب وباطل ولا يجوز نشره على الناس ولا تعليقه في المساجد، لأن ذلك من الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم . وينبغي على من يرغب في نشر كتب أو نشرات تتضمن أحاديث نبوية أن يعرضها على أهل العلم والاختصاص للنظر فيها وتمحيصها قبل نشرها حتى لا يدخل في

دائرة الكذب على النبي ﷺ لأن الكذب عليه ﷺ من الكبائر وقد ثبت في الحديث الصحيح قوله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». وإن في الأحاديث الثابتة عن الرسول ﷺ ما يغني عن أمثال هذه الأخبار المكذوبة.

السؤال رقم: (208) هل ورد بطريق صحيح أول ما خلق نور نبيك يا جابر؟

الجواب: للشيخ المحدث عبد الله صديق الغماري، رسالة سماها "إرشاد الحائر إلى وضع حديث جابر" أتى فيها بالأدلة الصريحة والقوية على كذب هذا الحديث والتي فيها أن عزوه إلى رواية عبد الرزاق خطأ لأنه لا يوجد في مصنفه ولا جامعته ولا تفسيره وهو حديث موضوع جزماً، وبعض الشناقطة المعاصرين ركبوا له إسناداً فذكر أن عبد الرزاق رواه عن طريق ابن المنكر عن جابر وهذا كذب ياثم عليه وبالجملة فالحديث منكر موضوع لا أصل له في شيء من كتب السنة، وقال الغماري في إصلاح أبيات البردة (75): قال السيوطي في الحاوي: إنه غير ثابت قال: وهو تساهل قبيح بل ظاهر الحديث الوضع واضح النكارة.

وقال الغماري في إرشاد الطالب النجيب إلى ما في المولد من الأكاذيب ص(10/9): بيان الأحاديث المكذوبة منها وهو أشهرها حديث «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» عزاه السيوطي في الخصائص الكبرى لمصنف عبد الرزاق وقال في الحاوي في تفسير سورة المدثر من الفتاوى القرآنية ليس له إسناد يعتمد عليه وهذا تساهل كبير من السيوطي كنت أنزهه منه:

أما أولاً: فالحديث غير موجود في مصنف عبد الرزاق ولا في شيء من كتب الحديث .

وأما ثانياً: فإن الحديث لا إسناد له أصلاً .

وأما ثالثاً: فإنه ترك بقية الحديث ومن قرأها يجزم بأن الحديث مكذوب على رسول الله ﷺ .

ثم إن المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة سئل: لماذا حققت الأوائل السنبلية ولم تحقق أوائل الأربعين العجلونية مع أنها شامية من بلدك بلاد الشام؟ فقال: أنا لا أخرجها وقد أورد فيها ذلك الحديث الموضوع. يعني حديث جابر هذا... .

*** **

فصل في شروح الأحاديث

السؤال رقم (209): نرجو شرح الحديث الذي يقول: <ثلاثة يضحك الله إليهم، الرجل إذا قام من الليل يصلي، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال>.

الجواب: هذا الحديث رواه أحمد، وفيه ثلاث فضائل يرضى الله عنها رضاً عظيماً.

وقد جاء التفسير عن هذا الرضا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة يضحك الله إليهم» والضحك إذا عُدِّي بمن كان في مقام الذم غالباً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: 29] وإذا عُدِّي بإلى كان في مقام المدح، كما في هذا الحديث.

والضحك بالمعنى المتعارف عند الناس لا ينسب إلى الله، فالمراد لازمه وهو الرضا. فالله يرضى عن هذه الفضائل رضاً عظيماً، والتعبير بالضحك عن ذلك يدل على أهميتها وزيادة فضلها.

الفضيلة الأولى: قيام الليل بالصلاة، ومن الأمور التي تعطي قيام الليل أهميته أن الصلاة في الليل أقرب إلى الخشوع، وذلك لسكون الأصوات وعدم الصوارف التي تشتت ذهن الإنسان وتشوش فكره، وهنا يكون الاتصال بالله أتم، والمناجاة معه أمتع وأحسن، كما أن الليل يقل فيه أو ينعدم الرقيب

الذي قد يرائي الإنسان بعمله من أجله ، وهنا تكون العبادة أخلص لله وأبعد عن تهمة الشرك والنفاق ، وكذلك مما يجعل لقيام الليل أهميته أن فيه إثارة لرضاء الله على رضاء النفس ، فإن النفس تميل إلى الراحة وبخاصة في الليل ، فإذا جاهدتها الإنسان ونزعها عن هواها وقام يصلي كان معنى حب الله واضحاً ، وابتغاء مرضاته ظاهراً .

ويوضح ذلك حديثُ أبي الدرداء عن النبي ﷺ : «ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم ، ويستبشر بهم» وعدّ منهم : «والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل ، فيقول الله : يَذُرُّ شهوته ويذكرني ، ولو شاء رقد» رواه الطبراني بإسناد حسن . وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في فضل قيام الليل نكتفي منها بقوله ﷺ : «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدّها الله لمن أطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام» . رواه ابن حبان في صحيحه .

والفضيلة الثانية: صلاة الجماعة وتسوية صفوفها ، والذي يعطيها هذه المنزلة أنها تدلُّ على شعور الإنسان بالروح الاجتماعية ، وحاجته إلى الصلة بإخوانه ، والتعاون معهم على الخير ، وكان بإمكانه أن يؤدِّي الصلاة في بيته منفرداً فالأرض كلها مسجد ، لكنه لم يخلد إلى الراحة وآثر الانتقال إلى مكان الاجتماع مع إخوانه وممارسة نشاطه الديني معهم ، وكذلك يعطيها هذه الأهمية أن فيها خضوعاً لنظام القيادة ، وتناسياً للفردية في سبيل مصلحة الجماعة ، وإذا كانوا خاضعين لقائدهم وهو إمام الصلاة في توجههم إلى الله بالعبادة ، فإنهم يحرصون على احترام هذه القيادة والحرص عليها في أمور دنياهم ،

وفي ذلك كله قوة للمجتمع ، تتماسك بها أركانه ، ويرهب بها جانبه ، كما أن نظام الصفوف وتسويتها يدرّب على احترام النظام في كل شؤون الحياة ، ويدرب على مقابلة العدو صفّاً واحداً متماسكاً كالبنيان المرصوص .

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة مرغبة في صلاة الجماعة من أجل هذه المعاني الكريمة وغيرها ، وجعلتها تفوق صلاة الانفراد بسبع وعشرين درجة . وكان النبي ﷺ يهتمّ اهتماماً كبيراً بنظام الصفوف وتسويتها، روى البخاري ومسلم عن ابن عمر ٩١: « كان النبي ، يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استوتوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم» وبلغ من شدة اهتمامه بتسوية الصفوف أنه كان يترك مكانه من الإمامة ويخترق الصفوف إذا رأى رجلاً خارجاً عن الصف ، فيقيمه ويرشده ويقول: «لَتَسُونَنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالَفَنَّ اللَّهَ بَيْنَ وَجُوهِكُمْ» رواه البخاري ومسلم .

الفضيلة الثالثة: صفوف القتال ، أي الاستعداد لمواجهة العدو ، في وحدة كاملة ونظام قويّ، وهذا المعنى له أهميته، وذلك لأمر: منها استعداد المسلمين لحماية عقيدتهم وشرفهم والدفاع عن وطنهم ، وتعاونهم في ذلك تعاوناً قوياً لعلمهم أن هذه المهمة جماعية لا فردية ، والضرر الناتج عن التقصير لا يقتصر على المقصر ، يقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 25] ومنها التضحية بأعز ما يملك الناس وهو الروح ، فداء لدينهم وشرفهم ، والنفوس من طبيعتها حب السلامة ، ولكن النفوس المؤمنة الأبوية لا ترضى السلامة مع الذلّة والهوان ، وترخص أرواحها في سبيل العزة والكرامة . وهكذا يكون المؤمنون الذين جعلهم الله خير أمة

أخرجت للناس، وانتدبهم لنشر رسالة الحق والسلام، إن الله يعجب بهذه الصفوف ويضحك إليها لأنها صفوف لم تخرج لتحصيل مغنم أو كسب مادي، ولكنها خرجت للموت ضاحكة مستبشرة.

ولما كان هذا الاستهداف يحتاج إلى إيمان قوي يتغلب على هوى النفس جاء الترغيب في الجهاد قوياً بأساليب مؤثرة، وكثرت الأحاديث التي تبين فضل المجاهدين على القاعدين، وتعدُّ المقاتلين بإحدى الحسينين، إمَّا الفوز والنصر، وإمَّا الشهادة والأجر: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 74] وأخبر النبي ﷺ أن ذروة سنام الإسلام هي الجهاد كما رواه الطبراني.

وبعد، فهذه فضائل ثلاثة، ينبغي أن نحرص عليها:

الأولى فضيلة فردية لخاصة النفس وهي قيام الليل، يجاهد فيها نفسه ويتعرض لنفحات ربه، ورد في حديث مسلم: «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك في كل ليلة».

والثانية فضيلة اجتماعية يظهر أثرها المباشر في وقت السلم ويُدرَّب بها لوقت الحرب، وهي صلاة الجماعة التي توحى بالتعاون والوحدة وحب النظام واحترام القيادة وعدم الشذوذ عن الجماعة.

والثالثة فضيلة اجتماعية أيضاً يظهر أثرها وقت الحرب، وهي التعبئة العامة المنظمة لرد العدوان وحماية الأوطان، جاء فيها قول النبي ﷺ: «مُقام الرجل في الصف في سبيل الله تعالى أفضل من صلواته في بيته سبعين عاماً»

رواه الترمذي بسند صحيح .

السؤال رقم(210): ما معنى قول النبي: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنه الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم»؟

الجواب: روى هذا الحديث مسلم في صحيحه، وجاء في رواية لابن ماجه والطبراني بسند صحيح قوله ﷺ: «من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله فمن أخفر ذمة الله كبه الله في النار لوجهه».

والذمة هي الأمان والعهد والضمان، والذي يصلي الصبح في جماعة هو في ضمان الله ووقايته، وكلمة <خفر> الثلاثية تفيد الحراسة والأمن والضمان، يقال: خفر الرجل الرجل إذا حرسه وأمنه، وأخفر بزيادة الهمزة تفيد عكس ما تفيد خفر الثلاثية، يقال: أخفر الرجل الرجل إذا أزال ضمانه ونقض عهده.

والحديث يبين فضل صلاة الصبح وبخاصة إذا كانت في جماعة، والذي يحرص عليها يستيقظ مبكراً ليدركها قبل فوات وقتها بطلوع الشمس . والبكور فيه الخير والبركة وهو فترة النشاط التي يجب أن تُستثمر استثماراً طيباً، وقد دعا النبي ﷺ لأئمة أن يبارك الله لها في بكورها.

فالذي يبكر ويصلي الصبح يكون في حماية الله وحراسته من السوء جزاء محافظته على الصلاة التي يعارضها هوى النفس في الكسل والتباطؤ وعدم مغادرة الفراش، ومن جاهد نفسه أول النهار استطاع أن يجاهد ما يعترضه طول النهار من فتن ومغريات، والله سبحانه يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لَمَهْدِيَتِهِمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿العنكبوت: 69﴾ .

فالله سبحانه يحذر أي إنسان أن ينال هذا الشخص بسوء لأنه في حماية الله ، ومن تعدى عليه طعن في حراسة الله له ولم يحترم حماه ، والله يغضب لذلك غضباً شديداً ومن غضب عليه أنزل به عقابه ولن يفلت منه ، فهو يتعقبه كما يتعقب صاحب الدم من قتل قريبه ، ليثأر له أو من أهان شرفه ليغسل العار عنه وعقاب الله لمن يخفر ذمته بالتعدي على من صلى الصبح سيكون بإذلاله وإهانته وكبه على وجهه في النار .

واحتراماً لهذا الحديث وخوفاً من التهاون فيما جاء به ذكر التاريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفي ، وهو المعروف بشدة بطشه وجبروته أمر سالم بن عبد الله بن عمر أن يقتل رجلاً ، فسأل سالم هذا الرجل وقال له : هل صليت الصبح ؟ قال : نعم ؟ فقال له : انطلق فلن أمسك بسوء ، فلما سأله الحجاج : لم لم تقتله ؟ قال : لأنه صلى الصبح فكان في جوار الله ، فكرهت أن أقتل رجلاً أجاره الله .

والحديث إذا كان يحثنا على المحافظة على الاستيقاظ المبكر لأداء صلاة الصبح في وقتها فهو يحثنا أيضاً على أداء كل الصلوات في أوقاتها ، ويحثنا على احترام من يحافظون على الصلوات فأولئك هم المؤمنون ، والله سبحانه يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج : 38] .

السؤال رقم(211): قال رسول الله ‘ <ثلاثة من الجفاء: أن يمسح الرجل جبهته قبل أن يفرغ من صلاته، وأن يبول قائماً، وأن يسمع الأذان ولا يقول مثل ما يقول المؤذن > فما معنى الجفاء، وكيف

يمسح الرجل جبهته قبل أن يفرغ من الصلاة، وما الضرر من هذا؟

الجواب: هذا الحديث له عدة روايات، روى إحداهما البزار من طريق بريدة بدون ذكر الأذان، وجاء بدله «بالنفخ في سجوده». ومعنى الجفاء ترك سنة النبي ﷺ وهديه، وهو يدل على كراهة هذه الأمور، وقد ورد في كل منها نصوص خاصة بها.

والنهي عن البول من قيام حكمته التحرز من تطايره وإصابة البدن أو الثوب بالنجاسة. وهو مكروه إلا لحاجة، وإجابة السامع للمؤذن لها فضل كبير، من تهاون فيها فاته ثواب عظيم، وأما مسح المصلي جبهته مما يعلق بها من تراب في السجود فقد كرهه السلف، وعللوه بأمور: منها: أن يبقى أثر السجود على وجهه دليلاً على العبادة والتواضع لله ومنعاً من الكبر، وفي هذا رجاء قبول الصلاة، ومنها أن مسحه أثناء الصلاة فيه شغل للإنسان عن ربه وعدم تمكن من الخشوع.

وقد صحت أحاديث «النووي على مسلم 37/5» تدل على كراهة مسح الحصى، على معنى أن يزيح المصلي الحصى من موضع سجوده ليسجد على التراب، وكان مسجد النبي ﷺ مفروشاً به، وليس مفروشاً بما نعده اليوم. وعلل العلماء كراهته بأنه ينافي الخشوع، خصوصاً إذا كثر، ولهذا رخص في مسح حصى واحدة قليلاً للحركة وجاء في بعض الأحاديث: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يمسح الحصى» كما علل النهي عن مسح الحصى بأن كل حصى تحب أن تحظى بالسجود عليها فلا ينبغي إزاحتها كما جاء مصرحاً به في بعض الروايات.

هذا وإذا كان مسح الحصى وتسوية الأرض قبل الدخول في الصلاة فلا

بأس به .

السؤال رقم (212): نرجو شرح الحديث الشريف الذي يقول: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه بالمال والخلق فليُنظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه»؟

الجواب: هذا الحديث رواه البخاري ومسلم، ويجب أن نعلم أن حظوظ الناس في الحياة متفاوتة، والله وحده مالك الأمر كله، يعطي من يشاء، ويمنع ما يشاء عن من يشاء، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَالِكِ تُؤْتِي الْمَالَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَالَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26] وقال: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: 32] وهذا التفاوت في الحظوظ لحكمة جاء بيانها في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: 165] ولا يشترط أن يكون هذا التفضيل تكريماً من الله لهم، فكم من كفار وعصاة يتقلبون في الثراء ليزدادوا به كفراً وطغياناً، قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: 196-197].

ومِنَحَ اللهُ لِعِبَادِهِ قَدْ تَكُونُ بِمَحْضِ قَدْرَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ

فيها تدخُلُ بوجه من الوجوه كالجمال الذي يولد به الإنسان ولا يد له فيه ،
وكالثراء الوارد عن طريق الميراث أو طريق لم يبذل فيه صاحبه أي جهد ،
وقد تكون هذه المنح نتيجة جهد وعمل كالتي تأتي عن طريق الكسب
التجاري والصناعي وما شاكله .

والطبيعة البشرية نزاعةٌ إلى حُبِّ المال والجمال ومتع الحياة ، ولكن ما
كل ما يتمنى المرء يُدرُكه ، وكثير من الناس ينظرون إلى ما فضل الله به
الآخرين عليهم نظرة الحسرة والألم ، ويتمنى بعضهم أن تزول هذه النعمة عن
أصحابها ليتساووا جميعاً في الفقر والضعف والحاجة ، وهذا هو الحسد
المذموم الذي يورث صاحبه همًّا لا يفارقه ، وقلقاً لا يترك له فرصة يستريح
فيها باله وتهدأ أعصابه ، وقد يتورط في أعمالٍ غير كريمة لينال بها من هذا
الذي فضله الله عليه ، وقد ذم الدين هذا الخلق ، وجاء في الحديث أنه يأكل
الحسنات كما تأكل النار الحطب . رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي .

وقد يكون هناك بعض الناس الذين لم ينالوا حظاً من متع الحياة يتمنون
أن يكون لهم مثل ما لغيرهم ، ويسعى بعضهم جاهداً لإدراك ما يتمنى ، وقد
يرتكب بعضهم في سبيل ذلك ما لا يوافق عليه شرع ولا خلق .

والحديث الذي نحن بصدده يرسم لنا الدواء الذي به تستريح النفس
إزاء هذه الفوارق التي فضل بها الله بعض الناس على بعض ، فيرشد كل
عاقِل إلى أنه لو تطلعت نفسه إلى ما منح غيره من مال وخلق ، أي غنى
وجمال وقوة أو غير ذلك من متع الدنيا ، فجدير به أن ينظر إلى من هو أقلُّ
منه في هذه الأمور ، حتى يحس بأن الله أنعم عليه بما لم يُنعم به على غيره ،

وهنا تهدأ نفسه، ويقنع بما عنده، ويكون هنا مجال لشكر الله عليها، وهذا ما يشير إليه قول النبي ﷺ فيما رواه مسلم: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم».

والإحساس بنعمة الله مهما صغرت وشكره عليها وسيلة من وسائل رضوان الله وحفظ النعمة وزيادتها، وعلى النقيض من ذلك يكون ازدراؤها والاستهانة بها موجبا لغضب الله وانتقامه في العاجل أو الآجل، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: 7] وقد جاء في الهدي الإسلامي أن الإنسان إذا أراد أن يتنافس مع غيره فليكن التنافس في مجال الخير والفضائل والكمالات، مستخدماً في ذلك ما منحه الله من مال وصحة ولو كان بقدر ضئيل، وهو ما يشير إليه قول النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين» والمراد لا ينبغي أن تكون هناك غبطة وتنافس واهتمام إلا في هاتين الخصلتين: «رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها للناس» رواه البخاري ومسلم.

أما التنافس الدنيوي المحض فهو مذموم، ذلك أن متاع الحياة الدنيا لا تشبع منه النفس الإنسانية، وهي حقيقة مقررة أشار إليها قول النبي ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً لهما، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب» رواه البخاري ومسلم.

وقد وجه الله نبيه ﷺ - وهو توجيه لأُمَّته أيضاً - أن يكون الاهتمام بالكمال الأدبي والديني أشد من الاهتمام بالكمال المادي الدنيوي الذي

يُلْهِي وَيُضِرُّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾ [الكهف: 46]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْفَقَ﴾ [النساء: 77].

والإيمان بقدر الله والرضا ببعثائه يهون على النفس متاعها وآلامها، جاء في الحديث الشريف: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله لا يئال ما عنده إلا بطاعته» رواه ابن حبان وابن ماجه والحاكم وغيرهم بألفاظ متقاربة.

والنبي ﷺ قد حذرنا من الاهتمام بالدنيا الذي يصرف عن الآخرة فقال: «من كانت الآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة؛ ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه، وشنت عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قُدِّر له» رواه الترمذي وابن حبان وابن ماجه وغيرهم.

وقد كان السلف الصالح يتنافسون في البرِّ، كما حدث من عثمان وأبي بكر وعمر في تمويل جيش العسرة، وكما حدث من عبد الرحمن بن عوف وغيره من الأعمال الخيرية الكثيرة، التي لم يلههم عنها ما جمعه من مال. لكن ليس معنى هذا أن الله يصرف الناس عن الكسب ويحرمهم متع

الدنيا، فهو القائل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: 87] وقال النبي ﷺ: «نعم المال الصالح للعبد الصالح» رواه أحمد بسند جيد، وقال ﷺ: «الدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقها بارك الله له فيها» رواه الطبراني بإسناد حسن.

فلنملاً قلوبنا بالإيمان، ولنجعل المعاني الأدبية أكبر همنا، ولنعمل جاهدين لرفع مستوانا، ولنوجه طاقاتنا إلى خير الدين والدنيا.

السؤال رقم (213): قرأنا في بعض الأحاديث قوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»، فمن هذه الطائفة؟

الجواب: هذا الحديث رواه البخاري وَعَنُونَ له بما يفيد أن هذه الطائفة هي أهل العلم، وذكر بعد هذا الحديث حديثاً يقول: «من يُردِ الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم ويُعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله».

فالعلماء هم الطائفة الظاهرة على الحق، وفي بعض الأقوال أنهم أهل الحديث خاصة، والحق أنهم العلماء بالدين عامة. ومعنى ظهورهم أنهم غالبون، ويؤيده حديث رواه مسلم: «لن يبرح هذا الدين قائماً تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة» وفي رواية له: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة». وإذا صح الحديث بأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، فإن الله يبعث ريحاً كريح المسك، لا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من إيمان

إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة، وقيل: إن شرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة يكونون بموضع مخصوص. وأن موضعاً آخر يكون به طائفة يقاتلون على الحق لا يضرهم من خالفهم.

وقال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقهه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً، إلى ألا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله. «فتح الباري 13/306 - 308».

السؤال رقم: (214) ما معنى أن الله سبحانه وتعالى يحب سبحة الحديث؟ وما معنى التحذيف؟

الجواب: نعم ورد ذلك في حديث أخرجه الطبراني عن عصمة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الأعمالِ إلى الله سبحانه وتعالى سُبْحَةَ الحديث، وأبغض الأعمالِ إلى الله تعالى التحذيف، قلنا: يا رسول الله وما سبحة الحديث؟ قال: يكون القوم يتحدثون والرجل يسبح، قلنا: يا رسول الله وما التحذيف؟ قال القوم يكونون بخير فيسألهم الجارُّ والصاحبُ فيقولون: نحن بشرٌ يشْكُون». والتحذيف: من الحذف، ومن معانيه القطع، فكأن هؤلاء الذين ينكرون فضل الله ونعمه، قطعوا كل خير ونعمة حصلت لهم من الله سبحانه وتعالى.

** ** *

فصل في التراجم وذكر بعض الصالحين

السؤال رقم (215): هل لقمان نبي أو ولي، وفي أي عصر كان؟

الجواب: يقول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: 112]. أنزل الله في القرآن سورة سميت باسم لقمان، ونصت الآية على أن الله سبحانه آتاه الحكمة، كما ذكرت وصيته لابنه، وذلك لأهميتها.

والخلاف في نسبه ونشأته كبير، وليس لأي قول في ذلك دليل قوي، قال الزمخشري: هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته، عاش ألف سنة وأدركه داود وأخذ عنه العلم، وقال الواقدي: كان قاضياً في بني إسرائيل، وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان أسود من سودان مصر.

واختلف في صنعته، فقيل كان خياطاً، وقيل حطاباً، وقيل: كان راعياً، وكل ذلك كلام لا دليل عليه يطمئن إليه القلب، لكن المهم أن نعرف هل كان نبياً أو ولياً أي رجلاً صالحاً؟

المتفق عليه أن الله آتاه الحكمة وسجل وصيته في القرآن إشادةً بها وتقريراً لها، وجمهور العلماء على أنه كان ولياً ولم يكن نبياً، وقال بنبوته عكرمة والشعبي لأنها هي الحكمة التي آتاه الله إياه، ولكن الصواب كما ذكره القرطبي في تفسيره (59/14): أنه رجل حكيم بحكمة الله تعالى.

ومهما يكن من شيء فلا يضرنا الجهل بذلك، والمهم هو الاقتداء بسيرته والأخذ بحكمته.

السؤال رقم (216): أسمع كثيراً من القنوات الفضائية الإطراء

الزائد والإشادة بابن تيمية، فمن هو ابن تيمية؟

الجواب: ابن تيمية هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن الخضر ابن تيمية، ولد سنة 661هـ في مدينة حران في جزيرة الشام. وتوفي سنة 728هـ بسجن القلعة في دمشق. كان حاد الذكاء، وحاد الطبع أيضاً، دخل السجن ثلاث مرات بسبب بعض عقائده وبعض فتاواه. عاش 67 سنة ولم يتزوج، ولم يذكر هو ولا أحد غيره السر في عزوفه عن الزواج، ترك كتباً كثيرة في العقائد والفقهاء. وأصبح فيما بعد الإمام الذي تنتسب إليه الفرقة السلفية، فهي التي جددت عقائده وأفكاره وروجت لها.

ولا شك أن ابن تيمية من أهل العلم، وأثنى عليه بعض العلماء، كما أن كثيراً آخرين من العلماء الثقات الأثبات تناولوه بالنقد، وأخذوا عليه في كثير من المسائل التي انفرد بها، ومما لا شك فيه أن العلماء جميعاً يؤخذ من قولهم ويرد وابن تيمية واحد منهم إلا الحبيب سيدنا محمداً ﷺ، والله تعالى أعلم.

السؤال رقم (217): هناك كلام كثير عن رابعة العدوية في نشأتها

الأولى وانتهاء حياتها بالتصوف، واشتهارها بالحب الإلهي، فهل من كلمة موجزة عنها؟

الجواب: رابعة هي بنت إسماعيل العدوية البصرية، ولقّبها ابن خلكان بأُمّ الخير، وذكر أنها مولاة آل عتيك، فخذ من قبيلة الأزدي، كانت في أول أمرها تعزف بالمعازف ثم تابت وقضت حياتها بالبصرة كأنها مسجونة،

وماتت بها في سنّ لا تقل عن ثمانين سنة، وذلك في عام 185هـ (801م) ولم تكن وفاتها سنة 135هـ (752م) لأن محمد بن سليمان الذي وُلِّيَ البصرة من قبل العباسيين منذ سنة 145هـ - 172هـ قد خطبها فأبت وتفرغت للعبادة، وقالوا: إنها وُلدت في العام الذي بدأ فيه الحسن البصري مجالس تعليمه، وذلك سنة 95هـ أو 96هـ، فأكثر الذين كتبوا عنها قالوا: إنها ولدت وعاشت في القرن الثاني من الهجرة وماتت في أخرياتِه.

كانت كثيرة العبادة تلبسُ الصوفَ وما إليه من ثياب الشعر، زاهدةً في الدنيا، ولعل أظهر ما تميزت به كلامُها في الحب والمحبة كما في كتاب «مدارج السالكين» لابن القيم، ومن شعرها المأثور في ذلك:

أحبك حبين: حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ذكر الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» أن محمد بن سليمان الهاشمي واليَ البصرة أرسل إليها كتاباً يخطبها وذكر فيه مقدار غناه وأن مهرها سيكون كبيراً فردت عليه بعد المقدمة: اعلم أن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابي هذا فهَيِّئْ زادك، وقدم لمعادك وكن وصيَّ نفسك ولا تجعل الناس أوصياءك فيقتسموا تراثك، وصم عن الدنيا وليكن إفطارك على الموت. وأما أنا فلو أنه أعطاني ما أعطاك وأمثاله ما سرنني أن أشتغل طرفة عين عن الله.

السؤال رقم: (218) من هو الخضر؟ وهل هو حي أم ميت؟

الجواب: تحدث القرآن الكريم عن عبد من عباد الله التقى معه موسى

ﷺ، وكان بينهما ما جاء في سورة الكهف: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ

رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(١). وتحدثت السنة النبوية الصحيحة،

كما رواه البخاري وأحمد والترمذي عن هذا العبد الصالح باسم " الخضر " لأنه جلس على فروة بيضاء - هي وجه الأرض - فإذا هي تهتز من تحته خضراء .

وهذه أضواء بسيطة على شخصيته من حيث اسمه وحياته ونبوته: يقول

العالم الكبير كمال الدين الدميري المتوفى سنة (808)هـ في كتابه الموسوعة

"حياة الحيوان الكبرى" عند الكلام عن الحوت: إن اسم الخضر مضطرب فيه

اضطراباً متبايناً والأصح - كما نقله أهل السير - أن اسمه " بَلْيَا " بفتح الباء

وسكون اللام، وأن أباه يسمى " مَلْكَانَ " بفتح الميم وإسكان اللام وبالنون

في آخره، وكان من بني إسرائيل ومن أبناء الملوك، وفر من الملك وانصرف

إلى العبادة.

أما هل هو حي أو ميت؟ فقد اختلف العلماء في ذلك، فقال النووي

وجمهور العلماء: إنه حي موجود بين أظهرنا الآن، وهذا الرأي متفق عليه

عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة. والأخبار عن الاجتماع به كثيرة، وقال

الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين،

والعامة معهم على ذلك وإنما شذ بانكاره بعض المحدثين.

(١) سورة الكهف الآية (65).

وقال الحسن: إنه مات وقال ابن المناوي: لا يثبت حديث في بقائه،
وقال الإمام أبو بكر بن العربي: مات قبل انقضاء المائة، ويقرب من جواب
الإمام محمد بن إسماعيل البخاري لما سئل عن الخضر وإلياس عليهما السلام:
هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك؟ وقد قال النبي ﷺ: «فَإِنَّ
رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ» والصحيح
الصواب أنه حي.

وقال بعضهم: إنه اجتمع مع رسول الله ﷺ وعزى أهل بيته وهم
مجتمعون لغسله، وقد روي ذلك من طرق صحاح، والقرطبي في تفسيره صحح
حياته (41/11).

واختلف في الخضر هل هو نبي أو ولي؟ فقال القشيري وكثيرون: هو
ولي، وقال بعضهم هو نبي. ورجَّحه النووي، وقال المازري: إن الأكثرين من
العلماء على أنه نبي ومن قال: إنه نبي اختلفوا، هل هو مرسل إلى غيره من
الناس أو لا؟ والأدلة على هذا الاختلاف في الاسم والحياة والنبوة كثيرة لا
يتسع المقام لها، وقد أوردت لك هذه الأقوال التي ليس فيها اتفاق على رأي
لترى أنه لا يوجد نص قاطع يعتمد عليه في هذه الأمور.

فالثابت في القرآن أنه عبد من عباد الله تعالى. آتاه الله تعالى رحمةً وعلماً
من عنده، لكن هذا العبد يحتمل أن يكون نبياً ويحتمل أن يكون ولياً أي رجلاً
صالحاً، والثابت بالحديث أن لقبه الخضر، ولم يرد نص صرح في كونه مات أو
ما زال حياً حتى يقتله الدجال، أو أن له لقاءات مع بعض الأنبياء أو الأولياء، أو
أنه يلقي السلام على بعض الناس فيردون عليه التحية، كل ذلك ليس له دليل
يعتد به، وفي الوقت نفسه لا يترتب على الجهل به عقاب، ولا يؤثر على إيمان
المؤمن، فهو ليس من العقائد التي كلفنا بها الدين، والأولى ألا ننشغل

بالبحث عنها كثيراً والبحث في هذا من فضائل العلم لا من لازمه .

السؤال رقم: (219) في أي قرن عاش الإمام الغزالي؟ ولماذا أطلق عليه لقب حجة الإسلام؟

الجواب: الإمام الغزالي هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي الغزالي ولد بطوس سنة أربعمائة وخمسين من الهجرة "450هـ" وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، ولما حضرته الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف أن يعلمهما وينفق عليهما بسخاء حتى لو نفذ كل ما تركه لهما، ولما نفذ ما تركه أبوهما وكان الوصي فقيراً أشار عليهما بالالتحاق بمدرسة كانت تنفق على طلابها، ففعلاً .

وكان أبو حامد أقرانه، أما أخوه أحمد فكان واعظاً، تفقه الغزالي في صباه على أحمد بن محمد الراذكاني، ثم أخذ عن الإمام أبي نصر الإسماعيلي في جرجان ثم رجع إلى طوس وأقبل على العلم وحفظه، ثم قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين، حتى نبغ في الفقه والمنطق والحكمة والفلسفة، وتصدى للرد على دعاوى المبطلين، وألف في كل ذلك كتباً كثيرة، ولما مات إمام الحرمين خرج الغزالي إلى العسكر قاصداً الوزير نظام الملك، وناظر الأئمة والعلماء في مجلسه فاعترفوا بفضله فولاه التدريس في مدرسته ببغداد، فتوجه إليها سنة أربع وثمانين وأربعمائة "484هـ" ودرس بالمدرسة النظامية، فاشتهر بذكائه وعلمه وخلقه، إلى أن زهد في مظاهر الدنيا، فقصده بيت الله تعالى للحج، ثم توجه إلى الشام في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة "488هـ" واستناب أخاه في التدريس، وجاور بيت المقدس ثم عاد إلى

دمشق واعتكف في زاويته بالجامع الأموي المعروفة بالغرّالية، ولبس الثياب الخشنة وتصوّف وأخذ في تصنيف كتابه "الإحياء" ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجالس للوعظ، وأطلق عليه اسم الشافعي الثاني، ولم تُعجب أهل المغرب طريقته فأحرقوا كتبه، ثم عاد الغزالي إلى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة بسيطة ثم رجع إلى طوس، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ومكاناً للصوفية "خانقاه" وانقطع للتدريس والعبادة حتى توفي بطوس يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة "505" هـ.

ومن كتبه غير الإحياء: البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة، والمستصفي والمنخول، وتحصين الأدلة وشفاء الغليل والأسماء الحسنى والرد على الباطنية، وتهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال وفيصل التفرقة.

ألف فيه المستشرق "كارادفو" كتاباً ذكر فيه أن الغزالي اجتمعت لديه صفات الخطيب والعالم النفساني والواعظ الديني، فهو يفيض بالأولى، ويحلل بالثانية، ويأسر النفوس بالثالثة، وذكر في كتابه "مفكرو الإسلام" أن أسلوبه مخصب سهل لين واضح، وأنه إذ يستعين بالصور الخيالية لا يغض الطرف عن الجانب العلمي، يستهوي القارئ ولا يتعبه، عقله متزن، إذا اقتبس من السنة فعل ذلك بدون إثقال أو إفراط، إنه يقسّم ويفرع بعناية ووضوح، وبدون تصنع أو مباهلة، ومع كونه نفسانياً لا يهوى الدقة المغالية.

والغزالي نشأ في عصر تضاربت فيه الأقوال نحو علم الكلام والفلسفة، فبعضهم حرم الاشتغال به وعده من أكبر الكبائر، وبعضهم جعله من الواجبات، وقال هو: إن علم الكلام مباح بل ضروري وواجب في بعض الظروف، وهو

حرام إذا ركب الإنسان فيه هواه وغلبه العناد .

وأجمل رأيه فيه شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي بقوله: إذا ذكر ابن سينا أو الفارابي خطر بالبال فيلسوفان عظيمان ، وإذا ذكر ابن العربي خطر بالبال رجل صوفي له في التصوف آراء لها خطورتها ، وإذا ذكر البخاري ومسلم وأحمد خطر بالبال رجال لهم أقدارهم في الحفظ والصدق والأمانة والدقة ومعرفة الرجال ، أما إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم يخطر بالبال رجل واحد ، بل خطر بالبال رجال متعددون ، لكل واحد قدره وقيمته ، يخطر بالبال الغزالي الأصولي الماهر ، والغزالي الفقيه الحر ، والغزالي المتكلم إمام أهل السنة وحامي حماها ، والغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العالم وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب ، والغزالي الفيلسوف ، أو الذي ناهض الفلسفة وكشف عما فيها من زخرف وزيف ، والغزالي الصوفي الزاهد وإن شئت فقل : إنه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره ، المضمون به على غير أهله .

السؤال رقم: (220) من هو ابن عطاء الله، وكيف وصل إلى هذه المنزلة؟

الجواب: هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري ، وهو من أصل عربي ، ولد بالإسكندرية حيث كانت تقيم أسرته ، ولم يعرف تاريخ مولده بالضبط ، فهو ما بين سنة (685)هـ (679)هـ ، كان والده معاصراً لأبي الحسن الشاذلي ، شغل ابن عطاء بالعلوم الدينية ، وكان في أول أمره شديد الإنكار على الصوفية ، ثم عدل عن ذلك بعد لقاءه بأبي العباس المرسي ، وكان بعد وفاة أبي العباس المرسي سنة (686) خليفة لطريقته ، حتى ارتحل إلى القاهرة وتولى التدريس بالأزهر ، وكانت له معرفة

تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب الطرائق كما يقول ابن تغري بردي ، وتتلמד على يديه كثيرون منهم تقي الدين السبكي ، وكان معاصراً لابن تيمية المتعصب ضد الصوفية ، توفي سنة (709) هـ ودفن بجبانة السيد علي أبي الوفا تحت جبل المقطم وترك مصنفات كثيرة بلغت اثنين وعشرين ، منها كتابه المشهور "الحكم" الذي شرحه ابن عجيبة .

السؤال رقم: (221) من هو أبو الحسن الشاذلي وأين دفن؟

الجواب: هو أبو الحسن علي الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار ، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي عليه السلام ، نسب إلى " شاذلة " قرية قرب تونس ولد بقرية تسمى غمارة قريبة من سبتة وطنجة بالمغرب سنة (593) هـ وتلقى علومه الأولية بها ، وسافر إلى العراق ثم عاد إلى بلده والتقى بعبد السلام بن مشيش إمام أهل المغرب فأشار عليه بالذهاب إلى شاذلة ثم انتقل إلى تونس ثم إلى مصر فنزل الإسكندرية ونشر بها مذهبه واحتفل الناس به ، قرأ في كتب التفسير والسيرة ، وتفقه عليه العز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذري وابن الصلاح وابن الحاجب ، جاء في كتاب نور الأبصار للشبلنجي " ص 244 " أن أهل المغرب نفوه وكتبوا إلى نائب الإسكندرية أنه زنديق فاحذروه ، فأذاه أهل الإسكندرية ، فلما ظهرت كراماته اعتقدوه ، وذكر له عدة أقوال حكيمة وأدعية كثيرة توفي في ذي القعدة (656) هـ وهو قاصد الحج في شهر رمضان ، ودفن بصحراء لد عيذاب في "حميثرا" من الصعيد ، وذكر ما نقله ابن بطوطة في رحلته عن ياقوت العرش عن شيخه أبي العباس المرسي أن أبا الحسن الشاذلي كان يحج كل سنة ،

فلما كان في آخر سنة خرج فيها قال لخادمه: استصحب فأساً وقفةً وحنوطاً، فقال له: لماذا؟ قال " في حُمَيْثرا سوف ترى " فلما بلغ حميثرا اغتسل الشيخ وصلى ركعتين فقبضه الله في آخر سجدة ودفن هناك، ولم يترك مؤلفات.

ومن تلاميذه الذين ورثوا علمه أحمد أبو العباس المرسي توفي سنة (686) هـ وذكر له الشعراني (الطبقات الكبرى 4/2) أقوالاً حكيمة كثيرة، ولم يترك كتباً كشيخه الشاذلي. ومن تلاميذ المرسي ياقوت العرش المتوفى بالإسكندرية سنة (707) هـ، ومن تلاميذ ياقوت العرش ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة (707) هـ الذي ألف عدة كتب منها: الحكم والتنوير في إسقاط التدبير.

السؤال رقم: (222) أين ولد السيد أحمد البدوي، وبماذا اشتهر عند

أهل مصر وهل صحيح أن من اعترض عليه يعطبه؟

الجواب: السيد أحمد البدوي هو أحمد بن علي بن إبراهيم، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي عليهما السلام كما قال الشبلنجي في " نور الأبصار " (ص 237)، أجداده نزحوا من الحجاز في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (73) هـ وإلى بلاد المغرب، ولد بفاس سنة (596) هـ وذهب مع أبيه وأمه فاطمة بنت محمد بن أحمد وإخوته سنة (603) هـ للحج، فحج وعمره إحدى عشرة سنة عام (607) هـ وأقام بمكة. وعرف بالبدوي لكثرة ما كان يتلثم، عرض عليه أخوه الزواج فامتنع وأقبل على القرآن، واشتهر بمكة بالشجاعة وسمى العطاب والغضبان، ثم اعتزل الناس، ورأى في المنام من يأمره بالسفر إلى طنطا " طنطا " فسار هو وأخوه حسن إلى العراق وقابل عبد القادر الجيلاني وأحمد الرفاعي ثم عادا إلى مكة ولزم الصيام والقيام، ثم سار من

مكة سنة (634) هـ وأخيراً وصل مصر فنزل طندتا في (14) من ربيع الأول سنة (637) هـ وحل بمنزل أحد مشايخ البلد واسمه "ابن شحيط" ساهراً على السطح، وكان من تلاميذه عبد العال ولازم السطح (12) سنة، وكان الظاهر بيبرس يزوره.

لما حفظ القرآن بمكة اشتغل بالعلم مدة على مذهب الإمام الشافعي قبل أن يتصوف، زاره في طنطا تقي الدين بن دقيق العيد قاضي قضاة مصر واعترض على عدم صلته مع الناس، ويقال: إنه أطاره إلى مكان بعيد قبله فيه الخضر وأرشده إلى الاعتذار لأحمد البدوي الذي يصلي بالناس في قبة معينة، ففعل فأعاده إلى بيته، وذكر الشعراني له كرامات أخرى منها أنه جاء بالأسير من بلاد الفرنجة مقيداً مغلولاً سنة (645) هـ توفي أحمد البدوي سنة (675) هـ.

ومن أراد الزيادة فليرجع إلى الطبقات الكبرى للشعراني (183/1) والله أعلم بالكرامات الذي ذكرها له، وإن كان أصل الكرامة للصالحين أمراً مُسلماً به، لأنها من نوع المعجزات الخارقة للعادة التي تظهر على أيدي الأنبياء من أجل التحدي وإثبات صدق الرسالة.

السؤال رقم: (223) يقولون: إن الإمام الشافعي هو المقصود بالحديث: «عَالِمٌ قُرَيْشِيٌّ يَمَلَأُ طَبَاقَ الْأَرْضِ عِلْمًا» فهل هذا صحيح؟

الجواب: الإمام الشافعي، إمام كبير، ومجتهد عظيم، وفقه معروف، وقد رويت عدة أحاديث في قريش حملت عليه لاتصال نسبه بها، منها:

1 - حديث «لَا تَسُبُّوا قُرَيْشًا، فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمَلَأُ الْأَرْضَ عِلْمًا، اللَّهُمَّ

إِنَّكَ أَذَقْتَ أَوْلَهُمْ نِكَالًا أَي: عِقَابًا، فَأَذِقَ آخِرَهَا نَوَالًا» أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، وأبو نعيم في الحلية وهذا الحديث مروى عن عبد الله بن مسعود.

ورواه أبو هريرة رضي الله عنه بلفظ «اللَّهُمَّ اهْدِ قُرَيْشًا فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ طِبَاقَ الْأَرْضِ عِلْمًا، اللَّهُمَّ كَمَا أَذَقْتَهُمْ عَذَابًا فَأَذِقْتَهُمْ نَوَالًا» دعا بها ثلاث مرات.

2- حديث: «لا تَوُؤُّوا قُرَيْشًا وَائْتُمُّوا بِهَا، وَلَا تَقَدَّمُوا عَلَى قُرَيْشٍ وَقَدَّمُوهَا، وَتَعَلَّمُوا مِنْهَا وَلَا تُعَلِّمُوهَا، فَإِنَّ أَمَانَةَ الْأَمِينِ مِنْ قُرَيْشٍ تَعْدِلُ أَمَانَةَ اثْنَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَإِنْ عَلِمَ عَالِمٌ قُرَيْشٍ يَسَعُ طِبَاقَ الْأَرْضِ» وفي رواية «وإن علم عالم قريش مبسوط على الأرض»^(١).

وحديث ابن عباس أخرجه أبو يعلى في مسنده بلفظ «اللهم اهد قريشاً، فإن علم العالم منهم يسع طباق الأرض، اللهم أذقت أولها نكالا فأذق آخرها نوالاً» ورجال هذا الحديث رجال الصحيح، وأخرج بعضه أحمد بن حنبل في المسند بسند جيد من طريق سعيد بن جبير عنه، ويدل على اشتهاره في القدماء ما أخرجه البيهقي عن الربيع بن سليمان قال: ناظر الشافعي محمد بن الحسن، فبلغ الرشيد فقال: أما علم محمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَدَّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَقَدَّمُوهَا فَإِنَّ عِلْمَ الْعَالَمِ مِنْهُمْ يَسَعُ طِبَاقَ الْأَرْضِ».

وقال أبو نعيم الجرجاني: كل عالم من علماء قريش من الصحابة فمن بعدهم وإن كان علمه قد ظهر وانتشر لكنه لم يبلغ في الشهرة والكثرة والانتشار في جميع أقطار الأرض مع تباعدها ما وصل إليه علم الشافعي، حتى غلب على الظن أنه المراد بالحديث المذكور، وقد سبق إلى تنزيل هذا الحديث على

(١) أخرجه الآبري والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الشافعي أحمد بن حنبل» .

هذا، وفي هذه الأحاديث تظهر رحمة النبي ﷺ بقومه على الرغم مما أصابه منهم، كما يظهر فضل قريش ووجوب تكريمها بالإمامة وغيرها، وذلك مرتبط بالعمل لا بالنسب .

*** ** **

فهرس الموضوعات

5.....	مقدمة المؤلف
14.....	باب اللغة
16.....	باب في أصول الفقه والاجتهاد والتقليد
42.....	كتاب العقائد
42.....	فصل فيما يتعلق بالله جل جلاله
63.....	فصل في الملائكة
75.....	فصل في الرسل
133.....	الرسالات
141.....	فصل في الصحابة
148.....	فصل في الجن
164.....	فصل في التوسل والتبرك والسنة والبدعة
180.....	فصل في علم الغيب
215.....	فصل في الخليفة
229.....	فصل في أعمال الإنسان
259.....	فصل في المعتقدات والأفكار
276.....	فصل في الإيمان والإسلام والنفاق
285.....	فصل في آخر الزمان
290.....	فصل في عالم الأرواح والأموات
316.....	فصل في اليوم الآخر
340.....	باب القرآن وتفسيره
340.....	فصل في علوم القرآن
374.....	فصل في تفسير القرآن
422.....	باب الأحاديث
422.....	فصل في مصطلح الحديث
434.....	فصل في تخريج الأحاديث
463.....	فصل في شروح الأحاديث
476.....	فصل في التراجم وذكر بعض الصالحين